سلسلة الخلفاء

الأمين ذو النورين

وأسرته رضي الله عنهم

محمود شاكر

المكتب الإسلامي

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: (إِنَّهَا تَكُونُ فِتْنَةٌ وَاخْتِلَافٌ). قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: (عَلَيْكُمْ بِالأَمِينِ وَأَصْحَابِهِ). وَأَشَارَ إِلَى عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

المكتب الإسلامي
بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧
عمّان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٦٥٦٦٠٥

الأمين ذو النورين

وأسرته رضي الله عنهم

مُقَـدّمَة

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسلام على سيّدنا محمّد بن عبد الله، خاتم رسل الله وأنبيائه وعلى آله وصحبه أجمعين *أما بعـد*:

فإنّ الناس ـ مع الأسف ـ يُصدرون أحكاماً على أناسٍ بفعل قومهم أو تصرّف أُسرهم أو عمل بعض ذويهم، وفي هذه الأحكام جور كبير، ومخالفة واضحة، وإساءة بالغة حيث لا تزر وازرة وزر أُخرى، وأن ليس للإنسانِ إلاّ ما سعى. فأقوام أكثر الأنبياء كانوا على ضلالٍ، وما بعث الله رسله إلاّ لهداية قومهم، فما يضير الرسول إن لم يقبل قومه هدى الله، إذ لم يُرسل إليهم إلاّ بشيراً ونذيراً. ليس عليك هداهم، ولكنّ الله يهدي من يشاء. وما يضير رسول الله ﷺ، إن لم يهتد عمّه أبو طالبٍ، بل كان عمّه أبو لهبٍ أشدّ الناس عداوةً للدعوة، وأكثرهم حرباً لابن أخيه وقد نزلت فيه آيات كريمة تُؤكّد

أنه من أهل النار هو وزوجته، ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾[1]. وما يضير عثمان بن عفّان إن تأخّر بعض رجالات بني أُميّة عن الإسلام أو قاد ابن عمّ أبيه أبو سفيان حملات ضدّ المسلمين حتّى هداه الله، وفتح بصيرته لقبول الحقّ. وما يضير عليّ بن أبي طالبٍ أو أخاه جعفراً أن أبى والدهما قبول الإسلام أو النطق بالشّهادة رغم إلحاح ابن أخيه رسول الله ﷺ، عليه، حبّاً له، وأملاً بإنقاذه من النار.

وإن الناس ليُصدرون أحكاماً على رجالٍ لغلطةٍ وقعت من أحدهم، ربّما كان له عذره، أو لم يقدر للموقف قدره فاجتهد فأخطأ في اجتهاده، وكلّ بني آدم خطاء وخير الخطّائين التوّابون، كما قال رسول الله ﷺ، فما يضير عثمان بن عفان تخلّفه عن بدرٍ وقد عفاه رسول الله ﷺ، إذ طلب منه أن يبقى بالمدينة لتمريض زوجه رُقيّة بنت رسول الله ﷺ. وما يضير عثمان نفسه،

---

(١) سورة المسد: الآيات ١ ـ ٥.

رضي الله عنه، عدم حضوره بيعة الرضوان حيث كان في مهمّةٍ لرسول الله ﷺ، بل للمسلمين عامّةً، مهمّة من أشقّ المهمّات، وهي مفاوضة قريشٍ الثائرة دون حلمٍ، الغاضبة من غير تروٍّ، فربّما تبطش به، أو يقتله أحد رجالها. وما يضير عثمان بن عفّان أيضاً أن ترك موقعه في أُحدٍ، وقد ترك من حوله جميعاً مواقعهم، وعفا الله عنهم كلّهم في كتابه العزيز فقال جلّ من قائلٍ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾[1] لقد عفا الله، غير أنّ أهل الأهواء لم يقبلوا، واتّخذوا من هذا الموقف هجوماً على ذي النورين، رضي الله عنه، ولم يروا سواه حيث أعمتهم العصبيّات الجاهليّة، وصوّبوا السّهام نحوه ظلماً وحقداً. ولم ينتبه العامة إلى

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٢.

تلك الأحقاد، ولم يبحثوا في الأسباب، ولم يدرسوا الأمر ولكن ردّدوا ما يقوله أهل الأهواء جهلاً. ولو تساءل أي إنسانٍ لوصل إلى الحقيقة، هل يبقى مقاتل في مكانه وقد انسحب من حوله؟ وهل البقاء في الميدان وحيداً سوى الانتحار، ورمي النفس في التهلكة؟ غير أنّ أصحاب الأهواء لا يفقهون، والعامّة لا يعلمون بل يصدّقون لجهلهم ويُردّدون ما يسمعون، ولا يعرفون من الأسماء سوى ذي النورين الذي يذكره الحاقدون، ويُوجّهون السهام نحوه.

ويُصدر بعض الناس أحكامهم على الرجال بناءً على ما يسمعونه من الأعداء أو ما يقرؤونه ممّا دوّنه الخصوم، وهذا شأن العامة، فإذا ما رُدّد الكلام شاع، وإذا ما شاع أصبح كأنه أمر مسلّم به، فيتردّد مع مرور الأجيال، بل ويُدوّن من جديدٍ، وتتناقله الألسن حتى يعمّ. ولقد أخذت العصبيّة بعض المجوس الذين أبطنوا مجوسيّتهم، وأظهروا الإسلام خوفاً على أنفسهم وسعياً وراء مصالحهم، وقد شملت هذه العصبيّة الحقد على الإسلام، وتعصّباً للمجوسية فوجّهوا سهامهم ورماحهم على الصدّيق، رضي الله عنه، الذي وجّه الجيوش نحو

دولة فارس المجوسيّة القديمة التي أخذت تتراجع أمام جيوش الفتح، ووجّهوا السهام نحو الفاروق الذي قضى على دولة المجوس وأزال معالمها. ووجّهوا السهام على ذي النورين الذي أعاد فتح المناطق التي نقضت العهد من الأجزاء التي كانت تتبع دولة المجوس، ووجدوا ثغرةً في تاريخ ذي النورين وهي تلك الفتنة العمياء التي أثارها عبد الله بن سبأ اليهوديّ مستفيداً من جهود المجوس واليهود، وقد وقع ذلك في أواخر عهد ذي النورين، هذه الثغرة قد جعلتهم يُركّزون سهامهم على هذا الخليفة الراشد، رضي الله عنه، ورجعوا ينبشون ماضي المنافسة بين بني هاشمٍ وبني أُميّة على الزعامة في الجاهليّة مستغلّين انتماء رسول الله ﷺ، لبني هاشمٍ، وبدأ الطعن ببني أُميّة بصفتهم من منافسي بني هاشمٍ فيذكرون تأخّرهم عن الإسلام، ومحاربة بعض زعمائهم للمسلمين، ويشتمون أولئك السادة من أمثال أبي سفيان، وعثمان، ومعاوية، وخالد بن سعيد و. . . . كلّ من يمتّ إلى بني أُميّة بصلةٍ، أو ساعدهم، أو مشى معهم، أو ولي لهم، بل ومن دافع عنهم، وأنصفهم، وقال كلمة

الحقّ. ووُجّهت السهام إلى الخليفة الراشد الرابع، عليّ بن أبي طالبٍ، رضي الله عنه، بشكلٍ مُضادٍ لبني أُميّة، وحتّى يفتنوا المسلمين عن دينهم، وليلبسوا عليهم أمر عقيدهم، حيث رفعوا هذا الخليفة على الآخرين، كما أطرى النصارى عيسى ابن مريم حتى عبدوه من دون الله، وأبعدوا أتباعهم عن التوحيد. بل وجّهوا السهام إلى كلّ صحابيٍ باستثناء ستةٍ كي لا يُتّهموا إذا لم يستثنوا. فإذا كان الصحابة موضع اتّهامٍ كان ما وصل إلينا من دينٍ يحتاج إلى بحثٍ، وكانت تربية رسول الله ﷺ، ناقصةً، ولم يُؤدّ بذلك الأمانة. ونستغفر الله من هذا كلّه.

ومن كان من أصحاب الأهواء أو أيّدهم فقد رفع الرافضة من مكانتهم، وأشاعوا ما حاكوا لهم من محاسن، ودوّنوا ما وضعوا من نسج الخيال حتى شاع، وأصبح شبه حقيقةٍ، كالدولة الحمدانية الرافضة التي رفع أتباع عقيدتها من شأنها حتى غدا الجبان بطلاً، والسكّير صالحاً، والظالم عادلاً، ومغتصب النساء عفيفاً بل غدا مدحه رفعاً، وذمّه قدحاً، وكم كان المتنبي يُعرّض ببعض

صفاته فيفهم أهل الأدب مدحاً حيث لا صفة له عندهم إلاّ ما يستحقّ الثناء. أراد المتنبي أن يعرّف الناس بجبن سيف الدولة، وأنه يبقى في موقعٍ متأخّرٍ عن الجيش في حرسٍ خاصٍ لحمايته الشخصية فقال له في قصيدةٍ يمدحه:

تـمـرّ بـك الأبـطـال كـلـمـى هـزيـمـةً

ووجــهــك وضّــاح وثــغــرك بــاســم

فالأبطال الفارّون من العدوّ الهاربون من القتال بعد أن يقطعوا مسافةً يمرّون على سيف الدولة فأين هو إذن؟ ومع ذلك فالعامّة من الناس وإن كانوا أدباء أو يُدرّسون الأدب هكذا لأن القصيدة في مجال المدح، وسيف الدولة لا يستحق إلاّ الثناء لما روّج عنه أبناء ملّته فيُردّد الناس البيت على أنه مديح وهو هجاء.

إن على المرء أن يبحث، ويسأل، ويتقصّى ويُفكّر قبل أن يقبل خبراً ويُصدّقه، أو ينقله أو يشيعه فأصحاب الأهواء كثير، والحاقدون أكثر، والكذب منتشر بين الذين لا يؤمنون بآيات الله، وهذا علّة كثير، لا تراعي الدقّة، ولا تهتم بالأمانة، ولا تخشى الله بل همّها إشاعة

فكرها، وبثّ أهدافها.

فيجب توضيح الحقائق وتدوينها كي يطّلع الناس عليها، وفي هذا الكتاب نسجّل تاريخ ذي النورين، رضي الله عنه، بواقعه ـ إن شاء الله ـ لتُعرف الحقيقة من الزيف.

والله نسأل أن يُوفّقنا في هذه المهمّة، فهو ولي التوفيق، ونعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم.

اسْتَطَاعَ قُصَيُّ بنُ كِلاَبِ أَحَدُ رِجَالاَتِ قُرَيْشٍ أَنْ يُعِيدَ لِقَبِيلَتِهِ مَكَانَتَهَا بَعْدَ أَنِ انْتَزَعَتْهَا مِنْهَا خُزَاعَةُ وَصُوفَةُ.

ارْتَفَعَ شَأْنُ عَبْدِ مَنَافِ بنِ قُصَيٍّ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ خُلُقٍ وَكَرَم حَتَّى غَدَا كَأَنَّهُ رَجُلُ مَكَّةَ، وَبَقِيَ إِخْوَتُهُ عَبْدُ الدَّارِ، وَعَبْدُ العُزَّى، وَعَبْدُ دُونَهُ بَلْ كَأَنَّهُمْ تَبَعاً لَهُ، وَرَغِبَ قُصَيٌّ أَنْ يَرْفَعَ مِنْ شَأْنِ وَلَدِهِ عَبْدِ الدَّارِ بِصِفَتِهِ أَكْبَرَ أَوْلاَدِهِ كَنَوْعٍ مِنَ التَّوَازُنِ بَيْنَ الإِخْوَةِ فَجَعَلَ لَهُ الرِّفَادَةَ، وَالسِّقَايَةَ، وَالحِجَابَةَ، وَالنَّدْوَةَ، وَاللِّوَاءَ، وَلَمْ يُعْطِ شَيْئاً لإِخْوَتِهِ الآخَرِينَ.

وَارْتَحَلَ قُصَيٌّ عَنِ الدُّنْيَا فَوَقَعَ الخِلاَفُ بَيْنَ الأَحْفَادِ، وَدَبَّتِ البَغْضَاءُ بَيْنَهُمْ نَتِيجَةَ التَّمْيِيزِ الَّذِي فَعَلَهُ قُصَيٌّ بَيْنَ أَبْنَائِهِ. وَنَازَعَ بَنُو عَبْدِ مَنَافِ أَبْنَاءَ عُمُومَتِهِمْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ عَلَى مَا مَنَحَهُمْ جَدُّهُمْ، وَاخْتَلَفَتْ بُطُونُ قُرَيْشٍ فَمِنْهُمْ مَنْ دَعَمَ هَذَا الطَّرَفَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَيَّدَ ذَلِكَ الجَانِبَ، وَغَدَتِ المُنَافَسَةُ شَائِعَةً بَيْنَ بُطُونِ قُرَيْشٍ.

وَكَانَ لِعَبْدِ مَنافٍ أَرْبَعَةٌ مِنَ الوَلَدِ، وَكَانُوا فَرِيقَيْنِ: نَوْفَلُ مَعَ عَبْدِ شَمْسٍ، وَالمُطَّلِبُ بِجَانِبِ هَاشِمٍ. وَبَرَزَ أُمَيَّةُ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، وَكَانَ يُنَافِسُ عَمَّهُ هَاشِماً وَيُفَاخِرُهُ، وَظَهَرَ مِنْ كِلَا الفَرِيقَيْنِ رِجَالَاتٌ ارْتَفَعَ شَأْنُهُمْ فِي مَكَّةَ بَلْ وَصَلَتْ مَكَارِمُ بَعْضِهِمْ إِلَى أَسْمَاعِ بَقِيَّةِ العَرَبِ، الَّذِينَ كَانُوا يَأْتُونَ إِلَى مَكَّةَ حُجَّاجاً، وَيَنْزِلُونَ بِهَا زُوَّاراً لِمَكَانَتِهَا عِنْدَهُمْ مُنْذُ أَيَّامِ أَبَوَيْهِمْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، كَمَا يَرْحَلُ العَرَبُ إِلَى مَكَّةَ تُجَّاراً وَأُدَبَاءَ حَيْثُ كَانَتْ سُوقُ عُكَاظٍ مُلْتَقًى لِلشُّعَرَاءِ، وَمَكَاناً لِلمُفَاخَرَةِ بَيْنَ القَبَائِلِ، وَاجْتِمَاعُ النَّاسِ يَجْعَلُ المَكَانَ سُوقاً لِلتِّجَارَةِ، وَلِبَيْعِ الرَّقِيقِ الَّذِي كَانَ سَائِداً. وَبِالتِّجَارَةِ وَالبَيْعِ وَالشِّرَاءِ يَنْمُو المَالُ، وَيَكُونُ الارْتِحَالُ، فَكَانَ لِقُرَيْشٍ رِحْلَةٌ إِلَى الشَّامِ فِي الصَّيْفِ، وَأُخْرَى إِلَى اليَمَنِ فِي الشِّتَاءِ، فَكَثُرَتْ أَمْوَالُ السَّادَةِ مِنْ قُرَيْشٍ، وَزَادَ عَدَدُ عَبِيدِهِمْ وَخَدَمِهِمْ، وَأَتَوْا لَهُمْ بِالمَالِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، فَتَضَاعَفَ الثَّرَاءُ، وَتَكَاثَرَتْ رَغَبَاتُ النَّفْسِ. وَهَذَا مَا زَادَ فِي المُنَافَسَةِ وَالمُفَاخَرَةِ، وَاسْتَمَرَّ ذَلِكَ حَتَّى جَاءَ الإِسْلَامُ.

وَإِذَا كَانَتِ الأَعْمَالُ الَّتِي تَرْفَعُ مِنْ شَأْنِ أَصْحَابِهَا وَتَكُونُ فِيهَا المُبَاهَاةُ كَخِدْمَةِ الحَجِيجِ، وَسَدَانَةِ الكَعْبَةِ،

وَأَمْوَالِ الأَصْنَامِ، وَقِيَادَةِ القِتَالِ قَدْ تَوَزَّعَتْ بَيْنَ بُطُونِ قُرَيْشٍ كُلِّهَا، فَكَانَتْ:

السِّقَايَةُ لِبَنِي هَاشِمٍ.	وَالأَعِنَّةُ لِبَنِي مَخْزُومٍ.
وَالرَّايَةُ لِبَنِي أُمَيَّةَ.	وَالدِّيَاتُ لِبَنِي تَيْمٍ.
وَالرِّفَادَةُ لِبَنِي نَوْفَلٍ.	وَالأَزْلاَمُ لِبَنِي جُمَحٍ.
وَالسِّدَانَةُ لِبَنِي عَبْدِ الدَّارِ.	وأَمْوَالُ الأَصْنَامِ لِبَنِي سَهْمٍ.
وَالمَشُورَةُ لِبَنِي أَسَدٍ.	وَالسِّفَارَةُ لِبَنِي عَدِيٍّ.

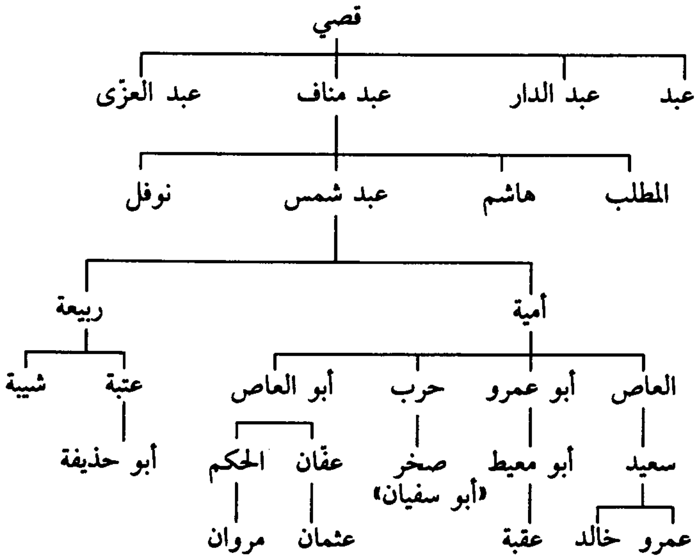
غَيْرَ أَنَّ المُنَافَسَةَ قَدِ اسْتَمَرَّتْ حَتَّى جَاءَ الإِسْلاَمُ، فَقَضَى عَلَى العَصَبِيَّاتِ كُلِّهَا، وَأَصْبَحَتِ المَكَانَةُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لِلتَّقْوَى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[(١)] وَغَدَتِ المُبَاهَاةُ بِالأَحْسَابِ، وَالأَنْسَابِ، وَكَثْرَةِ المَالِ، وَزِيَادَةِ الخَدَمِ نَوْعاً مِنَ العَصَبِيَّةِ الجَاهِلِيَّةِ.

وَيَحْلُو لِبَعْضِ أَصْحَابِ الأَهْوَاءِ وَالبَبَغَاوَاتِ لَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوا هَذِهِ المُنَافَسَةَ مُسْتَمِرَّةً فِي ظِلِّ الإِسْلاَمِ، طَعْناً مِنْهُمْ فِي الدِّينِ حَيْثُ يُرِيدُونَ أَنْ يَقُولُوا: بَقِيَتِ العَصَبِيَّةُ

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.

قَائِمَةً فِي الإِسْلَامِ فَلَمْ يَلْتَزِمْ أَتْبَاعُهُ بِتَعَالِيمِهِ فَلَمْ يَكُنْ إِسْلَامُ بَعْضِهِمْ، إِلاَّ ظَاهِراً - وَذَلِكَ تَبْعاً لِلْهَوَى - وَكُرْهاً وَحَرْباً لِبَنِي أُمَيَّةَ الَّذِينَ كَانُوا يُنَافِسُونَ بَنِي هَاشِمٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ الإِسْلَامِ. وَلَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، فَإِنَّ المُسْلِمَ العَادِيَّ لِجَهْلِهِ وَنَتِيجَةَ مَا سَمِعَ قَدْ يَنْحَازُ لِبَنِي هَاشِمٍ، وَيَتَعَصَّبُ ضِدَّ بَنِي أُمَيَّةَ، وَيَأْخُذُ بَعْدَهَا بِرَأْيِ الرَّافِضَةِ - أَلاَ سَاءَ مَا يَفْعَلُونَ -. إِنَّ المُسْلِمَ مُنْذُ أَنْ يَشْهَدَ لِلَّهِ بِالوِحْدَانِيَّةِ وَلِمُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بِالرِّسَالَةِ يَخْلَعُ مِنْ نَفْسِهِ رَوَاسِبَ الجَاهِلِيَّةِ كُلَّهَا فَيَتْرُكُ العَصَبِيَّةَ، وَيَنْظُرُ إِلَى التَّقْوَى، وَيَعُدُّ المُسْلِمِينَ جَمِيعاً إِخْوَةً لَهُ، وَإِنْ أَخْطَأَ بَعْضُهُمْ فِي اجْتِهَادِهِ فِي بَعْضِ المَوَاقِفِ - حَسْبَ ظَنِّ وَتَقْدِيرِ المُشَاهِدِ -. وَالإِسْلَامُ يَجُبُّ كُلَّ مَا كَانَ قَبْلَهُ. وَمَنِ اجْتَهَدَ وَأَخْطَأَ، لَمْ يَخْرُجْ مِنَ المِلَّةِ، وَإِنَّمَا حِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ. وَمَنْ تَابَ فَإِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ، وَلاَ يُحْكَمُ عَلَى مَنْ أَخْطَأَ حَسْبَ الأَهْوَاءِ وَحَسْبَ الحُكْمِ المُسْبَقِ وَالظَّنِّ المُسْتَعْجِلِ، وَإِنَّمَا بِالعَدْلِ وَالقِسْطَاسِ المُسْتَقِيمِ حَسْبَ مَا يَأْمُرُ بِهِ اللَّهُ، حَسْبَمَا أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِهِ الكَرِيمِ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.


قصي
عبد
عبد الدار
عبد مناف
عبد العزّى
المطلب
هاشم
عبد شمس
نوفل
أمية
ربيعة
العاص
أبو عمرو
حرب
أبو العاص
عتبة
شيبة
سعيد
أبو معيط
صخر
«أبو سفيان»
عفّان
الحكم
أبو حذيفة
عمرو
خالد
عقبة
عثمان
مروان

البَابُ الأوّل

ذو النُّورَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

الفصل الأول

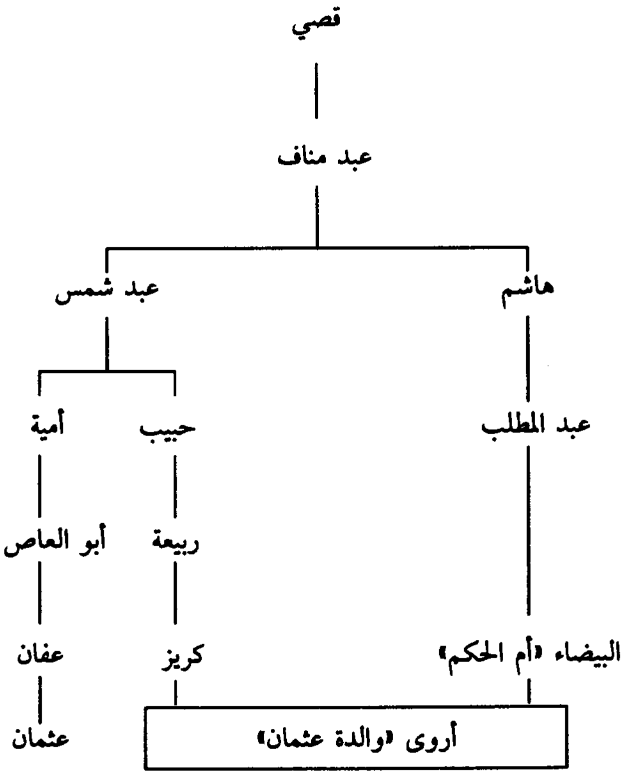
قَبْلَ الإِسْلَامِ

هُوَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ بنِ أَبِي العَاصِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ مَنَافِ بنِ قُصَيِّ بنِ كِلَابٍ. وَأُمُّهُ أَرْوَى بِنْتُ كُرَيْزِ بنِ رَبِيعَةَ بنِ حَبِيبِ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ مَنَافِ بنِ قُصَيِّ بنِ كِلَابٍ، فَأَبُوهُ وَأُمُّهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ. وَيَلْتَقِي بِنَسَبِهِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِي عَبْدِ مَنَافٍ. أَمَّا وَالِدَةُ أُمِّهِ فَهِيَ البَيْضَاءُ «أُمُّ حَكَمٍ» بِنْتُ عَبْدِ المطَّلِبِ بنِ هَاشِمٍ أَيْ عَمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وُلِدَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ بِالطَّائِفِ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنْ عَامِ الفِيلِ، فَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بِستِّ سَنَوَاتٍ. وَكَانَ فِي الجَاهِلِيَّةِ يُكْنَى أَبَا عَمْرٍو، حَتَّى رُزِقَ بِالإِسْلَامِ بِـ«عَبْدِ اللَّهِ» مِنْ رُقَيَّةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكُنِيَ بَعْدَهَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ.

ظَهَرَ عَدَدٌ مِنْ رِجَالاَتِ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ الأَمْرُ الَّذِي جَعَلَ لِهَذَا الفِرْعَ مَكَانَةً فِي هَذِهِ القَبِيلَةِ، وَكَانَتْ لَهُمُ الرَّايَةُ، وَهِيَ بِيَدِ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرِ بنِ حَرْبِ بنِ أُمَيَّةَ أَي ابنِ عَمِّ أَبِيهِ. وَلَمْ تَكُنْ لِأَبِيهِ عَفَّانَ تِلْكَ الزَّعَامَةُ فِي أُسْرَتِهِ.

امْتَهَنَ عُثْمَانُ التِّجَارَةَ، وَارْتَحَلَ وَرَاءَهَا، وَنَمَا مَالُهُ مِنْهَا أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ، حَيْثُ كَانَ عَفِيفَاً مُنْصَرِفَاً إِلَى عَمَلِهِ، لاَ يَلْتَفِتُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ أَقْرَانُهُ مِنْ لَهْوٍ أَوْ سَعْيٍ وَرَاءَ الشَّهْوَةِ، وَكَانَ حَيِّيَاً، وَيَبْتَعِدُ عَنِ الشَّرَابِ حَتَّى لاَ يَفْقِدَ شَيْئَاً مِنْ عَقْلِهِ فَيَهْذِي فَيَضْحَكُ مِنْهُ الآخَرُونَ أَوْ يَسْخَرُونَ، وَهَذَا مَا جَعَلَهُ يَحْتَفِظُ بِمَا تَدُرُّ عَلَيْهِ التِّجَارَةُ مِنْ أَرْبَاحٍ، فَأَثْرَى، وَكَانَتْ لَهُ مَكَانَتُهُ، فَهُوَ صَاحِبُ مَالٍ، وَالمَالُ فِي الجَاهِلِيَّةِ يَرْفَعُ الرِّجَالَ، وَهُوَ مُتَّزِنٌ وَقُورٌ، وَلِهَذَا كَانَ يَأْلَفُ مَنْ كَانَ مِثْلَهُ، وَيَتَرَدَّدُ عَلَى اللِّقَاءَاتِ الَّتِي تَضُمُّ مَنْ كَانَ يُشْبِهُهُ.


قصي
عبد مناف
هاشم
عبد شمس
عبد المطلب
حبيب
أمية
ربيعة
أبو العاص
البيضاء «أم الحكم»
كريز
عفان
أروى «والدة عثمان»
عثمان

كَانَ يَتَرَدَّدُ عَلَى دَارِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَكَان يَرْتَادُهَا أَيْضاً الزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ، وَطَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ عَوْفٍ، وَسَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ. وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ قَدْ أَسْلَمَ، فَدَعَا أَصْحَابَهُ هَؤُلاَءِ فَاسْتَجَابُوا وَقَبِلُوا مِنْهُ، فَجَاءَ بِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَسْلَمُوا وَصَلُّوا، فَكَانَ هَؤُلاَءِ مَعَ عَلِيٍّ، وَزَيْدٍ، وَخَدِيجَةَ الَّذِينَ سَبَقُوا بِالإِسْلاَمِ، فَصَلُّوا، وَصَدَّقُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، بِمَا جَاءَهُ مِنَ اللَّهِ. ثُمَّ تَبِعَهُمْ أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ، وَأَبُو سَلَمَةَ، وَالأَرْقَمُ بنُ أَبِي الأَرْقَمِ، وَعُثْمَانُ بنُ مَظْعُونٍ، وَأَخَوَاهُ قُدَامَةُ وَعَبْدُ اللَّهِ ابْنَا مَظْعُونٍ، وَعُبَيْدَةُ بنُ الحَارِثِ، وَسَعِيدُ بنُ زَيْدٍ، وَخَبَّابُ بنُ الأَرَتِّ وَغَيْرُهُمْ فَكَانَتِ الطَّلِيعَةُ الإِسْلاَمِيَّةُ.

لَمْ يَدْخُلْ أَصْحَابُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ يَوْمَ إِسِلاَمِهِمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، جَمِيعاً بَلْ كَانَ يَدْخُلُ الرَّجُلُ وَحْدَهُ والاثْنَانِ مَعاً. وَقَدْ خَرَجَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ وَطَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ عَلَى أَثَرِ الزُّبَيْر بنِ العَوَّامِ فَدَخَلاَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمَا الإِسْلاَمَ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمَا

القُرْآنَ، وَأَنْبَأَهُمَا بِحُقُوقِ الإِسْلَامِ، وَوَعَدَهُمَا الكَرَامَةَ مِنَ اللَّهِ، فَآمَنَا وَصَدَّقَا، فَقَالَ عُثْمَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدِمْتُ حَدِيثاً مِنَ الشَّامِ، فَلَمَّا كُنَّا بَيْنَ مُعَانٍ وَالزَّرْقَاءِ فَنَحْنُ كَالنِّيَامِ إِذْ مُنَادٍ يُنَادِينَا، أَيُّهَا النِّيَامُ هُبُّوا فَإِنَّ أَحْمَدَ قَدْ خَرَجَ بِمَكَّةَ، فَقَدِمْنَا فَسَمِعْنَا بِكَ[1].

عَنْ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَمْرِو بنِ عُثْمَانَ، وَهُوَ المُلَقَّبُ بِالدِّيبَاجِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: كَانَ إِسْلَامُ عُثْمَانَ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ بِفِنَاءِ الكَعْبَةِ إِذْ أُتِينَا فَقِيلَ لَنَا: إِنَّ مُحَمَّداً قَدْ أَنْكَحَ عُتْبَةَ بنَ أَبِي لَهَبٍ رُقَيَّةَ ابْنَتَهُ، وَكَانَتْ ذَاتَ جَمَالٍ بَارِعٍ، وَكَانَ عُثْمَانُ وَضِيئاً حَسَناً جَمِيلاً أَبْيَضَ مُشْرَباً صُفْرَةً، جَعِدَ الشَّعْرِ، لَهُ جُمَّةٌ أَسْفَلَ مِنْ أُذُنَيْهِ، جَذْلَ السَّاقَيْنِ، طَوِيلَ الذِّرَاعَيْنِ، أَقْنَى بَيِّنَ القَنَا. قَالَ عُثْمَانُ: فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ أَخَذَتْنِي حَسْرَةٌ أَنْ لاَ أَكُونَ سَبَقْتُ إِلَيْهَا، فَلَمْ أَلْبَثْ أَنِ انصَرَفْتُ إِلَى مَنْزِلِي، فَأَصَبْتُ خَالَتِي قَاعِدَةً مَعَ أَهْلِي، قَالَ: وَأُمُّهُ أَرْوَى بِنْتُ كُرَيْزٍ، وَأُمُّهَا البَيْضَاءُ بِنْتُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَخَالَتُهُ الَّتِي أَصَابَهَا عِنْدَ

---

(١) طبقات ابن سعد.

أَهْلِهِ سُعْدَى بِنْتُ كُرَيْزٍ، وَكَانَتْ قَد طَرَقَتْ[1] وَتَكَهَّنَتْ لِقَوْمِهَا. قَالَ: فَلَمَّا رَأَتْنِي قَالَتْ ـ وَيَبْدُو أَنَّ عُثْمَانَ تَفَوَّهَ بِكَلِمَاتٍ تَنُمُّ عَمَّا يُسَاوِرُهُ، وَهُوَ لاَ يَدْرِي ـ:

أَبْشِرْ وَحُيِّيتَ ثَلاَثاً وِتْرَا ثُـمَّ ثَـلاَثَـاً وَثَـلاَثَـاً أُخْـرَى
ثُـمَّ بِـأُخْـرَى تَـتِـمُّ عَـشْـرَا لَقِيتَ خَيْراً وَوُقِيتَ شَرَّا
نَكَحْتَ وَاللَّهِ حِصَاناً زُهْرَا وَأَنْتَ بِكْرٌ وَلَقِيتَ بِكْرَا

قَالَ: فَعَجِبْتُ مِنْ قَوْلِهَا، وَقُلْتُ: يَا خَالَةُ مَا تَقُولِينَ، فَقَالَتْ:

عُثْمَانُ يَا عُثْمَانُ يَا عُثْمَانُ لَكَ الجَمَالُ وَلَكَ الشَّانُ
هَـذَا نَـبِـيٌّ مَـعَـهُ الـبُـرْهَـانُ أَرْسَـلَـهُ بِـحَـقِّـهِ الـدَّيَّـانُ
وَجَاءَهُ التَّنْزِيلُ وَالفُرْقَانُ فَاتَّبِعْهُ لاَ تَغْيَا بِكَ الأَوْثَانُ

فَقَالَتْ: إِنَّ مُحَمَّدَ بنَ عَبْدِ اللَّهِ جَاءَهُ جِبْرِيلُ يَدْعُوهُ إِلَى اللَّهِ. مِصْبَاحُهُ مِصْبَاحُ. وَقَوْلُهُ صَلاَحُ. وَدِينُهُ فَلاَحُ. وَأَمْرُهُ نَجَاحُ. لِقَرْنِهِ نِطَاحُ. ذَلَّتْ لَهُ البِطَاحُ. مَا يَنْفَعُ الصِّيَاحُ. لَوْ وَقَعَ الرِّمَاحُ. وَسُلَّتِ الصِّفَاحُ. وَمُدَّتِ

---

(١) الطرق: الضرب بالحصى، وهو ضرب من التكهّن.

الرِّمَاحُ. ثُمَّ انْصَرَفَتْ، وَوَقَعَ كَلاَمُهَا فِي قَلْبِي. وَبَقِيتُ مُفَكِّراً فِيهِ. وَكَانَ لِي مَجْلِسٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، فَأَتَيْتُهُ بَعْدَ يَوْمِ الاثْنَيْنِ فأَصَبْتُهُ فِي مَجْلِسِهِ، وَلاَ أَحَدَ عِنْدَهُ، فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فَرَآنِي مُتَفَكِّراً، فَسَأَلَنِي عَنْ أَمْرِي، وَكَانَ رَجُلاً رَقِيقاً فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا سَمِعْتُ مِنْ خَالَتِي، فَقَالَ لِي: وَيْحَكَ يَا عُثْمَانُ، وَاللَّهِ إِنَّكَ لَرَجُلٌ حَازِمٌ مَا يَخْفَى عَلَيْكَ الحَقُّ مِنَ البَاطِلِ، هَذِهِ الأَوْثَانُ الَّتِي يَعْبُدُهَا قَوْمُكَ، أَلَيْسَتْ حِجَاراً صُمّاً لاَ تَسْمَعُ وَلاَ تُبْصِرُ، وَلاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنفَعُ!! قُلْتُ: بَلَى واللَّهِ إِنَّهَا لَكَذَلِكَ، قَالَ: وَاللَّهِ، لَقَدْ صَدَقَتْكَ خَالَتُكَ، هَذَا مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ قَدْ بَعَثَهُ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ إِلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ، فَهَلَ لَكَ أَنْ تَأْتِيَهُ وَتَسْمَعَ مِنْهُ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَوَاللَّهِ مَا كَانَ بِأَسْرَعَ مِنْ أَنْ مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَهُ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، يَحْمِلُ ثَوْباً لِرَسُولِ اللَّه، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ قَامَ إِلَيْهِ فَسَارَّهُ فِي أُذُنِهِ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَعَدَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: يَا عُثْمَانُ أَجِبِ اللَّهَ إِلَى جَنَّتِهِ، فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ وَإِلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا

تَمَالَكْتُ حِينَ سَمِعْتُ قَوْلَهُ أَنْ أَسْلَمْتُ وَشَهِدْتُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ لَمْ أَلْبَثْ أَنْ تَزَوَّجْتُ رُقَيَّةَ. وَكَانَ يُقَالُ أَحْسَنُ زَوْجَيْنِ رَآهُمَا إِنْسَانٌ رُقَيَّةُ وَزَوْجُهَا عُثْمَانُ، وَفِي إِسْلاَمِ عُثْمَانَ تَقُولُ خَالَتُهُ سُعْدَى:

هَدَى اللَّهُ عُثْمَانَ الصَّفِيَّ بِقَوْلِهِ
فَأَرْشَدَهُ وَاللَّهُ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ
فَتَابَعَ بِالرَّأْيِ السَّدِيدِ مُحَمَّداً
وَكَانَ ابْنُ أَرْوَى لاَ يَصُدُّ عَنِ الحَقِّ
وَأَنْكَحَهُ المَبْعُوثُ إِحْدَى بَنَاتِهِ
فَكَانَ كَبَدْرٍ مَازَجَ الشَّمْسَ فِي الأُفُقِ
فِدَاكَ يَا ابْنَ الهَاشِمِيينَ مُهْجَتِي
فَأَنْتَ أَمِينُ اللَّهِ أُرْسِلْتَ إِلَى الخَلْقِ(١)

---

(١) الإصابة.

الفصل الثاني

مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فِي مَكَّةَ

أَسْلَمَ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَوَقَفَ بِجَانِبِ رَسُولِ اللَّه ﷺ، الَّذِي أَخَذَ يَدْعُو قَوْمَهُ، فَأَسْلَمَ مَنْ أَسْلَمَ، وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّه مَنْ صَدَّ. وَرَأَى سَادَةُ قُرَيْشٍ فِي دَعْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَطَراً عَلَى مَنَافِعِهِمْ الَّتِي يَحصَلُونَ عَلَيْهَا بِالبَاطِلِ، وَخَطَراً عَلَى شَهَوَاتِهِمْ الَّتِي يَتَمَتَّعُونَ بِهَا بِالحَرَامِ، وَخطَراً عَلَى طُغْيَانِهِمْ عَلَى المُسْتَضْعَفِينَ وَالمَوَالِي وَالعَبِيدِ وَظُلْمِهِمْ لَهُمْ، لِذَا فَقَدْ وَقَفُوا فِي وَجهِ الدَّعْوَةِ وَأَخَذُوا يُذِيقُونَ مُرَّ العَذَابِ مَنْ أَسلَمَ، فَمَنْ كَانَ مِنَ المَوَالِي وَالأَرِقَّاءِ فَقَدْ تَفَنَّنُوا فِي عَذَابِهِ، وَتَحرِيضِ صِبْيَانِهِمْ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ ذَوِي المَكَانَةِ وَالشَّرَفِ فَقَد تَوَلَّى كِبَارُ الأُسْرَةِ أَمْرَ العَذَابِ، وَقَدْ يَكُونُ الحَبْسُ وَالضَّرْبُ.

لَمَّا أَسْلَمَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ أَخَذَهُ عَمُّهُ الحَكَمُ بنُ أَبِي العَاصِ بنِ أُمَيَّةَ، فَأَوْثَقَهُ رِبَاطاً، وَقَالَ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ آبَائِكَ إِلَى دِينٍ مُحْدَثٍ؟ وَاللَّهِ لاَ أَحُلُّكَ أَبَداً حَتَّى تَدَعَ مَا أَنتَ عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّينِ. فَقَالَ عُثْمَانُ: وَاللَّهِ لاَ أَدَعُهُ أَبَداً وَلاَ أُفَارِقُهُ. فَلَمَّا رَأَى الحَكَمُ صَلاَبَتَهُ فِي دِينِهِ تَرَكَهُ.

وَتَزَوَّجَ عُثْمَانُ بَعْدَ إِسْلاَمِهِ رُقَيَّةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ قَدْ خَطَبَهَا قَبْلَ البِعْثَةِ عُتْبَةُ بنُ أَبِي لَهَبِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ. فَلَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَوَقَفَ أَبُو لَهَبٍ ذَلِكَ المَوْقِفَ العِدَائِيَّ مِنَ الدَّعْوَةِ، وَمِنِ ابْنِ أَخِيهِ رَسُولِ اللَّهِ، وَكَذَلِكَ وَقَفَتْ ذَلِكَ المَوْقِفَ نَفْسَهُ زَوْجَةُ أَبِي لَهَبٍ أُمُّ جَمِيلٍ أَرْوَى بِنْتُ حَرْبٍ أُخْتُ أَبِي سُفْيَانَ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ سُورَةَ المَسَدِ ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾﴾[1].

(١) سورة المسد: الآيات ١ ـ ٥.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهَ ﷺ، ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الصَّفَا فَنَادَى: يَا صَبَاحَاهُ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ، فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ العَدُوَّ مُصَبِّحُكُمْ أَوْ مُمَسِّيكُمْ أَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٌ شَدِيدٌ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ إِلَى آخِرِهَا[1]. وَكَانَتْ أُمُّ جَمِيلٍ تَحْمِلُ الشَّوْكَ فَتَطْرَحُهُ عَلَى طَرِيقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَيْثُ يَمُرُّ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُورَةَ المَسَدِ. وَحِينَ سَمِعَتْ أُمُّ جَمِيلٍ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا وَفِي زَوْجِهَا مِنَ القُرْآنِ، أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي المَسْجِدِ عِنْدَ الكَعْبَةِ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَفِي يَدِهَا فِهْرٌ مِنْ حِجَارَةٍ، فَلَمَّا وَقَفَتْ عَلَيْهِمَا أَخَذَ اللَّهُ بِبَصَرِهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَا تَرَى إِلاَّ أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ: أَيْنَ صَاحِبُكَ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ يَهْجُونِي، وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتُهُ لَضَرَبْتُ بِهَذَا الفِهْرِ فَاهُ، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَشَاعِرَةٌ، ثُمَّ قَالَتْ:

---

(١) صحيح البخاري ٤٦٨٨.

مُـذَمَّـمـاً عَـصَـيْـنَـا وَأَمْـرُهُ أَبَـيْـنَـا
وَدِيـنُـهُ قَـلَـيْـنَـا

ثُمَّ انْصَرَفَتْ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَا تُرَاهَا رَأَتْكَ؟ فَقَالَ: مَا رَأَتْنِي، لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ بِبَصَرِهَا عَنِّي[1].

وَبَعْدَهَا قَالَ أَبُو لَهَبٍ لِوَلَدِهِ عُتْبَةَ: رَأْسِي مِنْ رَأْسِكَ حَرَامٌ إِنْ لَمْ تُطَلِّقْ ابْنَتَهُ. فَفَارَقَهَا، وَلَمْ يَكُنْ دَخَلَ بِهَا. وَكَذَلِكَ قَالَ أَبُو لَهَبٍ لِوَلَدِهِ الآخَرِ عُتَيْبَةَ لِيُطَلِّقَ أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أُخْتَ رُقَيَّةَ، فَفَعَلَ كَمَا فَعَلَ أَخُوهُ عُتْبَةُ فَفَارَقَهَا، وَلَمْ يَكُنْ دَخَلَ بِهَا. وَهَدَفُ أَبِي لَهَبٍ ـ قَبَّحَهُ اللَّهُ ـ مُعَادَاةُ ابنِ أَخِيهِ، وَقَطْعُ الصِّلَةِ مَعَهُ، وَعَدَمُ إِيجَادِ رَابِطَةٍ جَدِيدَةٍ بِالمُصَاهَرَةِ، وَمُحَارَبَتُهُ مَادِيّاً بِإِبْقَائِهِ كَثِيرَ العِيَالِ ـ حَسْبَ تَصَوُّرِهِ.

تَزَوَّجَ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رُقَيَّةَ، فَزَادَتْ صِلَتُهُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَانَ مَعَهُ بِجَانِبِهِ فِي المُهِمَّاتِ مُصَاحِباً، وَفِي بَيْتِهِ صِهْراً.

(١) سيرة ابن هشام.

وَاشْتَدَّ أَذَى الْمُشْرِكِينَ لِمَنْ أَسْلَمَ، وَزَادَ الطُّغْيَانُ، وَاتَّسَعَ الظُّلْمُ، وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مَا يُصِيبُ أَصْحَابَهُ مِنَ الْبَلَاءِ، وَمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْعَافِيَةِ بِمَكَانِهِ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَمْنَعَهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ من الْبَلَاءِ، فَقَالَ لَهُمْ: (لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَإِنَّ بِهَا مَلِكاً لاَ يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجاً مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ). فَخَرَجَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، مَخَافَةَ الْفِتْنَةِ وَفِرَاراً إِلَى اللَّهِ بِدِينِهِمْ فَكَانَتْ أَوَّلَ هِجْرَةٍ فِي الإِسْلَامِ.

وَأَبْطَأَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، خَبَرُ ابْنَتِهِ فَجَعَلَ يَتَوَكَّفُ الْخَبَرَ فَقَدِمَتِ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَسَأَلَهَا، فَقَالَتْ: رَأَيْتُهَا، فَقَالَ: عَلَى أي حَالٍ رَأَيْتِهَا؟ قَالَتْ: رَأَيْتُهَا وَقَدْ حَمَلَهَا عَلَى حِمَارٍ مِنْ هَذِهِ الدَّوَابِّ وَهُوَ يَسُوقُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: صَحِبَهُمَا اللَّهُ، إِنْ كَانَ عُثْمَانُ لأَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَ لُوطٍ.

لَمْ يُهَاجِرْ إِلَى الْحَبَشَةِ إِلاَّ مَنْ كَانَ مِنَ الأَحْرَارِ لِأَنَّ

الأَرِقَّاءَ حَسْبَ أَعْرَافِ الجَاهِلِيَّةِ مُرْتَبِطُونَ بِسَادَتِهِمْ، فَخَرَجَ مِنَ المُسْلِمِينَ عَشْرَةُ رِجَالٍ، وَمَعَهُمْ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ.

١ ـ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ، وَمَعَهُ زَوْجُهُ رُقَيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢ ـ أَبُو حُذَيْفَةَ بنُ عُتْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ، وَمَعَهُ زَوْجُهُ سَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْلِ بنِ عَمْروٍ.

٣ ـ أَبُو سَلَمَةَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَبْدِ الأَسَدِ المَخْزُومِيُّ، وَمَعَهُ زَوْجُهُ أُمُّ سَلَمَةَ هِنْدُ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ.

٤ ـ عَامِرُ بنُ رَبِيعَةَ، وَمَعَهُ زَوْجُهُ لَيْلَى بِنْتُ أَبِي حَثْمَةَ بنِ حُذَيْفَةَ.

٥ ـ سُهَيْلُ بنُ بَيْضَاءَ.

٦ ـ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ عَوْفٍ.

٧ ـ الزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ.

٨ ـ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ.

٩ ـ أَبُو سَبْرَةَ بنُ أَبِي رُهْمٍ.

١٠ـ عُثْمَانُ بنُ مَظْعُونٍ، وَهُوَ الأَمِيرُ عَلَيْهِمْ.

وَكَانَ هَؤُلاَءِ العَشَرَةُ هُمُ المَجْمُوعَةُ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضِ الحَبَشَةِ، وَكَانَ خُرُوجُهُمْ فِي شَهْرِ رَجَبَ مِنَ السَّنَةِ الخَامِسَةِ لِلْبِعْثَةِ النَّبَوِيَّةِ.

خَرَجَتْ رُقَيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مُهَاجِرَةً، وَهِيَ حَامِلُ مِنْ زَوْجِهَا عُثْمَانَ، وَفِي أَرْضِ الحَبَشَةِ أَسْقَطَتْ سَقْطاً.

وَأَخَذَ المُهَاجِرُونَ بَعْدَئِذٍ يَتَتَابَعُونَ حَتَّى بَلَغَ عَدَدُهُمْ ثَلاَثَةً وَثَمَانِينَ، وَلَكِنْ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ أُشِيعَ فِي الحَبَشَةِ أَنَّ قُرَيْشاً قَدْ أَسْلَمَتْ، وَانْتَشَرَ هَذَا الخَبَرُ، فَدَبَّتِ الحَمَاسَةُ عِنْدَ بَعْضِ المُهَاجِرِينَ لِلْعَوْدَةِ فَرَجَعُوا فِي شَهْرِ شَوَّالَ مِنَ السَّنَةِ الخَامِسَةِ، وَكَانَ مِنْهُمُ الدُّفْعَةُ الأُولَى مِنَ المُهَاجِرِينَ جَمِيعاً، أَيْ لَمْ يَمْكُثْ هَؤُلاَءِ فِي الحَبَشَةِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلاَثَةِ أَشْهُرٍ، وَمِنْهُمْ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ، وَزَوْجُهُ رُقَيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

مَعَ الهِجْرَةِ إِلَى الحَبَشَةِ:

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَى الحَبَشَةِ مِنْ بَطْنٍ وَاحِدٍ مِنْ

قُرَيْشٍ بَلْ مِنَ البُطُونِ كُلِّهَا، وَلاَ مِنْ فِئَةٍ مُعَيَّنَةٍ بَلْ مِنَ الفِئَاتِ جَمِيعِهَا، فَقَدْ هَاجَرَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ، مِنْ أَقْرِبَاءِ عُثْمَانَ، خَالِدُ بنُ سَعِيدِ بنِ العَاصِ، وَمَعَهُ زَوْجُهُ أَمِينَةُ بِنْتُ خَلَفِ بنِ أَسْعَدَ الخُزَاعِيَّةَ، وَقَدْ أَنْجَبَتْ هُنَاكَ ابْنَهَا سَعِيداً، وَابْنَتَهَا أَمَةَ، وَعَمْرُو بنُ سَعِيدِ بنِ العَاصِ، وَمَعَهُ زَوْجُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ صَفْوَانَ بنِ أُمَيَّةَ بنِ مُحَرِّثٍ، وَهُمَا مِنْ سَادَاتِ قُرَيْشٍ. هَذَا إِضَافَةً إِلَى هِجْرَةِ عَدَدٍ مِنْ حُلَفَائِهِمْ. وَبَقِيَ الأَخَوَانِ خَالِدٌ وَعَمْرٌو ابْنَا سَعِيدِ بنِ العَاصِ فِي الحَبَشَةِ مَعَ جَعْفَرِ بنِ أَبِي طَالِبٍ، وَقَدِمَا مَعَهُ إِلَى المَدِينَةِ سَنَةَ سَبْعٍ لِلْهِجْرَةِ، وَشَهِدَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتْحَ مَكَّةَ، وَحُنَيْناً وَالطَّائِفَ وَتَبُوكَ. وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، خَالِداً عَامِلاً عَلَى صَدَقَاتِ اليَمَنِ، وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَخَالِدٌ عَلَى صَدَقَاتِ مُذْحِجَ. وَخَرَجَا مَعَ جُيُوشِ الفَتْحِ، وَاسْتُشْهِدَ عَمْرٌو يَوْمَ أَجْنَادِينَ عَامَ ثَلاَثَةَ عَشَرَ، وَاسْتُشْهِدَ خَالِدٌ يَوْمَ مَرْجِ الصُّفَّرِ وَهُوَ قَائِدُ المُسْلِمِينَ يَوْمَذَاكَ.

عُثْمَانُ فِي مَكَّةَ:

بَعْدَ أَنْ رَجَعَ عُثْمَانُ مِنَ الحَبَشَةِ عَاشَ فِي مَكَّةَ بِجَانِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَهُوَ صِهْرُهُ، يَتَحَمَّلُ الأَذَى

وَيَصْبِرُ، وَتَنَالُهُ الضَّرَّاءُ وَيَسْكُتُ، وَيُحَارَبُ بِتِجَارَتِهِ وَلاَ يَتَكَلَّمُ، وَقَدْ يَنَالُ بَعْضُهُمْ مِنْهُ فَلاَ يَرُدُّ بِالمِثْلِ، طَبْعُهُ هَادِىءٌ، وَلاَ يُرِيدُ أَنْ يَنْزِلَ إِلَى مُسْتَوَى بَعْضِهِمْ، يَحْتَفِظُ بِمَكَانَتِهِ، وَيُعْطِي الصِّفَةَ الكَامِلَةَ لِلْمُسْلِمِ ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾[1].

وَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، طِبَاعَ عُثْمَانَ فَعَمِلَ أَنْ يُجَنِّبَهُ قُرَيْشاً حَتَّى لاَ يُطْمِعَ سُكُوتُهُ الجَاهِلِينَ فَيَزْدَادُوا فِي غَيِّهِمْ.

وَكَانَ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يُقَدِّمُ بَعْضَ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الدَّعْوَةُ، فَوَضْعُهُ المَادِيُّ يَسْمَحُ لَهُ بِذَلِكَ، وَقَدْ عُرِفَ بِعَطَائِهِ، وَاشْتُهِرَ بِسَخَائِهِ.

وَفِي السَّنَةِ الحَادِيَةِ عَشْرَةَ لِلْبِعْثَةِ أَيْ قَبْلَ الهِجْرَةِ بِعَامَيْنِ رُزِقَ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِغُلاَمٍ مِنْ زَوْجِهِ رُقَيَّةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَسْمَاهُ «عَبْدَ اللَّهِ».

بَعْدَ بَيْعَةِ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ وَمَعْرِفَةِ قُرَيْشٍ بِمَا تَمَّ بِهَا اشْتَدَّ

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٦٣.

أَذَى الطُّغَاةِ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ إِذْ عَلِمُوا أَنَّهُ قَدْ أَصْبَحَ لِلْمُسْلِمِينَ أَنْصَارًا فِي المَدِينَةِ، وَالمَدِينَةُ ذَاتُ أَثَرٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُرَيْشٍ حَيْثُ هِيَ فِي طَرِيقِ قَوَافِلِهِمْ إِلَى الشَّامِ، وأَصْبَحَتْ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهَا قُوَّةٌ فِيمَا إِذَا انْتَقَلُوا إِلَيْهَا، وَبِإِمْكَانِهِمْ بَعْدَ الآنَ مُنَازَلَةُ قُرَيْشٍ.

وَأَذِنَ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ بِالحَرْبِ بَعْدَ أَنْ بَايَعَهُ هَذَا الحَيُّ مِنَ الأَنْصَارِ عَلَى الإِسْلَامِ، والنُّصْرَةِ لَهُ وَلِمَنْ اتَّبَعَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾[1] عِنْدَهَا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَصْحَابَهُ مَنْ كَانَ قَدْ هَاجَرَ إِلَى الحَبَشَةِ مِنْ قَوْمِهِ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ

---

(١) سورة الحج: الآيات ٣٩ ـ ٤١.

بِمَكَّةَ مِنَ المُسْلِمِينَ بِالخُرُوجِ إِلَى المَدِينَةِ وَالهِجْرَةِ إِلَيْهَا، وَاللُّحُوقِ بِإِخْوَانِهِمْ مِنْ الأَنْصَارِ، وَقَالَ لَهُمْ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ إِخْوَاناً وَدَاراً تَأْمَنُونَ بِهَا). فَخَرَجُوا أَرْسَالاً[1].

وَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بِمَكَّةَ يَنْتَظِرُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ رَبُّهُ فِي الخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ، وَالهِجْرَةِ إِلَى المَدِينَةِ.

وَأَمَّا عُثْمَانُ فَقَدْ هَاجَرَ مَعَ زَوْجَتِهِ رُقَيَّةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ، وَلَمْ يَنْتَظِرْ، ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ أَدْرَكَ أَنَّ قُرَيْشاً سَتَمْنَعُهُ مِنَ الخُرُوجِ بِمَالِهِ، وَهُوَ صَاحِبُ ثَرْوَةٍ، وَقَدْ فَعَلَتْ ذَلِكَ مَعَ صُهَيْبِ بنِ سِنَانٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لِذَا فَقَدْ خَرَجَ عُثْمَانُ بِمَالِهِ قَبْلَ أَنْ يَحُولَ الطُّغَاةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَالِهِ الَّذِي هُوَ عِمَادُ تِجَارَتِهِ، وَأَسَاسُ عَمَلِهِ، وَمَصْدَرٌ مِنْ مَصَادِرِ نَفَقَاتِ الدَّعْوَةِ. وَنَزَلَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَلَى أَوْسِ بنِ ثَابِتِ بنِ المُنْذِرِ أَخِي حَسَّانَ بنِ ثَابِتٍ، شَاعِرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِي دَارِ بَنِي النَّجَّارِ.

---

(١) أرسالاً: جماعةً إثر جماعةٍ.

الفصل الثالث

مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فِي دَارِ الهِجْرَةِ

جَاءَ الإِذْنُ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ لِرَسُولِهِ بِالهِجْرَةِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ فَهَاجَرَ وَمَعَهُ الصِّدِّيقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَآخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بَيْنَ المُسْلِمِينَ مِنْ مُهَاجِرِينَ وَأَنْصَارٍ، فَآخَى بَيْنَ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ وَبَيْنَ أَوْسِ بنِ ثَابِتٍ.

وَقَامَتْ دَوْلَةُ الإِسْلَامِ، وَخَطَّ رَسُولُ اللَّه ﷺ الدُّورَ، فَخَطَّ لِعُثْمَانَ دَارَهُ، وَكَانَتْ مُقَابِلَ بَابِ النَّبِيِّ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَخْرُجُ مِنْهُ. وَكَانَ عُثْمَانُ بِجَانِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فِي بَدْرٍ:

كَانَتْ قَافِلَةُ أَبِي سُفْيَانَ قَدْ أُفْلِتَتْ مِنْ يَدِ المُسْلِمِينَ، وَهِيَ فِي طَرِيقِهَا إِلَى الشَّامِ، وَقَدْ وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،

مَنْ يَرْصُدُهَا أَثْنَاءَ عَوْدَتِهَا، فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بِأَبِي سُفْيَانَ مُقْبِلاً مِنَ الشَّامِ، وَقَدِ اقْتَرَبَ مِنَ الْمَدِينَةِ، نَدَبَ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِمْ، وَقَالَ: (هَذِهِ عِيرُ قُرَيْشٍ فِيهَا أَمْوَالُهُمْ، فَاخْرُجُوا إِلَيْهَا لَعَلَّ اللَّهَ يُنْفِلُكُمُوهَا). فَانْتَدَبَ النَّاسُ فَخَفَّ بَعْضُهُمْ وَثَقُلَ بَعْضُهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمْ يَظُنُّوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَلْقَى حَرْباً.

كَانَتْ رُقَيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، زَوْجُ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ، مَرِيضَةً، وَأَرَادَ عُثْمَانُ الْخُرُوجَ مَعَ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِمُلَاقَاةِ الْعِيرِ، غَيْرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَمَرَهُ بِالْبَقَاءِ بِجَانِبِ زَوْجَتِهِ لِتَمْرِيضِهَا، فَوَلَدُهَا عَبْدُ اللَّهِ صَغِيرٌ، وَلَيْسَ بِجَانِبِهَا أَحَدٌ، وَقَدِ اشْتَدَّ عَلَيْهَا الْوَجَعُ، فَتَخَلَّفَ بِذَلِكَ عُثْمَانُ عَنْ بَدْرٍ بِأَمْرٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

تُوفِّيَتْ رُقَيَّةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَثْنَاءَ غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَبَعْدَمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ بَدْرٍ، بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، عَبْدَ اللَّهِ بنَ رَوَاحَةَ بَشِيراً إِلَى أَهْلِ الْعَالِيَةِ، وَبَعَثَ زَيْدَ بنَ حَارِثَةَ إِلَى أَهْلِ السَّافِلَةِ. قَالَ أُسَامَةُ بنُ زَيْدٍ: فَأَتَانَا الْخَبَرُ حِينَ سَوَّيْنَا التُّرَابَ عَلَى رُقَيَّةَ

بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ.

وَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، لِعُثْمَانَ بِسَهْمِهِ وَأَجْرِهِ فِي بَدْرٍ، فَكَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا، وَيُعَدُّ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنَ البَدْرِيِّينَ.

وَعَلَى الرَّغمِ مِنْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، هُوَ الَّذِي أَمَرَ عُثْمَانَ بِالبَقَاءِ بِجَانِبِ زَوْجَتِهِ رُقَيَّةَ، وَأَنَّهُ قَدْ عَدَّهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، وَأَعْطَاهُ سَهْمَاً كَالَّذِينَ شَهِدُوهَا، وَكَذَلِكَ كَانَ أَجْرُهُ كَالآخَرِينَ، وَمَعَ ذَلِكَ فَأَهْلُ الأَهْوَاءِ وَأَعْدَاءُ المُسْلِمِينَ يَطْعَنُونَ بِعُثْمَانَ، وَيَتَّهِمُونَهُ بِالتَّخَلُّفِ عَنْ بَدْرٍ. وَكَأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يُشَرِّعُونَ. وَيَسْتَغِلُّونَ جَهْلَ العَامَّةِ فَيَتَكَلَّمُونَ كَمَا يَشَاؤُونَ وَيُدَوِّنُونَ كَمَا يُرِيدُونَ، فَيَشِيعُ الغَلَطُ، وَبِذَا يَنْشُرُونَ آرَاءَهُمْ.

زَوَاجُ عُثْمَانَ مِنْ أُمِّ كُلْثُوم:

فِي الوَقْتِ الَّذِي تُوفِّيَتْ فِيهِ رُقَيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، زَوْجُ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ، كَانَ قَدْ تُوفِّيَ خُنَيْسُ بنُ حُذَافَةَ السَّهْمِيّ زَوْجُ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ. فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّةُ حَفْصَةَ، لَقِيَ أَبُوهَا الفَارُوقُ

عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ فَعرَضَهَا عَلَيْهِ، فَأَجَابَهُ عُثْمَانُ: مَالِي فِي النِّسَاءِ حَاجَةٌ. فَلَقِيَ أَبَا بَكْرٍ فَعَرَضَهَا عَلَيْهِ، فَسَكَتَ، فَغَضِبَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ قَدْ خَطَبَهَا فَتَزَوَّجَهَا. فَلَقِيَ عُمَرُ أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ: إِنِّي عَرَضْتُ عَلَى عُثْمَانَ ابْنَتِي فَرَدَّنِي، وَعَرَضْتُ عَلَيْكَ فَسَكَتَّ، فَلأَنَا كُنْتُ أَشَدَّ غَضَباً حِينَ سَكَتَّ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ وَقَدْ رَدَّنِي. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّهُ قَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ، ذَكَرَ مِنْهَا شَيْئاً، وَكَانَ سِرّاً، فَكَرِهْتُ أَنْ أُفْشِيَ السِّرَّ.

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ أَنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتُوفِّيَ بِالمَدِينَةِ قَالَ عُمَرُ: فَأَتَيْتُ عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، قَالَ: قُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ، فَقَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي. فَمَكَثْتُ لَيَالِيَ، ثُمَّ لَقِيَنِي فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لاَ أَتزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا. قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ زَوَّجْتُكَ حَفْصَةَ، قَالَ عُمَرُ: فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يُرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئاً فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ. فَمَكَثْتُ لَيَالِيَ، ثُمَّ خَطَبَهَا

رَسُولُ اللَّهِ فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أُرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئاً. قَالَ عُمَرُ: فَقُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أُرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ إِلاَّ أَنِّي كُنْتُ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَدْ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَوْ تَرَكَهَا رَسُولُ اللَّهِ قَبِلْتُهَا.

وَعَنِ الحَسَنِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، كَانَتْ بَعْضُ بَنَاتِهِ عِنْدَ عُثْمَانَ فَتُوفِّيَتْ، فَلَقِيَهُ عُمَرُ، فَرَآهُ حَزِيناً، وَرَأَى مِن جَزَعِهِ، فَقَالَ لَهُ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: لَقِيتُ عُثْمَانَ فَرَأَيْتُ مِنْ جَزَعِهِ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى خَتَنٍ هُوَ خَيْرٌ مِنْ عُثْمَانَ، وَأَدُلُّ عُثْمَانَ عَلَى خَتَنٍ هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْكَ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَتَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ حَفْصَةَ، وَزَوَّجَ بِنْتاً لَهُ عُثْمَانَ.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بنِ جُبَيْرِ بنِ مُطْعَم قَالَ: قَالَ عُمَرُ: لَمَّا تُوفِّيَ خُنَيْسُ بنُ حُذَافَةَ السَّهْمِيُّ عَرَضْتُ حَفْصَةَ عَلَى عُثْمَانَ، فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقُلْتُ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلاَ تَعْجَبُ مِنْ عُثْمَانَ، إِنِّي عَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَدْ زَوَّجَ اللَّهُ عُثْمَانَ خَيْرَاً مِنْ ابْنَتِكَ، وَزَوَّجَ ابْنَتَكَ خَيْرَاً مِنْ عُثْمَانَ. قَالَ: وَكَانَ عُمَرُ عَرَضَ حَفْصَةَ عَلَى عُثْمَانَ مُتَوَفَّى رُقَيَّةَ بِنْتِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعُثْمانُ يَوْمَئِذٍ يُرِيدُ أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَعْرَضَ عُثْمَانُ عَنْ عُمَرَ لِذَلِكَ، فَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَفْصَةَ، وَزَوَّجَ أُمَّ كُلْثُومٍ مِنْ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ.

تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَفْصَةَ فِي شَعْبَانَ عَلَى رَأْسِ ثَلاَثِينَ شَهْرَاً مِنْ هِجْرَتِهِ، قَبْلَ أُحُدٍ.

وَعَنْ سَعِيدِ بنِ المُسَيِّبِ قَالَ: أَيِمَتْ حَفْصَةُ مِنْ زَوْجِهَا، وَأَيِمَ عُثْمَانُ مِنْ رُقَيَّةَ، فَمَرَّ عُمَرُ بِعُثْمَانَ، وَهُوَ كَئِيبٌ حَزِينٌ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ فِي حَفْصَةَ فَقَدْ فَرَطَتْ عِدَّتُهَا مِنْ فُلاَنٍ؟ فَلَمْ يُحِرْ إِلَيْهِ شَيْئَاً. قَالَ: فَذَهَبَ عُمَرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: خَيْرَاً مِنْ ذَلِكَ، زَوِّجْنِي حَفْصَةَ، وَأُزَوِّجُهُ مِنْ أُمِّ كُلْثُومٍ أُخْتِهَا. قَالَ: فَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَفْصَةَ، وَزَوَّجَ عُثْمَانَ أُمَّ كُلْثُومٍ.

قَالَ سَعِيدٌ: فَخَارُ اللَّهِ لَهُمَا جَمِيعَاً، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، لِحَفْصَةَ خَيْرَاً مِنْ عُثْمَانَ، وَكَانَتْ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لِعُثْمَانَ خَيْرَاً مِنْ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ.

وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ الله أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ أُزَوِّجَ كَرِيمَتَيَّ عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ)[1].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ، عُثْمَانَ عِنْدَ بَابِ المَسْجِدِ فَقَالَ: (يَا عُثْمَانُ هَذَا جِبْرِيلُ أَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُزَوِّجَكَ أُمَّ كُلْثُومٍ بِمِثْلِ صَدَاقِ رُقَيَّةَ، وَعَلَى مِثْلِ صُحْبَتِهَا)[2].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَيْضَاً قَالَ: قَالَ عُثْمَانُ لَمَّا مَاتَتِ امْرَأَتُهُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: بَكِيتُ بُكَاءً شَدِيدَاً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا يُبْكِيكَ؟) قُلْتُ: أَبْكِي عَلَى انْقِطَاعِ صِهْرِي مِنْكَ قَالَ: (فَهَذَا جِبْرِيلُ يَأْمُرُنِي بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ أُزَوِّجَكَ أُخْتَهَا).

وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ مَعْنَاهُ ـ وَزَادَ فِيهِ ـ (وَالَّذِي نَفْسِي

---

(١) أخرجه الطبراني.
(٢) أخرجه ابن ماجه.

بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مِائَةَ بِنْتٍ تَمُوتُ وَاحِدَةٌ بَعْدَ وَاحِدَةٍ زَوَّجْتُكَ أُخْرَى حَتَّى لاَ يَبْقَى مِنَ المِائَةِ شَيْءٌ، هَذَا جِبْرِيلُ أَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَأْمُرُنِي أَنْ أُزَوِّجَكَ أُخْتَهَا، وَأَنْ أَجْعَلَ صَدَاقَهَا مِثْلَ صَدَاقِ أُخْتِهَا»[١].

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: (لَوْ كَانَ عِنْدِي أَرْبَعُونَ بِنْتاً لَزَوَّجْتُ عُثْمَانَ وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ حَتَّى لاَ يَبْقَى مِنْهُنَّ وَاحِدَةٌ)[٢].

وَخَلَفَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ عَلَى أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ، وَكَانَتْ بِكْراً، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ سَنَةَ ثَلاَثٍ مِنَ الهِجْرَةِ، وَأُدْخِلَتْ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي جُمَادَى الآخِرَةِ، فَلَمْ تَزَلْ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ مَاتَتْ، وَلَمْ تَلِدْ لَهُ شَيْئاً، وَمَاتَتْ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ تِسْعٍ مِنَ الهِجْرَةِ.

فِي أُحُدٍ:

سَارَتْ قُرَيْشٌ وَمَنِ انْضَمَّ إِلَيْهَا مِنَ العَرَبِ، وَمَنْ

---

(١) الرياض النضرة.

(٢) المصدر السابق، ولا تعارض مع سابقه حيث يحمل على تكرّر القول.

أَطَاعَهَا مِنْ قَبَائِلِ كِنَانَةَ، وَأَهْلِ تِهَامَةَ لِغَزْوِ المَدِينَةِ وَالثَّأْرِ لِقَتْلَى بَدْرٍ - حَسْبَ زَعْمِهِمْ - وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مَعَ المُسْلِمِينَ، غَيْرَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بنَ أُبَيٍّ بنِ سَلُولِ كَبِيرَ المُنَافِقِينَ قَدِ انْخَذَلَ عَنْهُمْ بِثُلُثِ النَّاسِ قَائِلاً: أَطَاعَهُمْ وَعَصَانِي، مَا نَدْرِي عَلاَمَ نَقْتُلُ أَنْفُسَنَا هَاهُنَا أَيُّهَا النَّاسُ.

وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى نَزَلَ الشِّعْبَ مِنْ أُحُدٍ، فِي عُدْوَةِ الوَادِي إِلَى الجَبَلِ، فَجَعَلَ ظَهْرَهُ وَعَسْكَرَهُ إِلَى أُحُدٍ.

وَتَعَبَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، لِلْقِتَالِ، وَهُوَ فِي سَبْعِمِائَةِ رَجُلٍ، وَأَمَّرَ عَلَى الرُّمَاةِ عَبْدَ اللَّهِ بنَ جُبَيْرٍ، وَهُوَ مُعْلَمٌ يَوْمَئِذٍ بِثِيَابٍ بِيضٍ، وَالرُّمَاةُ خَمْسُونَ رَجُلاً، فَقَالَ: انْضَحِ الخَيْلَ عَنَّا بِالنَّبْلِ، لاَ يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا، إِنْ كَانَتْ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا، فَاثْبُتْ مَكَانَكَ لاَ نُؤْتَيَنَّ مِنْ قِبَلِكَ.

ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ نَصْرَهُ عَلَى المُسْلِمِينَ وَصَدَقَهُمْ وَعْدَهُ فَحَسُّوهُمْ بِالسُّيُوفِ حَتَّى كَشَفُوهُمْ عَنِ العَسْكَرِ، وَكَانَتِ الهَزِيمَةُ لاَ شَكَّ فِيهَا.

غَيْرَ أَنَّ رُمَاةَ المُسْلِمِينَ حِينَ رَأَوْا مَا حَلَّ بِالمُشْرِكِينَ ظَنُّوا أَنَّ الْمَعرَكَةَ قَدِ انْتَهَتْ فَتَرَكُوا مَوَاقِعَهُمْ، رَغْمَ مُحَاوَلَةِ أَمِيرِهِمْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ جُبَيْرٍ، إِلاَّ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا مِنْهُ، وَمَعَ تَرْكِهِمُ المَوَاقِعَ انْكَشَفَ ظَهْرُ المُسْلِمِينَ، وَصَرَخَ صَارِخٌ أَلاَ إِنَّ مُحَمَّداً قَدْ قُتِلَ، فَانْكَفَأَ المُسْلِمُونَ، وَانْكَفَأَ عَلَيْهِمُ القَوْمُ.

انْكَشَفَ المُسْلِمُونَ فَأَصَابَ فِيهِمُ العَدُوُّ، وَكَانَ يَوْمَ بَلاَءٍ، وَتَمْحِيصٍ، أَكْرَمَ اللَّهُ فِيهِ مَنْ أَكْرَمَ مِنَ المُسْلِمِينَ بِالشَّهَادَةِ، حَتَّى خَلَصَ العَدُوُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَتَرَاجَعَ المُسْلِمُونَ، وَفِيهِمْ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ، وَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَبْقَى وَحْدَهُ فِي المَيْدَانِ؟ غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ الأَهْوَاءِ لاَ يَرَوْنَ إِلاَّ مَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ، فَلَمْ يَرَوْا مِنَ المُتَرَاجِعِينَ إِلاَّ عُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَكَانُوا يَتَّهِمُونَهُ دُونَ سَائِرِ المُتَرَاجِعِينَ. وَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَبْقَى وَحْدَهُ؟ وَلَوْ فَعَلَ لَخَاطَرَ بِنَفْسِهِ وَرَمَى بِهَا.

ثُمَّ انْتَبَهَ المُسْلِمُونَ إِلَى رَسُولِهِمْ، وَثَابُوا إِلَى رُشْدِهِمْ، وَنَهَضُوا بِالرَّسُولِ إِلَى الشِّعْبِ، وَثَبَتُوا لِلْمُشْرِكِينَ

الَّذِينَ لَمْ يَنَالُوا شَيْئَاً وَاضْطَرُّوا إِلَى الانْسِحَابِ.

غَزْوَةُ غَطَفَانَ بِذِي أَمَرَّ:

وَكَانَتْ فِي رَبِيعِ الأَوَّلِ، عَلَى رَأْسِ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ شَهْرَاً مِنَ الهِجْرَةِ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَوْمَ الخَمِيسِ لاِثْنَتَيْ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَبِيعِ الأَوَّلِ، فَغَابَ أَحَدَ عَشَرَ يَوْمَاً.

كَانَ قَدْ بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَنَّ جَمْعَاً مِنْ ثَعْلَبَةَ وَمُحَارِبِ مِنْ غَطَفَانَ قَدْ تَجَمَّعُوا بِذِي أَمَرَّ يُرِيدُونَ أَنْ يُصِيبُوا مِنْ أَطْرَافِ المَدِينَةِ، جَمَعَهُمْ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ «دُعْثُورُ» ابنُ الحَارِثِ بنِ مُحَارِبٍ. فَنَدَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، المُسْلِمِينَ فَخَرَجَ فِي أَرْبَعِمِائَةِ رَجُلٍ وَخَمْسِينَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى المَدِينَةِ عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّا اقْتَرَبَ المُسْلِمُونَ مِنْ أَمَاكِنِ غَطَفَانَ هَرَبَ المُشْرِكُونَ إِلَى رُؤُوسِ الجِبَالِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ذَا أَمَرَّ، وَعَسْكَرَ مُعَسْكَرَهُمْ، فَأَصَابَهُمْ مَطَرٌ كَثِيرٌ. فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، لِحَاجَتِهِ فَأَصَابَهُ ذَلِكَ المَطَرُ فَبَلَّ ثَوْبَهُ، وَقَدْ جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَادِي أَمَرَّ

بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَصْحَابِهِ. ثُمَّ نَزَعَ ثِيَابَهُ فَنَشَرَهَا لِتَجِفَّ، وَأَلْقَاهَا عَلَى شَجَرَةٍ، ثُمَّ اضْطَجَعَ تَحْتَهَا، وَالأَعْرَابُ يَنْظُرُونَ إِلَى كُلِّ مَا يَفْعَلُ، فَقَالَتِ الأَعْرَابُ لِدُعْثُورٍ، وَكَانَ سَيِّدَهَا وَأَشْجَعَهَا: قَدْ أَمْكَنَكَ مُحَمَّدٌ، وَقَدِ انْفَرَدَ مِنْ أَصْحَابِهِ حَيْثُ إِنْ غَوَّثَ بِأَصْحَابِهِ لَمْ يُغَثْ حَتَّى تَقْتُلَهُ. فَاخْتَارَ سَيْفاً مِنْ سُيُوفِهِمْ صَارِماً، ثُمَّ أَقْبَلَ مُشْتَمِلاً عَلَى السَّيْفِ حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ، بِالسَّيْفِ مَشْهُوراً، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي اليَوْمَ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُ! قَالَ: وَدَفَعَ جِبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فِي صَدْرِهِ، وَوَقَعَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَامَ بِهِ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي اليَوْمَ؟ قَالَ: لاَ أَحَدٌ. قَالَ: فَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَاللَّهِ، لاَ أُكْثِرُ عَلَيْكَ جَمْعاً أَبَداً! فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، سَيْفَهُ، ثُمَّ أَدْبَرَ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لأَنْتَ خَيْرٌ مِنِّي. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنَا أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْكَ.

فَأَتَى دُعْثُورُ قَوْمَهُ، فَقَالُوا: أَيْنَ مَا كُنْتَ تَقُولُ وَقَدْ أَمْكَنَكَ وَالسَّيْفُ فِي يَدِكَ؟ قَالَ: وَاللَّهِ، كَانَ ذَلِكَ وَلَكِنِّي

نَظَرْتُ إِلَى رَجُلٍ أَبْيَضَ طَوِيلٍ، دَفَعَ فِي صَدْرِي فَوَقَعْتُ لِظَهْرِي، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ مَلَكٌ، وَشَهِدْتُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَاللَّهِ لاَ أُكْثِرُ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ يَدْعُو قَوْمَهُ إِلَى الإِسْلاَمِ. وَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِيهِ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾[1].

فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ:

بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَنَّ جَمْعاً مِنْ غَطَفَانَ مِنْ ثَعْلَبَةَ وَأَنْمَارٍ يُرِيدُونَ غَزْوَ المَدِينَةِ فَخَرَجَ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى قَدِمَ صِرَاراً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ قَدِ اسْتَخْلَفَ عَلَى المَدِينَةِ قَبْلَ خُرُوجِهِ عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ.

لَقِيَ المُسْلِمُونَ جَمْعاً غَفِيراً مِنْ غَطَفَانَ، وَتَقَارَبَ النَّاسُ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ، وَقَدْ خَافَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، حَتَّى صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بِالنَّاسِ صَلاَةَ

(١) سورة المائدة: الآية ١١.

الخَوْفِ، ثُمَّ انصَرَفَ بِالنَّاسِ. وَقَدْ غَابَ عَنِ المَدِينَةِ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً.

وَفَاةُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عُثْمَانَ:

وُلِدَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عُثْمَانَ قَبْلَ الهِجْرَةِ بِسَنَتَيْنِ، وَفِي أَوَائِلِ أَيَّامِهِ بِالمَدِينَةِ نَقَرَهُ دِيكٌ فِي وَجْهِهِ فَطَمَرَ وَجْهَهُ فَمَاتَ فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِلْهِجْرَةِ، فَيَكُونُ قَدْ عَاشَ سِتَّ سَنَوَاتٍ، وَكَانَ عُمْرُهُ أَرْبَعَ سَنَوَاتٍ لَمَّا تُوفِّيَتْ أُمُّهُ رُقَيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فِي بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ:

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فِي شَهْرِ ذِي القِعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ السَّادِسَةِ لِلْهِجْرَةِ مُعْتَمِراً لاَ يُرِيدُ حَرْباً، وَاسْتَنْفَرَ العَرَبَ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنْ أَهْلِ البَوَادِي مِنَ الأَعْرَابِ لِيَخْرُجُوا، وَهُوَ يَخْشَى مِنْ قُرَيْشٍ الَّذِي صَنَعُوا، أَنْ يَتَعَرَّضُوا لَهُ بِحَرْبٍ أَوْ يَصُدُّوهُ عَنِ البَيْتِ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الأَعْرَابِ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بِمَنْ مَعَهُ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَمَنْ لَحِقَ بِهِ مِنَ العَرَبِ،

وَسَاقَ مَعَهُ الهَدْيَ، وَأَحْرَمَ بِالعُمْرَةِ، لِيَأْمَنَ النَّاسُ من حَرْبِهِ، وَلِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهُ إِنَّمَا خَرَجَ زَائِرَاً لِهَذَا البَيْتِ وَمُعَظِّمَاً لَهُ.

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المَدِينَةِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِـ(عُسْفَانَ)[1] لَقِيَهُ بِشْرُ بنُ سُفْيَانَ الكَعْبِيُّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ سَمِعَتْ بِمَسِيرِكَ، فَخَرَجُوا مَعَهُمُ العُوذُ المَطَافِيلُ[2]، قَدْ لَبِسُوا جُلُودَ النُّمُورِ، وَقَدْ نَزَلُوا بِـ(ذِي طُوَىً)[3]، يُعَاهِدُونَ اللَّهَ لاَ تَدْخُلُهَا عَلَيْهِمْ أَبَدَاً، وَهَذَا خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ فِي خَيْلِهِمْ قَدْ قَدَّمُوهَا إلى كُرَاعِ الغَمِيمِ[4]. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَا وَيْحَ قُرَيْشٍ! لَقَدْ أَكَلَتْهَا الحَرْبُ، مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ خَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ سَائِرِ العَرَبِ، فَإِنْ هُمْ أَصَابُونِي كَانَ ذَلِكَ الَّذِي أَرَادُوا، وَإِنْ أَظْهَرَنِي اللَّهُ عَلَيْهِمْ دَخَلُوا فِي الإِسْلاَمِ وَافِرِينَ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا قَاتَلُوا وَبِهِمْ قُوَّةٌ، فَمَا تَظُنُّ قُرَيْشٌ، فَوَاللَّهِ لاَ أَزَالُ

---

(١) عسفان: موضع بين الجحفة ومكة، وهي من مكة على مرحلتين.

(٢) العوذ: جمع عائذ، وهي من الإبل الحديثة النتاج، والمطافيل: التي معها أطفالها، يريد خرجوا معهم النساء والأطفال.

(٣) ذو طوى: موضع قرب مكة.

(٤) كراع الغميم: واد أمام عسفان بثمانية أميال.

أُجَاهِدُ عَلَى الَّذِي بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ تَنْفَرِدَ هَذِهِ السَّالِفَةُ)، ثُمَّ قَالَ: (مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى طَرِيقٍ غَيْرِ طَرِيقِهِمْ الَّتِي هُمْ بِهَا؟) فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَسْلَمَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَسَلَكَ بِهِمْ طَرِيقاً وَعْراً أَجْرَلَ[1] بَيْنَ شِعَابٍ، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْهُ، وَقَدْ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى المُسْلِمِينَ، وَأَفْضُوا إِلَى أَرْضٍ سَهْلَةٍ عَنْدَ مُنْقَطَعِ الوَادِي، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، لِلنَّاسِ: (قُولُوا نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ)، فَقَالُوا ذَلِكَ، فَقَالَ: (وَاللَّهِ إِنَّهَا لَلْحِطَّةُ الَّتِي عُرِضَتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمْ يَقُولُوهَا). فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، النَّاسَ، فَقَالَ: (اسْلُكُوا ذَاتَ اليَمِينِ بَيْنَ ظَهْرَيْ الحَمْضِ)، فِي طَرِيقٍ تُخْرِجُهُ عَلَى ثَنِيَّةِ المُرَارِ مَهْبِطِ الحُدَيْبِيَّةِ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ. فَلَمَّا رَأَتْ خَيْلُ قُرَيْشٍ قَتَرَةَ[2] الجَيْشِ قَدْ خَالَفُوا عَنْ طَرِيقِهِمْ، رَجَعُوا رَاكِضِينَ إِلَى قُرَيْشٍ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا سَلَكَ فِي ثَنِيَّةِ المُرَارِ بَرَكَتْ نَاقَتُهُ، فَقَالَ النَّاسُ: خَلأَتِ النَّاقَةُ، قَالَ: (مَا خَلأَتْ،

---

(١) أجرل: كثير الحجارة.

(٢) قترة: الغبار.

وَمَا هُوَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الفِيلِ عَنْ مَكَّةَ. لاَ تَدْعُونِي قُرَيْشٌ اليَوْمَ إِلَى خُطَّةٍ يَسْأَلُونَنِي فِيهَا صِلَةَ الرَّحِمِ إِلاَّ أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا).

ثُمَّ قَالَ لِلْنَّاسِ: انْزِلُوا، قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا بِالوَادِي مَاءٌ نَنْزِلُ عَلَيْهِ، فَأَخْرَجَ سَهْمَاً مِنْ كِنَانَتِهِ، فَأَعْطَاهُ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِهِ فَنَزَلَ بِهِ فِي قُلَيْبٍ مِنْ تِلْكَ القُلْبِ، فَغَرَزَهُ فِي جَوْفِهِ، فَجَاشَ بِالرَّوَاءِ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ عَنْهُ بِعَطَنٍ(١).

فَلَمَّا اطْمَأَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَتَاهُ بُدَيْلُ بنُ وَرْقَاءَ الخُزَاعِيُّ، فِي رِجَالٍ مِنْ خُزَاعَةَ، فَكَلَّمُوهُ وَسَأَلُوهُ: مَا الَّذِي جَاءَ بِهِ؟ فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ يُرِيدُ حَرْبَاً، وَإِنَّمَا جَاءَ زَائِرَاً لِلْبَيْتِ وَمُعَظِّمَاً لِحُرْمَتِهِ، ثُمَّ قَالَ لهم نَحْوَاً مِمَّا قَالَ لِبِشْرِ بنِ سُفْيَانَ، فَرَجَعُوا إِلَى قُرَيْشٍ، فَقَالُوا: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّكُمْ تَعْجَلُونَ عَلَى مُحَمَّدٍ، إِنَّ مُحَمَّدَاً لَمْ يَأْتِ لِقِتَالٍ، وَإِنَّمَا جَاءَ زَائِرَاً هَذَا البَيْتِ، فَاتَّهَمُوهُمْ وَجَبَّهُوهُمْ(٢)، وَقَالُوا: وَإِنْ كَانَ جَاءَ وَلاَ يُرِيدُ قِتَالاً، فَوَاللَّهِ لاَ يَدْخُلُهَا عَلَيْنَا عَنْوَةً أَبَدَاً،

---

(١) العطن: مبرك الإبل حول الماء.

(٢) جبّهوهم: أسمعوهم ما يكرهون.

وَلاَ تَحَدَّثُ بِذَلِكَ عَنَّا العَرَبُ[1].

ثُمَّ بَعَثَتْ قُرَيْشٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مِكْرَزَ بنَ حَفْصٍ، فَقَالَ لَهُ: مَا قَالَ لِبُدَيْلٍ، فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وَبَعَثُوا إِلَيْهِ الحُلَيْسَ بنَ عَلْقَمَةَ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدُ الأَحَابِيشِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ بِمَا رَجَعَ مَنْ سَبَقَهُ فَقَالُوا لَهُ: اجْلِسْ، فَإِنَّمَا أَنْتَ أَعْرَابِيٌّ لاَ عِلْمَ لَكَ.

ثُمَّ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ عُرْوَةَ بنَ مَسْعُودٍ فَلَمْ يَتَغَيَّرِ الوَضْعُ، فَقَالَ عُرْوَةُ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنِّي قَدْ جِئْتُ كِسْرَى فِي مُلْكِهِ، وَقَيْصَرَ فِي مُلْكِهِ، وَالنَّجَاشِيَّ فِي مُلْكِهِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مَلِكاً فِي قَوْمٍ قَطُّ مِثْلَ مُحَمَّدٍ فِي أَصْحَابِهِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ قَوْماً لاَ يُسْلِمُونَهُ لِشَيْءٍ أَبَداً، فَرَوْا رَأْيَكُمْ.

وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، خِرَاشَ بنَ أُمَيَّةَ الخُزَاعِيَّ، فَبَعَثَهُ إِلَى قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ، وَحَمَلَهُ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ، لِيُبَلِّغَ أَشْرَافَهُمْ عَنْهُ مَا جَاءَ لَهُ، فَعَقَرُوا بِهِ جَمَلَ

---

(١) سيرة ابن هشام.

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَرَادُوا قَتْلَهُ، فَمَنَعَتْهُ الأَحَابِيشُ فَخَلُّوا سَبِيلَهُ، حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَبَعَثَتْ قُرَيْشٌ أَرْبَعِينَ رَجُلاً مِنْهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُطِيفُوا بِعَسْكَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لِيُصِيبُوا لَهُمْ مِنْ أَصْحَابِهِ أَحَداً، فَأُخِذُوا أَخْذاً، فَأُتِيَ بِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَعَفَا عَنْهُمْ، وَخَلَّى سَبِيلَهُمْ، وَقَدْ كَانُوا رَمُوا فِي عَسْكَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بِالحِجَارَةِ وَالنَّبْلِ.

ثُمَّ دَعَا عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ لِيَبْعَثَهُ إِلَى مَكَّةَ فَيُبْلِغَ عَنْهُ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مَا جَاءَ لَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَخَافُ قُرَيْشاً عَلَى نَفْسِي، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ بنِ كَعْبٍ أَحَدٌ يَمْنَعُنِي، وَقَدْ عَرَفَتْ قُرَيْشٌ عَدَاوَتِي إِيَّاهَا، وَغِلْظَتِي عَلَيْهَا، وَلَكِنِّي أَدُلُّكَ عَلَى رَجُلٍ أَعَزَّ بِهَا مِنِّي، عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ. فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ، فَبَعَثَهُ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ وَأَشْرَافِ قُرَيْشٍ، يُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِحَرْبٍ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا جَاءَ زَائِراً لِهَذَا البَيْتِ وَمُعَظِّماً لَهُ.

فَخَرَجَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ فَلَقِيَهُ أَبَانُ بنُ سَعِيدِ بنِ العَاصِ حِينَ دَخَلَ مَكَّةَ أَوْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا، فَحَمَلَهُ بَيْنَ

يَدَيْهِ، ثُمَّ أَجَارَهُ حَتَّى بَلَّغَ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَانْطَلَقَ عُثْمَانُ حَتَّى أَتَى أَبَا سُفْيَانَ وَعُظَمَاءَ قُرَيْشٍ، فَبَلَّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مَا أَرْسَلَهُ بِهِ، فَقَالُوا لِعُثْمَانَ حِينَ فَرَغَ مِنْ رِسَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِلَيْهِمْ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَطُوفَ بِالبَيْتِ فَطُفْ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ حَتَّى يَطُوفَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَاحْتَبَسَتْهُ قُرَيْشٌ عِنْدَهَا، فَبَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَالمُسْلِمِينَ أَنَّ عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ قَدْ قُتِلَ.

لَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ، قَالَ: لاَ نَبْرَحُ حَتَّى نُنَاجِزَ القَوْمَ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى البَيْعَةِ، فَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ. فَكَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ: بَايَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، على المَوْتِ. وَكَانَ جَابِرُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: لَمْ يُبَايِعْنَا عَلَى المَوْتِ، وَلَكِنْ بَايَعَنَا عَلَى أَنْ لاَ نَفِرَّ.

وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنِ البَيْعةِ أَحَدٌ مِمَّنْ حَضَرَهَا إِلاَّ الجَدُّ بنُ قُيْسٍ(١)، فَكَانَ جَابِرُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: وَاللَّهِ

(١) الجد بن قيس: أحد الذين عرفوا بالنفاق.

لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ لاَصِقاً بِإِبْطِ نَاقَتِهِ، قَدْ ضَبَأَ[1] إِلَيْهَا يَسْتَتِرُ بِهَا مِنَ النَّاسِ وَبَايَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، لِعُثْمَانَ، فَضَرَبَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الأُخْرَى.

وَمَعَ أَنَّ عُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ، وَأَرْسَلَهُ ﷺ، فِي مُهِمَّةٍ مِنْ أَكْثَرِ المُهِمَّاتِ خَطَراً، وَهِيَ إِرْسَالُهُ إِلَى طُغَاةِ قُرَيْشٍ، وَهُمْ لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُسْلِمٍ إِلّاً وَلاَ ذِمَّةً، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى خَطَرِ تِلْكَ المُهِمَّةِ إِشَاعَةُ قَتْلِهِ. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ مُبَايَعَةِ الرَّسُولَ ﷺ، مَكَانَهُ، رَغْمَ هَذَا وَذَاكَ يَتَكَلَّمُ أَهْلُ الأَهْوَاءِ عَنْ تَخَلُّفِهِ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، كَذِباً وَزُوراً، وَيُشِيعُونَ ذَلِكَ، لِأَنَّ آذَانَهُمْ لاَ تَسْمَعُ إِلاَّ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ. وَلَمَّا كَانَتِ العَامَّةُ لاَ تَعْرِفُ الحَقِيقَةَ فَرُبَمَا تُصَدِّقُ مَا تَسْمَعُ، وَيَكُونُ الطَّعْنُ فِي هَذَا الصَّحَابِيِّ الجَلِيلِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَنَّ الَّذِي ذُكِرَ مِنْ أَمْرِ عُثْمَانَ بَاطِلٌ.

---

(١) ضبأ إليها: لصق واستتر.

وبَعَثَتْ قُرَيْشٌ سُهَيْلَ بنَ عَمْرٍو إلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالُوا لَهُ: ائتِ مُحَمَّداً فَصَالِحْهُ، وَلاَ يَكُنْ فِي صُلْحِهِ إلاَّ أَنْ يَرْجِعَ عَنَّا عَامَهُ هَذَا، فَوَاللَّهِ لاَ تَحَدَّثُ العَرَبُ عَنَّا أَنَّهُ دَخَلَهَا عَلَيْنَا عَنْوَةً أَبَداً. فَأَتَاهُ سُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو؛ فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مُقْبِلاً، قَالَ: قَدْ أَرَادَ القَوْمُ الصُّلْحَ حِينَ بَعَثُوا هَذَا الرَّجُلَ، فَلَمَّا انْتَهَى سُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو إلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، تَكَلَّم فَأَطَالَ الكَلاَمَ، وَتَرَاجَعَا، ثُمَّ جَرَى بَيْنَهُمَا الصُّلْحُ(١) المَعْرُوفُ بِ(صُلْحِ الحُدَيْبِيَّةِ).

فِي خَيْبَرَ:

أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، نِسَاءَهُ مِنْ قَمْحِ خَيْبَرَ مِائَةَ وَسَقٍ وَثَمَانِينَ وَسَقاً، وَلِفَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، خَمْسَةً وَثَمَانِينَ وَسَقاً، وَلِأُسَامَةَ بنِ زَيْدٍ أَرْبَعِينَ وَسَقاً، وَلِلمِقْدَادِ بنِ عَمْرٍو خَمْسَةَ عَشَرَ وَسَقاً، وَلِأُمِّ رُمَيْثَةَ خَمْسَةَ أَوْسَقٍ. وَشَهِدَ عَلَى ذَلِكَ عُثْمَانُ.

فِي فَتْحِ مَكَّةَ:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَدْ عَهِدَ إلَى أُمَرَائِهِ مِنْ

---

(١) سيرة ابن هشام.

المُسْلِمِينَ، حِينَ أَمَرَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا مَكَّةَ، أَلاَّ يُقَاتِلُوا إِلاَّ مَنْ قَاتَلَهُمْ، إِلاَّ أَنَّهُ قَدْ عَهِدَ فِي نَفَرٍ سَمَّاهُمْ أَمَرَ بِقَتْلِهِمْ وَإِنْ وُجِدُوا تَحْتَ أَسْتَارِ الكَعْبَةِ مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بنُ سَعْدٍ، أَخُو بَنِي عَامِرِ بنِ لُؤَيٍّ، وَإِنَّمَا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بِقَتْلِهِ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ، وَكَانَ يَكْتُبُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، الوَحْيَ، فَارْتَدَّ مُشْرِكاً رَاجِعاً إِلَى قُرَيْشٍ، فَفَرَّ إِلَى عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ، وَكَانَ أَخَاهُ لِلرَّضَاعَةِ، فَغَيَّبَهُ حَتَّى أَتَى بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، بَعْدَ أَنِ اطْمَأَنَّ النَّاسُ وَأَهْلُ مَكَّةَ، فَاسْتَأْمَنَ لَهُ[١].

ثُمَّ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ سَعْدٍ، وَحَسُنَ إِسْلاَمُهُ، فَوَلاَّهُ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ بَعْضَ أَعْمَالِهِ، ثُمَّ وَلاَّهُ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ بَعْدَ عُمَرَ.

بَعْدَ الطَّائِفِ:

بَعْدَ أَنِ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، عَنِ الطَّائِفِ عَلَى (دَحْنَا)[٢] حَتَّى نَزَلَ (الجِعْرَانَةَ) فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ،

---

(١) سيرة ابن هشام.

(٢) دحنا: من مناطق الطائف.

وَمَعَهُ مِنْ هَوَازِنَ سَبْيٌ كَثِيرٌ، فَأَعْطَى الْمُسْلِمِينَ مِنْهُ، فَأَعْطَى عَلِيَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جَارِيَةً، يُقَالُ لَهَا: رَيْطَةُ بِنْتُ هِلَالِ بنِ حَيَّانَ بنِ عُمَيْرَةَ بنِ هِلَالِ بنِ نَاصِرَةَ بنِ قُصَيَّةَ بنِ نَصْرِ بنِ سَعْدِ بنِ بَكْرٍ، وَأَعْطَى عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ جَارِيَةً، يُقَالُ لَهَا زَيْنَبُ بِنْتُ حَيَّانَ بنِ عَمْرِو بنِ حَيَّانَ، وَأَعْطَى عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ جَارِيَةً، فَوَهَبَهَا لِعَبْدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ، ابْنِهِ.

وَجَاءَ وَفْدُ هَوَازِنَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ أَسْلَمُوا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا أَصْلٌ وَعَشِيرَةٌ، وَقَدْ أَصَابَنَا مِنَ البَلَاءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ، فَامْنُنْ عَلَيْنَا، مَنَّ اللَّهِ عَلَيْكَ. وَقَامَ رَجُلٌ مِنْ هَوَازِنَ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي سَعْدِ بنِ بَكْرٍ، يُقَالُ لَهُ: زُهَيْرٌ، يُكْنَى أَبَا صُرَدٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا فِي الحَظَائِرِ عَمَّاتُكَ، وَخَالَاتُكَ، وَحَوَاضِنُكَ اللَّاتِي كُنَّ يَكْفُلْنَكَ، وَلَوْ أَنَّا مَلَحْنَا[1] لِلْحَارِثِ بنِ أَبِي شِمْرٍ[2]، أَوْ لِلنُّعْمَانِ بنِ المُنْذِرِ[3]، ثُمَّ نَزَلَ بِنَا بِمِثْلِ الَّذِي نَزَلْتَ بِهِ،

---

(١) ملحنا: أرضعنا.

(٢) ملك الغساسنة.

(٣) ملك المناذرة.

رَجَوْنَا عَطْفَهُ وَعَائِدَتَهُ عَلَيْنَا، وَأَنْتَ خَيْرُ المَكْفُولِينَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُم أَحَبُّ إِلَيْكُمْ أَمْ أَمْوَالُكُمْ؟ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَيَّرْتَنَا بَيْنَ أَمْوَالِنَا وَأَحْسَابِنَا، بَلْ تَرُدُّ إِلَيْنَا نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيْنَا؛ فَقَالَ لَهُمْ: أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ، وَإِذَا مَا أَنَا صَلَّيْتُ الظُّهْرَ بِالنَّاسِ، فَقُومُوا فَقُولُوا: إِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى المُسْلِمِينَ، وَبِالمُسْلِمِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فِي أَبْنَائِنَا وَنِسَائِنَا، فَسَأُعْطِيكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ، وَأَسْأَلُ لَكُمْ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بِالنَّاسِ الظُّهْرَ، قَامُوا فَتَكَلَّمُوا بِالَّذِي أَمَرَهُمْ بِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَأَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ. فَقَالَ المُهَاجِرُونَ: وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَقَالَتِ الأَنْصَارُ: وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ الأَقْرَعُ بنُ حَابِسٍ: أَمَّا أَنَا وَبَنُو تَمِيمٍ فَلَا. وَقَالَ عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ: أَمَّا أَنَا وَبَنُو فَزَارَةَ فَلَا. وَقَالَ عَبَّاسُ بنُ مِرْدَاسٍ: أَمَّا أَنَا وَبَنُو سُلَيْمٍ فَلَا. فَقَالَتْ بَنُو سُلَيْمٍ: بَلَى، مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ عَبَّاسُ بنُ مِرْدَاسٍ لِبَنِي سُلَيْمٍ: وَهَّنْتُمُونِي.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَّا مَنْ تَمَسَّكَ مِنْكُمْ بِحَقِّهِ مِنْ هَذَا السَّبْيِ، فَلَهُ بِكُلِّ إِنْسَانٍ سِتُّ فَرَائِضَ، من أَوَّلِ سَبْيٍ أُصِيبُهُ، فَرُدُّوا إِلَى النَّاسِ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ.

فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ:

لَمَّا أَزْمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، السَّيْر إِلَى تَبُوكَ لِغَزْوِ الرُّومِ، وَكَانَ النَّاسُ فِي زَمَنِ عُسْرَةٍ إِذْ أَصَابَ البِلَادَ جَدْبٌ، كَمَا كَانَ وَقْتُ شِدَّةٍ مِنَ الحَرِّ، وحِين طَابَتِ الثِّمَارُ، وَالنَّاسُ يُحِبُّونَ المُقَامَ فِي ثِمَارِهِمْ وَظِلَالِهِمْ، وَيَكْرَهُونَ الشُّخُوصَ عَلَى الحَالِ مِنَ الزَّمَانِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَلَّمَا يَخْرُجُ فِي غَزْوَةٍ إِلاَّ كَنَّى عَنْهَا، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ غَيْرَ الوَجْهِ الَّذِي يَقْصُدُ له، إِلاَّ مَا كَانَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَإِنَّه بَيَّنَهَا لِلنَّاسِ لِبُعْدِ الشُّقَّةِ، وَشِدَّةِ الزَّمَانِ، وَكَثْرَةِ العَدُوِّ الَّذِي يَصْمِدُ لَهُ، لِيَتَأَهَّبَ النَّاسُ لِذَلِكَ أُهْبَتَهُ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِالجِهَازِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ يُرِيدُ الرُّومَ. وَلِمَا فِي هَذِهِ الغَزْوَةِ مِنْ شِدَّةٍ فَقَدْ عُرِفَتْ بِالعُسْرَةِ.

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، جَدَّ فِي سَفَرِهِ، وَأَمَرَ النَّاسَ

بِالجِهَازِ وَالانْكِمَاشِ، وَحَضَّ أَهْلَ الغِنَى عَلَى النَّفَقَةِ وَالحُمْلاَنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَحَمَلَ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الغِنَى وَاحْتَسَبُوا، وَأَنْفَقَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ فِي ذَلِكَ نَفَقَةً عَظِيمَةً لَمْ يُنْفِقْ أَحَدٌ مِثْلَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُمَّ ارْضَ عَنْ عُثْمَانَ فَإِنِّي عَنْهُ رَاضٍ.

مَعَ وَفْدِ أَهْلِ جُرَشَ:

قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، صُرَدُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ الأَزْدِيُّ فِي وَفْدٍ مِنَ الأَزْدِ فَأَسْلَمُوا، فَأَمَّرَ رَسُولُ اللَّهِ، صُرَدَ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُجَاهِدَ بِمَنْ أَسْلَمَ مَنْ كَانَ يَلِيهِ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ.

خَرَجَ صُرَدُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ يَسِيرُ بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى نَزَلَ بِجُرَشَ[1]، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ مَدِينَةٌ مُغْلَقَةٌ، وَبِهَا قَبَائِلُ مِنْ قَبَائِلِ اليَمَنِ، وَقَدْ ضَوَتْ إِلَيْهِمْ[2] خَثْعَمُ، فَدَخَلُوهَا مَعَهُمْ حِينَ سَمِعُوا بِسَيْرِ المُسْلِمِينَ إِلَيْهِمْ،

---

(١) جُرَش: مدينة قديمة، غير قائمة الآن، أطلالها في أعالي وادي بيشة، في جهات مدينة أحد رفيدة.

(٢) ضوت إليهم: لجأت إليهم.

فَحاصَرَهُمْ فِيْهَا قَرِيباً مِنَ الشَّهْرِ، وَامْتَنَعُوا فِيْهَا مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّهُ رَجَعَ عَنْهُمْ قَافِلاً حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ جَبَلٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ (شَكَرُ) ظَنَّ أَهْلُ جُرَشَ أَنَّهُ إِنَّمَا وَلَّى عَنْهُمْ مُنْهَزِماً، فَخَرَجُوا فِي طَلَبِهِ، حَتَّى إِذَا أَدْرَكُوهُ عَطَفَ عَلَيْهِمْ، فَقَتَلَهُمْ قَتْلاً شَدِيداً.

وَقَدْ كَانَ أَهْلُ جُرَشَ بَعَثُوا رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بِالمَدِينَةِ يَرْتَادَانِ وَيَنْظُرَانِ، فَبَيْنَا هُمَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَشِيَّةً بَعْدَ صَلاَةِ العَصْرِ، إِذْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بِأَيِّ بِلاَدِ اللَّهِ شَكَرُ؟ فَقَامَ إِلَيْهِ الجُرَشِيَّانِ فَقَالاَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِبِلاَدِنَا جَبَلٌ يُقَالُ لَهُ كَشَرُ؛ وَكَذَلِكَ يُسَمِّيهِ أَهْلُ جُرَشَ، فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ بِكَشَرَ، وَلَكِنَّهُ شَكَرُ، قَالاَ: فَمَا شَأْنُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِنَّ بُدْنَ اللَّهِ لَتُنْحَرُ عِنْدَهُ الآنَ. فَجَلَسَ الرَّجُلاَنِ إِلَى عُثْمَانَ[1]، فَقَالَ لَهُمَا، وَيْحَكُمَا! إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، الآنَ لَيَنْعَى لَكُمَا قَوْمَكُمَا، فَقُومَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاسْأَلاَهُ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ أَنْ يَرْفَعَ عَنْ قَوْمِكُمَا؛ فَقَامَا إِلَيْهِ، فَسَأَلاَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ ارْفَعْ

(١) وفي روايةٍ أبو بكر.

عَنْهُمْ، فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رَاجِعِينَ إِلَى قَوْمِهِمَا، فَوَجَدَا قَوْمَهُمَا قَدْ أُصِيبُوا يَوْمَ أَصَابَهُمْ صُرَدُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ، فِي اليَوْمِ الَّذِي قَالَ فِيه رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مَا قَالَ، وَفِي السَّاعَةِ الَّتِي ذَكَرَ فِيْهَا مَا ذَكَرَ(١).

وَتُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ عَنْ عُثْمَانَ رَاضٍ.

---

(١) سيرة ابن هشام.

الفصل الرابع

فَضَائِلُ ذِي النُّورَيْنِ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ

كَانَ عُثْمَانُ فِي الجَاهِلِيَّةِ هَادِئاً أَلِيفاً يَلِينُ لِلآخَرِينَ وَلاَ يَخْتَلِفُ مَعَهُمْ، بَرّاً بِأَهْلِهِ، جَوَاداً عَلَى صَحْبِهِ وَرَحِمِهِ، مُحِبّاً لِخِدْمَةِ النَّاسِ. فَلَمَّا أَسْلَمَ زَادَهُ الإِسْلاَمُ فَضْلاً واتِّزَاناً، وَصِلَةً لِلرَّحِمِ، وَكَرَماً، وَكَانَتْ لَهُ فَضَائِلُ جَمَّةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمِنْهَا:

١ ـ زَوَاجُهُ مِنِ ابْنَتَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

تَزَوَّجَ عُثْمَانُ رُقَيَّةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ تُوفِّيَتْ وَالنَّاسُ فِي بَدْرٍ، فَزَوَّجَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أُخْتَهَا أُمَّ كُلْثُوم فِي شَهْرِ رَبِيعِ الأَوَّلِ سَنَةَ ثَلاَثٍ مِنَ الهِجْرَةِ، وَأُدْخِلَتْ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي جُمَادَى الآخِرَةِ، فَلَمْ تَزَلْ عِنْدَهُ حَتَّى مَاتَتْ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ تِسْعٍ لِلْهِجْرَةِ، وَقَدْ

زَوَّجَهُ إِيَّاهَا بِأَمْرٍ مِنَ اللَّهِ (فَهَذَا جِبْرِيلُ يَأْمُرُنِي بِأَمْرٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ أُزَوِّجَكَ أُخْتَهَا).

وَقَدْ مَرَّ مَعَنَا حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بِهَذَا الشَّأْنِ. عَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: (لَوْ كَانَ عِنْدِي أَرْبَعُون بِنْتاً لَزَوَّجْتُ عُثْمَانَ وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ حَتَّى لاَ يَبْقَى مِنْهُنَّ وَاحِدَةٌ).

وَلِزَوَاجِهِ مِنِ ابْنَتَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عُرِفَ بِذِي النُّورَيْنِ، وَهُوَ شَرَفٌ عَظِيمٌ وَفَضْلٌ كَبِيرٌ.

٢ ـ البُشْرَى بِالجَنَّةِ:

عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ: أَنَّهُ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ خَرَجَ فَقُلْتُ: لأَلْزَمَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَلأَكُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هَذَا، قَالَ: فَجَاءَ المَسْجِدَ، فَسَأَلَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: خَرَجَ وَوَجَّهَ هَا هُنَا، فَخَرَجْتُ عَلَى إِثْرِهِ، أَسْأَلُ عَنْهُ، حَتَّى دَخَلَ بِئْرَ أَرِيسٍ، فَجَلَسْتُ عِنْدَ البَابِ، وَبَابُهَا مِنْ جَرِيدٍ، حَتَّى قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَاجَتَهُ فَتَوَضَّأَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى بِئْرِ أَرِيسٍ، وَتَوَسَّطَ

قُفَّهَا، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ وَدَلاَّهُمَا فِي البِئْرِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ فَجَلَسْتُ عِنْدَ البَابِ، فَقُلْتُ: لأَكُونَنَّ بَوَّابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، اليَوْمَ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَدَفَعَ البَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ؟ فَقَالَ: (ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ). فَأَقْبَلْتُ حَتَّى قُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: ادْخُلْ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يُبَشِّرُكَ بِالجَنَّةِ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللَّه ﷺ. مَعَهُ فِي القُفِّ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي البِئْرِ، كَمَا صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ، وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي يَتَوَضَّأُ، وَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِفُلَانٍ، خَيْراً - يُرِيدُ أَخَاهُ - يَأْتِ بِهِ، فَإِذَا إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ البَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: هَذَا عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ يَسْتَأْذِنُ؟ فَقَالَ: (ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ). فَجِئْتُ فَقُلْتُ: ادْخُلْ، وَبَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بِالجَنَّةِ، فَدَخَلَ فَجَلَسَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِي القُفِّ عَنْ يَسَارِهِ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي

البِئْرِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِفُلَانٍ خَيْرَاً يَأْتِ بِهِ، فَجَاءَ إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ البَابَ، فَقُلْتُ مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: (ائْذَنْ لَهُ، وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ، عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ). فَجِئْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: ادْخُلْ وَبَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالجَنَّةِ، عَلَى بَلْوَى تُصِيبُكَ، فَدَخَلَ فَوَجَدَ القُفَّ قَدْ مُلِيءَ، فَجَلَسَ وُجَاهَهُ مِنَ الشِّقِّ الآخَرِ.

قَالَ سَعِيدُ بنُ المُسَيَّبِ: فَأَوَّلْتُهَا قُبُورَهُمْ[(١)].

وَقَالَ ﷺ: (أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بنُ زَيْدِ بنِ عَمْرِو بنِ نَفِيلٍ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ)[(٢)].

٣ ـ تَجْهِيزُ جَيْشِ العُسْرَةِ:

يُقَالُ لِغَزْوَةِ تَبُوكَ غَزْوَةُ العُسْرَةِ مَأْخُوذَةٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى:

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه أحمد والترمذي.

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾[١].

نَدَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، النَّاسَ إِلَى الخُرُوجِ، وَأَعْلَمَهُمُ المَكَانَ الَّذِي يُرِيدُ لِيَتَأَهَّبُوا لِذَلِكَ، وَبَعَثَ إِلَى مَكَّةَ وَإِلَى قَبَائِلِ العَرَبِ يَسْتَنْفِرُهُمْ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالصَّدَقَةِ، وَحَثَّهُمْ عَلَى النَّفَقَةِ وَالحُمْلَانِ، فَجَاؤُوا بِصَدَقَاتٍ كَثِيرَةٍ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَجَاءَ بِمَالِهِ كُلِّهِ ٤٤٠٠٠ دِرْهَمٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَلْ أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ شَيْئاً؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَجَاءَ عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِنِصْفِ مَالِهِ، فَسَأَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَلْ أَبْقَيْتَ لَهُمْ شَيْئاً؟ قَالَ: نَعَمْ، نِصْفُ مَالِي، وَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ عَوْفٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِمِائَتَي أُوقِيَّةٍ، وَتَصَدَّقَ عَاصِمُ بنُ عَدِيٍّ بِسَبْعِينَ وَسَقاً مِنْ تَمْرٍ، وَجَهَّزَ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُلُثَ الجَيْشِ، جَهَّزَهُمْ بِتِسْعِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ بَعِيراً، وَبِخَمْسِينَ فَرَساً. قَالَ

---

(١) سورة التوبة: الآية ١١٧.

ابنُ إسْحَاقَ: أَنْفَقَ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي ذَلِكَ الجَيْشِ نَفَقَةً عَظِيمَةً، لَمْ يُنْفِقْ أَحَدٌ مِثْلَهَا، وَقِيلَ جَاءَ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِأَلْفِ دِينَارٍ فِي كُمِّهِ، فَنَثَرَهَا فِي حِجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَلَّبَهَا فِي حِجْرِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: (مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ). وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ).

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بنِ خَبَّابٍ قَالَ: شَهِدْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَهُوَ يَحُثُّ عَلَى جَيْشِ العُسْرَةِ، فَقَامَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَيَّ مِائَةُ بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ حَضَّ عَلَى الجَيْشِ فَقَامَ عُثْمَانُ، فَقَالَ: عَلَيَّ مِائَةُ بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ حَضَّ عَلَى الجَيْشِ فَقَامَ عُثْمَانُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ ثَلَاثُمِائَةِ بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَنْزِلُ عَنِ المِنْبَرِ، وَهُوَ يَقُولُ: (مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ، مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ)(١).

(١) رواه الترمذي وأحمد.

وَقَالَ أَبُو عُمَرَ: جَهَّزَ عُثْمَانُ جَيْشَ العُسْرَةِ بِتِسْعِمَائَةٍ وَخَمْسِينَ بَعِيراً وَأَتَمَّ الأَلْفَ بِخَمْسِينَ فَرَساً.

وَرُوِيَ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّهُ قَالَ: حَمَلَ عُثْمَانُ فِي جَيْشِ العُسْرَةِ عَلَى أَلْفِ بَعِيرٍ، وَسَبْعِينَ فَرَساً.

وَعَنِ ابنِ شِهَابِ الزُّهْرِيِّ: حَمَلَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ عَلَى تِسْعِمِائَةٍ وَأَرْبَعِينَ بَعِيراً، وَسِتِّينَ فَرَساً أَتَمَّ بِهَا الأَلْفَ.

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بنِ سَمُرَةَ قَالَ: جَاءَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ بِأَلْفِ دِينَارٍ فِي كُمِّهِ - حِينَ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ - فَنَثَرَهَا فِي حِجْرِهِ ﷺ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يُقَلِّبُهَا فِي حِجْرِهِ، وَيَقُولُ: (مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ).

وَعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ، إِلَى عُثْمَانَ فِي جَيْشِ العُسْرَةِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ عُثْمَانُ بِعَشْرَةِ آلافِ دِينَارٍ، فَصُبَّتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ، يَقُولُ بِيَدِهِ وَيُقَلِّبُهَا ظَهْراً لِبَطْنٍ، وَيَقُولُ: (غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا عُثْمَانُ مَا أَسْرَرْتَ وَمَا أَعْلَنْتَ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، مَا يُبَالِي مَا عَمِلَ بَعْدَهَا).

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بنِ عَوْفٍ قَالَ: شَهِدْتُ

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ جَاءَهُ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ فِي جَيْشِ العُسْرَةِ بِسَبْعِمِائَةِ أُوْقِيَّةٍ مِنْ ذَهَبٍ.

وَهَذَا الاخْتِلَافُ فِي الرِّوَايَاتِ قَدْ يُوهِمُ التَّضَادُّ بَيْنَهَا، وَالجَمْعُ مُمْكِنٌ، بِأَنْ يَكُونَ عُثْمَانُ دَفَعَ ثَلَاثَمِائَةِ بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا عَلَى مَا تَضَمَّنَهُ الحَدِيثُ الأَوَّلُ، ثُمَّ جَاءَ بِأَلْفِ دِينَارٍ لِأَجْلِ المُؤَنِ الَّتِي لاَ بُدَّ لِلْمُسَافِرِ مِنْهَا، ثُمَّ لَمَّا اطَّلَعَ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ لاَ يَكْفِي زَادَ فِي الإِبِلِ وَأَرْدَفَ بِالخَيْلِ تَتِمَّةً لِلأَلْفِ، ثُمَّ لَمَّا لَمْ يَكْتَفِ بِذَلِكَ تَمَّمَ الأَلْفَ أَبْعِرَةٍ وَزَادَ عِشْرِينَ فَرَساً عَلَى تِلْكَ الخَمْسِينَ، وَبَعَثَ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ لِلْمُؤَنِ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ حَدِيثُ الرَّازِي وَالفَضَائِلِيِّ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهَا تَضَادٌّ وَلاَ تَهَافُتٌ[١].

٤ ـ سَبِيلُ بِئْرِ رُومَةَ:

عَنْ بِشْرِ بنِ بَشِيرٍ الأَسْلَمِيِّ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ المُهَاجِرُونَ المَدِينَةَ اسْتَنْكَرُوا المَاءَ، وَكَانَ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي غِفَارٍ يُقَالُ لَهَا رُومَةَ، وَكَانَ يَبِيعُ مِنْهَا القِرْبَةَ بِمُدٍّ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (تَبِيعُهَا بِعَيْنٍ فِي الجَنَّةِ؟) فَقَالَ: يَا

(١) الرياض النضرة.

رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ لِي وَلاَ لِعِيَالِي عَيْنٌ غَيْرَهَا، لاَ أَسْتَطِيعُ ذَلِكَ. قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ عُثْمَانَ فَاشْتَرَاهَا بِخَمْسَةٍ وَثَلاَثِينَ أَلْفَ دِرْهَم، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: اجْعَلْ لِي مِثْلَ الَّذِي جَعَلْتَ لَهُ عَيْناً فِي الجَنَّةِ، قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: قَدِ اشْتَرَيْتُهَا، وَجَعَلْتُهَا لِلْمُسْلِمِينَ. «وَفِيْهِ دَلاَلَةٌ عَلَى أَنَّ صَاحِبَهَا كَانَ مُسْلِمَاً».

وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو عُمَرَ أَنَّهَا كَانَتْ لِيَهُودِيٍّ فَسَاوَمَهُ عثْمَانُ فَأَبَى أَنْ يَبِيعَهَا كُلَّهَا فَاشْتَرَى مِنْهُ نِصْفَهَا بِاثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَم فَجَعَلَهُ لِلْمُسْلِمِينَ، وَاتَّفَقَ أَنْ يَكُونَ لِلْيَهُودِيِّ يَوْمٌ وَلِعُثْمَانَ يَوْمٌ. قَالَ: فَكَانَ إِذَا كَانَ يَوْمُ عُثْمَانَ اسْتَقَى المُسْلِمُونَ مَا يَكْفِيهِمْ يَوْمَيْنِ، فَلَمَّا رَأَى اليَهُودِيُّ ذَلِكَ قَالَ: أَفْسَدْتَ عَلَيَّ رَكِيَّتِي، فَاشْتَرَى عُثْمَانُ النِّصْفَ الثَّانِي بِثَمَانِيَةِ آلاَفِ دِرْهَم.

وَجَاءَ فِي مُعْجَمِ البُلْدَانِ. بِئْرُ رُومَةَ: بِضَمِّ الرَّاءِ، وَسُكُونِ الوَاوِ، وَفَتْحِ المِيمِ. وَهِيَ فِي عَقِيقِ المَدِينَةِ؛ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: (نِعْمَ القَلِيبُ قَلِيبُ المُزَنِيِّ)؛ وهي الَّتِي اشْتَرَاهَا عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ فَتَصَدَّقَ بِهَا.

وَرُوِيَ عَنْ مُوسَى بنِ طَلْحَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: (نِعْمَ الحَفِيرُ حَفِيرُ المُزَنِيِّ) يَعْنِي رُوْمَةَ، فَلَمَّا سَمِعَ عُثْمَانُ ذَلِكَ ابْتَاعَ نِصْفَهَا بِمَائَةِ بَكْرَةٍ، وَتَصَدَّقَ بِهَا عَلَى المُسْلِمِينَ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَسْتَقُونَ مِنْهَا، فَلَمَّا رَأَى صَاحِبُهَا أَنْ قَدِ امْتَنَعَ مِنْهُ مَا كَانَ يُصِيبُ مِنْهَا بَاعَهَا مِنْ عُثْمَانَ بِشَيْءٍ يَسِيرٍ، فَتَصَدَّقَ بِهَا كُلِّهَا. وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بنُ مَنْدَةَ: رُوْمَةُ الغِفَارِيُّ صَاحِبُ بِئْرِ رُوْمَةَ رَوَى حَدِيثَهُ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عُمَرَ بنِ أَبَانَ بنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ المُحَارِبِيُّ عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ بِشْرِ بنِ بَشِيرٍ الأَسْلَمِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ المُهَاجِرُونَ المَدِينَةَ اسْتَنْكَرُوا المَاءَ، وَكَانَ لِرجُلٍ مِنْ بَنِي غِفَارٍ بِئْرٌ يُقَالُ لَهَا رُوْمَةُ، كَانَ يَبِيعُ مِنْهَا القِرْبَةَ بِالمُدِّ؛ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بِعْنِيهَا بِعَيْنٍ فِي الجَنَّةِ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَيْسَ لِي وَلِعِيَالِي غَيْرُهَا، لاَ أَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؛ فَبَلَغَ ذَلِكَ عُثْمَانَ فَاشْتَرَاهَا بِخَمْسَةٍ وَثَلاَثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، الحَدِيثُ كَذَا؛ قَالَ رُوْمَةُ الغِفَارِيِّ، ثُمَّ قَالَ: عَيْنٌ يُقَالُ لَهَا رُوْمَةُ، وَقَالَ مُصْعَبُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ الزُّبَيْرِيُّ يَذْكُرُ رُوْمَةَ وَيَتَشَوَّقُهَا، وَهُوَ بِالعِرَاقِ.

أَقُولُ لِثَابِتٍ وَالعَيْنُ تَهْمِي دُمُوعاً مَا أُنَهْنِهُهَا انْحِدَارَا
أَعِزْنِي نَظْرَةً بِقُرَى دُجَيْلٍ تُحَايِلُهَا ظَلاَماً أَوْ نَهَارَا
فَقَالَ أَرَى بِرُوْمَةَ أَوْ بِسَلْعٍ مَنَازِلَنَا مُعَطَّلَةً قِفَارَا

وَقَالَ أَهْلُ السِّيَرِ: لَمَّا قَدِمَ تُبَّعٌ المَدِينَةَ، وَكَانَ مَنْزِلُهُ بِقُبَاء، وَاحْتَفَرَ البِئْرَ الَّتِي يُقَالُ لَهَا بِئْرُ المَلِكِ، وَبِهِ سُمِّيَتْ، فَاحْتَوَى مَاءَهَا، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ، يُقَالُ لَهَا فَاكِهَةُ، فَشَكَا إِلَيْهَا وَبَاءَ بِئْرِهِ، فَانْطَلَقَتْ وَاسْتَقَتْ لَهُ مِنْ مَاءِ رُوْمَةَ، ثُمَّ جَاءَتْهُ بِهِ، فَشَرِبَهُ فَأَعْجَبَهُ، فَقَالَ لَهَا: زِيدِي، فَكَانَتْ تَصِيرُ إِلَيْهِ مَقَامَهُ بِالمَاءِ مِنْ رُوْمَةَ، فَلَمَّا ارْتَحَلَ، قَالَ لَهَا: يَا فَاكِهَةُ مَا مَعَنَا مِنَ الصَّفْرَاءِ وَلاَ البَيْضَاءِ شَيْءٌ، وَلَكِنْ مَا تَرَكْنَا مِنْ أَزْوَادِنَا وَمَتَاعِنَا فَهُوَ لَكِ، فَلَمَّا سَارَ نَقَلَتْ جَمِيعَ ذَلِكَ، فَيُقَالُ: إِنَّهَا وَأَوْلاَدَهَا أَكْثَرُ بَنِي زُرَيْقٍ مَالاً حَتَّى جَاءَ الإِسْلاَمُ.

٥ ـ إِجَابَةُ النَّبِيِّ إِلَى تَوْسِعَةِ مَسْجِدِهِ:

عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: كَانَتْ بُقْعَةٌ إِلَى جَنْبِ المَسْجِدِ، فَقَالَ

النَّبِيُّ ﷺ: (مَنْ يَشْتَرِيهَا وَيُوَسِّعُهَا فِي المَسْجِدِ لَهُ مِثْلُهَا فِي الجَنَّةِ) فَاشْتَرَاهَا عُثْمَانُ فَوَسَّعَهَا فِي المَسْجِدِ.

عَنِ الأَحْنَفِ بنِ قَيْسٍ قَالَ: قَدِمْنَا المَدِينَةَ فَجَاءَ عُثْمَانُ فَقِيلَ هَذَا عُثْمَانُ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ صَفْرَاءُ قَدْ قَنَّعَ بِهَا رَأْسَهُ، قَالَ: هَا هُنَا عَلِيٌّ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: هَا هُنَا طَلْحَةُ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: أُنْشِدُكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَه إلاَّ هُوَ: أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (مَنْ يَبْتَاعُ مِرْبَدَ بَنِي فُلاَنٍ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ) فَابْتَعْتُهُ بِعِشْرِينَ أَلْفاً أَوْ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفاً، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: قَدِ ابْتَعْتُهُ، فَقَالَ: (اجْعَلْهُ فِي مَسْجِدِنَا وَأَجْرُهُ لَكَ)؟ فَقَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. فَقَالَ: أُنْشِدُكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (مَنْ يَبْتَاعُ رُوْمَةَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ)، فَابْتَعْتُهَا بِكَذَا وَكَذَا، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: قَدِ ابْتَعْتُهَا، قَالَ: (اجْعَلْهَا سِقَايَةً لِلْمُسْلِمِينَ وَأَجْرُهَا لَكَ)؟ فَقَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. قَالَ: أُنْشِدُكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَه إِلاَّ هُوَ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، نَظَرَ فِي وَجْهِ القَوْمِ، فَقَالَ: (مَنْ يُجَهِّزُ هَؤُلاَءِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ)، يَعْنِي جَيْشَ العُسْرَةِ - فَجَهَّزْتُهُمْ حَتَّى لَمْ يَفْقِدُوا عِقَالاً وَلاَ خُطَاماً؟

قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ ـ ثَلاَثاً[1] ـ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ: عَنِ الأَحْنَفِ بنِ قَيْسٍ قَالَ: انْطَلَقْنَا حُجَّاجاً فَمَرَرْنَا بِالمَدِينَةِ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ بِمَنْزِلِنَا إِذْ جَاءَنَا آتٍ فَقَالَ: النَّاسُ مِنْ فَزَعٍ فِي المَسْجِدِ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَصَاحِبِي، فَإِذَا النَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَى نَفَرٍ فِي المَسْجِدِ، قَالَ: فَتَخَلَّلْتُهُمْ حَتَّى قُمْتُ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ، فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِأَسْرَعَ مِمَّا جَاءَ عُثْمَانُ، قَالَ: أَهَا هُنَا عَلِيٌّ؟ قَالُوا: نَعَمْ! قَالَ: أَهَاهُنَا الزُّبَيْرُ؟ قَالُوا: نَعَمْ! قَالَ: أَهَاهُنَا طَلْحَةُ؟ قَالُوا: نَعَمْ! قَالَ: أَهَاهُنَا سَعْدُ؟ قَالُوا: نَعَمْ! قَالَ: أَنْشِدُكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ـ ثُمَّ ذَكَرَ الحَدِيثَ إِلَى آخِرِهِ ـ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، ثُمَّ انْصَرَفَ.

٦ ـ كِتَابَةُ الوَحْيِ:

عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مُسْنِدٌ فَخِذَهُ إِلَى عُثْمَانَ، وَإِنِّي

---

(١) أخرجه الدارقطني.

لَأَمْسَحُ العَرَقَ عَنْ جَبِينِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّ الوَحْيَ لَيَنْزِلُ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ لَيَقُولُ: (اكْتُبْ يَا عُثَيْمُ) فَوَاللَّهِ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُنْزِلَ عَبْداً مِنْ نَبِيِّهِ تِلْكَ المَنْزِلَةَ إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِ كَرِيماً[1].

٧ ـ حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ عُثْمَانَ:

أ ـ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مَنْزِلَ عَائِشَةَ فَقَالَ: (يَا عَائِشَةُ أَلاَ أُبَشِّرُكِ؟) قَالَتْ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (أَبُوكِ فِي الجَنَّةِ وَرَفِيقُهُ إِبْرَاهِيمُ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ وَرَفِيقُهُ نُوحٌ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ وَرَفِيقُهُ أَنَا، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ وَرَفِيقُهُ يَحْيَى بنُ زَكَرِيَّا، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ وَرَفِيقُهُ دَاوُدُ، وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ وَرَفِيقُهُ إِسْمَاعِيلُ، وَسَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الجَنَّةِ وَرَفِيقُهُ سُلَيْمَانُ بنُ دَاوُدَ، وَسَعِيدُ بنُ زَيْدٍ فِي الجَنَّةِ وَرَفِيقُهُ مُوسَى بنُ عِمْرَانَ، وَعَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ وَرَفِيقُهُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ فِي الجَنَّةِ وَرَفِيقُهُ إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ثُمَّ قَالَ: (يَا عَائِشَةُ أَنَا سَيِّدُ المُرْسَلِينَ،

(١) أخرجه أحمد والحاكم (عن الرياض النضرة).

وَأَبُوكِ أَفْضَلُ الصِّدِّيقِينَ، وَأَنْتِ أُمُّ المُؤْمِنِينَ)[١].

ب ـ عَنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِي نَفَرٍ مِنَ المُهَاجِرِينَ، مِنْهُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَعَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ عَوْفٍ، وَسَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لِيَنْهَضْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ إِلَى كُفْئِهِ) وَنَهَضَ النَّبِيُّ ﷺ، إِلَى عُثْمَانَ فَاعْتَنَقَهُ، وَقَالَ: (أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ)[٢].

جـ ـ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (ادْعُوا إِلَيَّ أَخِي!) قُلْنَا: عُثْمَانُ؟ قَالَ: (نَعَمْ).

د ـ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الجُبَيْرِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ، وَعِنْدَهَا حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ، فَقَالَتْ لَهَا: أُنْشِدُكِ بِاللَّهِ أَلاَّ تُصَدِّقِينِي بِكَذِبٍ أَوْ تُكَذِّبِينِي بِصِدْقٍ: تَعْلَمِينَ أَنِّي كُنْتُ أَنَا وَأَنْتِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَكِ: أَتَرَيْنَهُ قَدْ قُبِضَ؟ فَقُلْتِ: لاَ أَدْرِي، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ:

---

(١) الرياض النضرة.

(٢) المصدر السابق.

(افْتَحُوا البَابَ)، فَقُلْتُ لَكِ: أَبُوكِ أَوْ أَبِي؟ فَقُلْتِ: لاَ أَدْرِي، فَفَتَحْنَا فَإِذَا عُثْمَانُ، فَلَمَّا رَآهُ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: (ادْنُ)، فَأَكَبَّ عَلَيْهِ فَسَارَّهُ بِشَيْءٍ لاَ أَدْرِي أَنَا وَأَنْتِ مَا هُوَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: (أَفَهِمْتَ مَا قُلْتُ لَكَ؟) قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: (ادْنُ) فَأَكَبَّ عَلَيْهِ أُخْرَى فَسَارَّهُ بِشَيْءٍ مَا نَدْرِي مَا هُوَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: (أَفَهِمْتَ مَا قُلْتُ لَكَ؟) قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: (ادْنُ) فَأَكَبَّ عَلَيْهِ إِكْبَاباً شَدِيداً، فَسَارَّهُ بِشَيْءٍ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: (أَفَهِمْتَ مَا قُلْتُ لَكَ؟) قَالَ: نَعَمْ! سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي، فَقَالَ لَهُ: (اخْرُجْ) قَالَتْ: حَفْصَةُ: اللَّهُمَّ نَعَمْ[١].

وَعَنْهَا قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (ادْعُوا لِي بَعْضَ أَصْحَابِي)، قُلْتُ: أَبَا بَكْرٍ؟ قَالَ: (لاَ)، قُلْتُ: عُمَرَ؟ قَالَ: (لاَ)، قُلْتُ: ابنَ عَمِّكَ؟ قَالَ: (لاَ)، قُلْتُ: عُثْمَانَ؟ قَالَ: (نَعَمْ)، فَلَمَّا جَاءَهُ، قَالَ: (تَنَحَّ)، فَجَعَلَ يُسَارُّهُ، وَلَوْنُ عُثْمَانَ يَتَغَيَّرُ. فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الدَّارِ، وَحُصِرَ فِيهَا، قُلْنَا: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَلاَ تُقَاتِلُ؟ قَالَ: لاَ، إِنَّ

---

(١) أخرجه أحمد.

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، عَهِدَ إِلَيَّ عَهْداً، وَإِنِّي صَابِرٌ نَفْسِي عَلَيْهِ[1].

عَنْ جَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا جَلَسَ جلَسَ أَبُو بَكْرٍ عَنْ يَمِينِهِ، وَعُمَرُ عَنْ يَسَارِهِ، وَعُثْمَانُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَكَانَ كَاتِبَ سرِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

هـ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (قُومُوا بِنَا نَعُدْ عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ)، قُلْنَا: عَلِيلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (نَعَمْ)، فَقَامَ ﷺ، وَاتَّبَعْنَاهُ، حَتَّى أَتَى مَنْزِلَ عُثْمَانَ، فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ، وَدَخَلْنَا، فَوَجَدَ عُثْمَانَ مَكْبُوباً عَلَى وَجْهِهِ، فَقَالَ ﷺ: (مَالَكَ يَا عُثْمَانُ لاَ تَرْفَعُ رَأْسَكَ؟) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَسْتَحْيِي - يَعْنِي مِنَ اللَّهِ تَعَالَى - قَالَ: (وَلِمَ ذَاكَ؟) قَالَ: أَخَافُ أَنْ يَكُونَ عَلَيَّ غَضْبَانَ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: (أَلَسْتَ حَافِرَ بِئْرِ رُوْمَةَ؟ وَمُجَهِّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ؟ وَالزَّائِدَ فِي مَسْجِدِي؟ وَبَاذِلَ المَالَ فِي رِضَا اللَّهِ تَعَالَى وَرِضَايَ؟ وَمَنْ تَسْتَحِي

(١) أخرجه أحمد.

مِنْهُ مَلاَئِكَةُ السَّمَاءِ؟ وَمِصْبَاحَ أَهْلِ الأَرْضِ وَأَهْلِ الجَنَّةِ؟)[1].

و ـ عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِك، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: (أَصْدَقُ أُمَّتِي حَيَاءً عُثْمَانُ). وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (عُثْمَانُ أَحْيَا أُمَّتِي وَأَكْرَمُهَا).

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مُضْطَجِعاً فِي بَيْتِي، كَاشِفاً عَنْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَسَوَّى ثِيَابَهُ. فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ، وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ، فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ، فَقَالَ: (أَلاَ أَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحْيِي مِنْه المَلاَئِكَةُ)[2].

---

(١) الرياض النضرة.

(٢) رواه مسلم.

الفصل الخامس

ذُو النُّورَيْنِ مَعَ الصِّدِّيقِ
رضي الله عنهما

فِي اليَوْمِ الثَّانِي مِنْ بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ دُعِيَ إِلَى الصَّلاَةِ، وَتَكلَّمَ الفَارُوقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَبَايَعَ المُسْلِمُونَ أَبَا بَكْرٍ بَيْعَةً عَامَّةً، وَكَانَ ذُو النُّورَيْنِ شَاهِداً فَبَايَعَ، ثُمَّ تَكَلَّمَ الصِّدِّيقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لَمَّا أَرْسَلَ الصِّدِّيقُ الجُيُوشَ لِقِتَالِ المُرْتَدِّينَ وَمَانِعِي الزَّكَاةِ أَبْقَى الصَّحَابَةَ الأَوَائِلَ الَّذِينَ كَانَ يَسْتَشِيرُهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فِي المَدِينَةِ أَمْثَالَ: عُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ، وَعَبْدِ الرَّحْمٰنِ بنِ عَوْفٍ، وَطَلْحَةَ، وَالزُّبَيْرِ، وَسَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَأَبِي عُبَيْدَةَ بنِ الجَرَّاحِ، وَسَعِيدِ بنِ زَيْدٍ، وَأُسَيْدِ بنِ حُضَيْرٍ وَذَلِكَ لِيَسْتَشِيرَهُمْ فِي أُمُورِ

الخِلاَفَةِ، وَلِيَكُونُوا قُدْوَةَ المُجْتَمَعِ الَّذِي يَعِيشُونَ وَسَطَهُ.

وَعِنْدَمَا انْتَهَتْ حُرُوبُ الرِّدَّةِ، وَاتَّجَهَتْ جُيُوشُ الفَتْحِ نَحْوَ دَوْلَتِي الرُّومِ وَالفُرْسِ لِتَأْدِيبِهِمَا عَلَى مُسَاعَدَةِ المُرْتَدِّينَ، وَلِقِتَالِ أَهْلِ الظُّلْمِ وَالبَغْيِّ، أَبْقَى الصِّدِّيقُ الصَّحَابَةَ الأَوَائِلَ أَيْضاً فِي المَدِينَةِ، غَيْرَ أَنَّهُ رَأَى ضَرُورَةَ إِرْسَالِ قَائِدٍ عَامٍّ لِتِلْكَ الجُيُوشِ المُتَّجِهَةِ نَحْوَ الشَّامِ مِنْ أُولَئِكَ الصَّحَابَةِ يَقُودُهَا إِذَا اجْتَمَعَتْ، وَيُدِيرُ شُؤُونَهَا، وَيَقْضِي بَيْنَهَا، وَيُرْجَعُ إِلَيْهِ فِي المُهِمَّاتِ، وَاخْتَارَ أَبَا عُبَيْدَةَ لِهَذِهِ المُهِمَّةِ، وَكَانَ نِعْمَ الاخْتِيَارُ، وَكَانَ القَائِدُ نِعْمَ القَائِدُ، كَمَا أَنَّ سَعِيدَ بنَ زَيْدٍ قَدْ أَصَرَّ أَنْ يَكُونَ مَعَ المُجَاهِدِينَ، فَسَارَ مَعَ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَكَانَ إِلَى جَانِبِهِ، وَكَذَلِكَ اخْتَارَ الزُّبَيْرُ فَسَارَ فِي جُيُوشِ الفَتْحِ إِلَى الشَّامِ، وَشَارَكَ فِي اليَرْمُوكِ، ثُمَّ فِي فَتْحِ مِصْرَ. وَهَكَذَا بَقِيَ عُثْمَانُ، فِي المَدِينَةِ مَعَ إِخْوَانِهِ، فَكَانَ مِنْ مُسْتَشَارِي الخَلِيفَةِ الَّذِينَ يُعْرِضُ عَلَيْهِمْ مَا يَرَى، وَيَسْأَلُهُمْ فِيمَا يَجِدُّ.

فِي اسْتِخْلاَفِ عُمَرَ:

أَخَذَ الصِّدِّيقُ يَسْتَشِيرُ الصَّحَابَةَ فِي اسْتِخْلاَفِ عُمَرَ،

وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ شَعَرَ بِدُنُوِّ أَجَلِهِ، وَرَأَى أَنَّ سِنَّهُ قَدْ بَلَغَتِ السِّنَّ الَّتِي تُوُفِّيَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، كَمَا أَحَسَّ أَنَّ مُهِمَّتَهُ قَدِ انْتَهَتْ إِذْ قَضَى عَلَى الْمُرْتَدِّينَ، وَطَهَّرَ الْجَزِيرَةَ مِنْهُمْ، وَسَيَّرَ الْجُيُوشَ نَحْوَ فَارِسَ وَالرُّومِ.

دَعَا الصِّدِّيقُ عَبْدَ الرَّحْمٰنِ بنَ عَوْفٍ فَسَأَلَهُ عَنْ رَأْيِهِ فِي عُمَرَ. ثُمَّ دَعَا عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ فَسَأَلَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَأَجَابَهُ عُثْمَانُ: عِلْمِي أَنَّ سَرِيرَتَهُ خَيْرٌ مِنْ عَلاَنِيَتِهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ فِينَا مِثْلُهُ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وَاللَّهِ لَوْ تَرَكْتُهُ مَا عَدَوْتُكَ.

وَعَاتَبَ أَحَدُهُمُ الصِّدِّيقَ فِي اسْتِخْلاَفِ عُمَرَ لِشِدَّتِهِ وَتَأَخُّرِ إِسْلاَمِهِ، فَأَجَابَهُ بِمَا يَسْتَحِقُّ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى الصِّدِّيقِ عُثْمَانُ وَعَلِيٌّ فَقَالَ لَهُمَا مُبَاشَرَةً: لَعَلَّكُمَا تَقُولاَنِ فِي عُمَرَ مَا قَالَ فُلاَنٌ آنِفاً؟

قَالاَ: وَمَاذَا قَالَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ؟

قَالَ: زَعَمَ أَنَّ عُمَرَ أَحْدَثُكُمْ إِسْلاَماً و. . . .

فَقَالَ عُثْمَانُ: بِئْسَ لَعَمْرُ اللَّهِ مَا قَالَ فُلاَنٌ، عُمَرُ بِحَيْثُ يُحَبُّ مِنْ قُوَّتِهِ مَعَ سَابِقَتِهِ.

وَقَالَ عَلِيٌّ: بِئْسَ مَا قَالَ، عُمَرُ عِنْدَ ظَنِّكَ بِهِ، وَرَأْيِكَ، إِنْ وَلَّيْتَهُ ـ مَعَ أَنَّهُ كَانَ وَالِيًا مَعَكَ ـ نَحْظَى بِرَأْيِهِ وَنَأْخُذُ مِنْهُ، فَامْضِ لِمَا تُرِيدُ، وَدَعْ مُخَاطَبَةَ الرَّجُلِ، فَإِنْ يَكُنْ عَلَى مَا ظَنَنْتَ ـ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ـ فَلَهُ عَمَدْتَ، وَإِنْ يَكُنْ مَالاَ تَظُنُّ لَمْ تُرِدْ إِلاَّ الخَيْرَ.

فَلَمَّا رَأَى الصِّدِّيقُ إِجْمَاعَ الصَّحَابَةِ عَلَى عُمَرَ، وَشَعَرَ بِزِيَادَةِ المَرَضِ دَعَا إِلَيْهِ عُثْمَانَ وَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ. هَذَا مَا دَعَا بِهِ أَبُو بَكْرِ بنُ أَبِي قُحَافَةَ، فِي آخِرِ عَهْدِهِ بِالدُّنْيَا خَارِجاً مِنْهَا، وَأَوَّلِ عَهْدِهِ بِالآخِرَةِ دَاخِلاً فِيهَا، حَيْثُ يُؤْمِنُ الكَافِرُ، وَيُوقِنُ الفَاجِرُ، وَيُصَدِّقُ الكَاذِبُ إِنِّي أَسْتَخْلِفُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي. . . . ـ وَأَخَذَتْهُ غَشْيَةٌ قَبْلَ أَنْ يُسَمِّيَ أَحَداً ـ فَكَتَبَ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنِّي أَسْتَخْلِفُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ. ثُمَّ أَفَاقَ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: اقْرَأْ عَلَيَّ مَا كَتَبْتَ. فَقَرَأَ عَلَيْهِ ذِكْرَ عُمَرَ. فَكَبَّرَ أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: أَرَاكَ خِفْتَ أَنْ تَذْهَبَ نَفْسِي فِي غَشْيَتِي تِلْكَ فَيَخْتَلِفَ النَّاسُ، فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنِ الإِسْلاَمِ خَيْراً، وَاللَّهِ إِنْ كُنْتَ لَهَا لأَهْلاً. ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يُتَمِّمَ، فَأَمْلَى عَلَيْهِ: فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِّي لَمْ آلُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَدِينَهُ

وَنفْسِيَ وَإِيَّاكُمْ خيْرَاً. فَإِنْ عَدَلَ فَذَلِكَ ظَنّي بِهِ، وَعِلْمِي فِيْهِ، وَإِن بَدَّلَ فَلِكُلِّ امْرِىءٍ مَا اكْتَسَبَ، وَالخَيْرَ أَرَدْتُ، وَلاَ أَعْلَمُ الغَيْبَ، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1]. وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

ثُمَّ أَمَرَهُ فَخَتَمَ الكِتَابَ، وَخَرَجَ بِهِ مَخْتُوماً، وَمَعَهُ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ وَأُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ، وَأَشْرَفَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى النَّاسِ مِنْ كُوَّتِهِ، فَقَالَ: أَيُّها النَّاسُ إِنِّي قَدْ عَهِدْتُ عَهْدَاً، أَفَتَرْضَوْنَهُ؟ فَقَالَ النَّاسُ: رَضِينَا يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَامَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: لاَ نَرْضَى إِلاَّ أَنْ يَكُونَ عُمَرُ.

وَكَانَ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مُدَّةَ خِلاَفَةِ الصِّدِّيقِ يَسْمَعُ وَيُطِيعُ، وَيُدْلِي بِرَأْيِهِ، وَتُوفِّيَ الصِّدِّيقُ، وَهُوَ لَهُ مُحِبٌّ، وَعَنْهُ رَاضٍ.

(١) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧.

الفصل السادس

ذُوُ النُّورَيْنِ مَعَ الفَارُوقِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

سَار الفَارُوقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَلَى سِيَاسَةِ الصِّدِّيقِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي مُحَاوَلَةِ بَقَاءِ الصَّحَابَةِ الأَوَائِلِ فِي المَدِينَةِ لِلاسْتِشَارَةِ، وَالتَّعْلِيم، وَالقُدْوَةِ ـ كَمَا ذَكَرْنَا ـ وَإِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَشْعَرَ الفَارُوقُ أَنَّ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ فِي الإِسْلَامِ مِنْ أَبْنَاءِ البُلْدَانِ المَفْتُوحَةِ سَيَنْظُرُونَ إِلَى هَؤُلاَءِ الصَّحَابَةِ نَظْرَةَ إِكْبَارٍ، وَسَيَجْعَلُونَ حَوْلَهُمْ هَالَةً كَبِيرَةً، وَرُبَّمَا خَرَجَتْ عَنِ الحَدِّ عِنْدَ هَؤُلاَءِ المُسْلِمِينَ الجُدُدِ أَوْ رُبَّمَا أَثَّرَتْ فِي نُفُوسِ بَعْضِهِمْ. لِذَا رَأَى إِبْقَاءَهُمْ فِي مَنْأَىً عَنْ هَذَا كُلِّهِ. وَرُبَّمَا شَذَّ عَنْ هَذَا مَا كَانَ مِنْ سَعِيدِ بنِ زَيْدٍ، وَالزُّبَيْرِ بنِ العَوَّامِ اللَّذَيْنِ سَارَا مَعَ جُيُوشِ الفَتْحِ إِلَى الشَّامِ، وَإِنْ كَانَ سَعِيدُ قَدْ رَجَعَ بَعْدَ فَتْحِ الشَّامِ

وَأَقَامَ بِالمَدِينَةِ، إلاَّ أَنَّ الزُّبَيْرَ قَدْ سَارَ إِلَى مِصْرَ وَشَارَكَ فِي فَتْحِهَا، وَعَادَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى المَدِينَةِ، وَلَمْ يَسْمَحْ لَهُ الفَارُوقُ بَعْدَهَا بِالخُروجِ مِنْهَا، وَكَذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ الَّذِي أُرْسِلَ لِقِيَادَةِ الجَبْهَةِ ضِدَّ فَارِسَ، وَكَانَ الخَلِيفَةُ الفَارُوقُ نَفْسُهُ يُرِيدُ أَنْ يَسِيرَ عَلَى رَأْسِ نَجْدَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ فِي تِلْكَ الجَبْهَةَ، غَيْرَ أَنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يُوافِقُوهُ عَلَى المَسِيرِ، وَاقْتَرَحَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ عَوْفٍ عَلَى الفَارُوقِ إِرْسَالَ سَعْدٍ عَلَى رَأْسِ جَيْشٍ نَجْدَةً لِلْمُسْلِمِينَ فَوَافَقَ عَلَى ذَلِكَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، وَبَقِيَّةُ الصَّحَابَةِ، فَسَارَ سَعْدٌ، وَكَانَ لَهُ البَلاَءُ الحَسَنُ.

لِذَا لَمْ تَبْرُزْ عَلَى مَسْرَحِ الأَحْدَاثِ أَيَّام الفُتُوحَاتِ أَسْمَاءُ أُولَئِكَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ بَقُوا فِي المَدِينَةِ بِنَاءً عَلَى أَوَامِرِ الخَلِيفَةِ مِثْلَ عُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ، وَعَبْدِ الرَّحْمٰنِ بنِ عَوْفٍ كَمَا بَرَزَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَسَعْدٌ، وَخَالِدٌ وَعَمْرٌو.

كَانَ الفَارُوقُ يَسْتَشِيرُ عُثْمَانَ مَعَ مَنْ يَسْتَشِيرُ، وَكَانَ عُثْمَانُ يَنْصَحُ، كَمَا يَسْمَعُ وَيُطِيعُ، لاَ يَظْهَرُ مِنْهُ إلاَّ البِنَاءُ، وَلاَ يَبْدُو عَلَيْهِ إلاَّ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ.

وَعِنْدَمَا أَخْرَجَ الفَارُوقُ يَهُودَ خَيْبَرَ رَكِبَ فِي المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَخَرَجَ مَعَهُ جَبَّارُ بنُ صَخْرِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ خَنْسَاءَ، أَخُو بَنِي سَلَمَةَ، وَكَانَ خَارِصَ أَهْلِ المَدِينَةِ وَحَاسِبَهُمْ، وَزَيْدُ بنُ ثَابِتٍ، وَهُمَا قَسَمَا خَيْبَرَ بَيْنَ أَهْلِهَا، عَلَى أَصْلِ جَمَاعَةِ السُّهْمَانِ، الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا.

وَكَانَ مَا قَسَمَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ مِنْ وَادِي القُرَى لِعُثْمَانَ مِنْهُ نَصِيبٌ.

الشُّورَى:

لَمَّا طُعِنَ الفَارُوقُ جَعَلَ الخِلاَفَةَ شُورَى فِي سِتَّةِ أَشْخَاصٍ، وَهُمْ: عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ، وَعَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ عَوْفٍ، وَالزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ، وَسَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَطَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ. وَجَعَلَ عَبْدَ اللَّهِ بنَ عُمَرَ مَعَهُمْ مُشِيراً وَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَأَجَّلَهُمْ ثَلاَثاً، وَأَمَرَ صُهَيْباً أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ (لِأَنَّهُ لَوْ أَمَرَ أَحَدَهُمْ بِالصَّلاَةِ بِالنَّاسَ فَكَأَنَّهُ اسْتَخْلَفَهُ أَوْ أَشَارَ إِلَيْهِ، لِأَنَّ إِمَامَةَ الصَّلاَةِ مِنْ شَأْنِ الخَلِيفَةِ فَهُوَ الإِمَامُ لِذَا أَمَرَ صُهَيْباً فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ رِجَالِ الشُّورَى، إِضَافَةً إِلَى تَأْكِيدِ عَدَمِ التَّمْيِيزِ

بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَخَاصَةَ بِالإِمَامَةِ). وَكَانَ طَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ آنَذَاكَ غَيْرَ مَوْجُودٍ بِالمَدِينَةِ إِذْ كَانَ خَارِجاً عَنْهَا مَشْغُولاً بِبَعْضِ أَعْمَالِهِ. وَلَمْ يُدْخِلِ الفَارُوقُ فِي الشُّورَى سَعِيدَ بنَ زَيْدٍ لِأَنَّهُ ابنُ عَمِّهِ، وَهُوَ بَاقِي العَشْرَةِ المُبَشَّرِينَ بِالجَنَّةِ مِنَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى قَيْدِ الحَيَاةِ.

دَعَا عُمَرُ رِجَالَ الشُّورَى فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي قَدْ ظَهَرْتُ لَكُمْ فِي أَمْرِ النَّاسِ، فَلَمْ أَجِدْ عِنْدَ النَّاسِ شِقَاقاً إِلاَّ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ، فَإِنْ كَانَ شِقَاقٌ فَهُوَ مِنْكُمْ، وَقَالَ: إِنَّ قَوْمَكُمْ إِنَّمَا يُؤَمِّرُونَ أَحَدَكُمْ أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ (عُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَعَبْدُ الرَّحْمٰنِ) فَاتَّقِ اللَّهَ يَا عَلِيُّ، إِنْ وُلِّيتَ شَيْئاً مِنْ أُمُورِ المُسْلِمِينَ، فَلاَ تَحْمِلَنْ بَنِي هَاشِمٍ عَلَى رِقَابِ المُسْلِمِينَ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى عُثْمَانَ، وَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ إِنْ وُلِّيتَ شَيْئاً مِنْ أُمُورِ المُسْلِمِينَ، فَلاَ تَحْمِلَنْ بَنِي أُمَيَّةَ عَلَى رِقَابِ المُسْلِمِينَ. وَإِنْ كُنْتَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ يَا عَبْدَ الرَّحْمٰنِ فَلاَ تَحْمِلْ ذَوِي قَرَابَتِكَ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، ثُمَّ قُومُوا فَتَشَاوَرُوا، فَأَمِّرُوا أَحَدَكُمْ.

وَقَالَ الفَارُوقُ: مَنْ لِي بِطَلْحَةَ؟ فَقَالَ: سَعْدُ بنُ أَبِي

وَقَّاصٍ: أَنَا لَكَ بِهِ؛ وَلاَ يُخَالِفُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. فَقَالَ عُمَرُ: أَرْجُو أَلاَّ يُخَالِفَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَمَا أَظُنُّ أَنْ يَلِيَ إِلاَّ أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ: عَلِيٌّ أَوْ عُثْمَانُ، فَإِنْ وَلِيَ عُثْمَانُ فَرَجُلٌ فِيْهِ لِينٌ، وَإِنْ وَلِي عَلِيٌّ فَفِيهِ دُعَابَةٌ، وَأَحْرِ بِهِ أَنْ يَحْمِلَهُمْ عَلَى طَرِيقِ الحَقِّ، وَإِنْ تُوَلُّوا سَعْدَاً فَأَهْلُهَا هُوَ؛ وَإِلاَّ فَلْيَسْتَعِنْ بِهِ الوَالِي، فَإِنِّي لَمْ أَعْزِلْهُ عَنْ خِيَانَةٍ وَلاَ ضَعْفٍ، وَنِعْمَ ذُو الرَّأْيِ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ عَوْفٍ! مُسَدَّدٌ رَشِيدٌ، لَهُ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، فَاسْمَعُوا مِنْهُ.

فَلَمَّا خَرَجُوا قَالَ: لَوْ وَلَّوْهَا الأَجْلَحَ (عَلِيٌّ) لَسَلكَ بِهِمُ الطَّرِيقَ. فَقَالَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ: فَمَا يَمْنَعُكَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ أَنْ تُقَدِّمَ عَلِيّاً؟ قَالَ: أَكْرَهُ أَنْ أَحْمِلَهَا حَيّاً وَمَيْتاً.

وَأَرْسَلَ عُمَرُ إِلَى أَبِي طَلْحَةَ الأَنْصَارِيِّ (زَيْدِ بنِ سَهْلٍ) فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا طَلْحَةَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ طَالَمَا أَعَزَّ الإِسْلاَمَ بِكُمْ، فَاخْتَرْ خَمْسِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ، فَاسْتَحِثَّ هَؤُلاَءِ الرَّهْطَ حَتَّى يَخْتَارُوا رَجُلاً مِنْهُمْ، وَقَالَ لِلْمِقْدَادِ بنِ عَمْرٍو: إِذَا وَضَعْتُمُونِي فِي حُفْرَتِي فَاجْمَعْ هَؤُلاَءِ الرَّهْطَ فِي بَيْتٍ حَتَّى يَخْتَارُوا رَجُلاً مِنْهُمْ، وَقَالَ

لِصُهَيْبٍ: صَلِّ بِالنَّاسِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، وأَدْخِلْ عَلِيّاً، وَعُثْمَانَ، وَالزُّبَيْرَ، وَسَعْداً، وَعبْدَ الرَّحْمٰنِ بنَ عَوْفٍ، وَطَلْحَةَ إِنْ حَضَرَ، وَأَحْضِرْ عَبْدَ اللَّهِ بنَ عُمَرَ وَلاَ شَيْءَ لَهُ مِنَ الأَمْرِ، وَقُمْ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، فَإِنِ اجْتَمَعَ خَمْسَةٌ وَرَضُوا رَجُلاً، وَأَبَى وَاحِدٌ فَاشْدَخْ رَأْسَهُ، وَإِنِ اتَّفَقَ أَرْبَعَةٌ فَرَضُوا رَجُلاً مِنهُمْ، وَأَبَى اثْنَانِ فَاضْرِبْ رُؤُوسَهُمَا، فَإِنْ رَضِيَ ثَلاَثَةٌ رَجُلاً مِنهُمْ وَثَلاَثَةٌ رَجُلاً مِنهُمْ، فَحَكِّمُوا عَبْدَ اللَّهِ بنَ عُمَرَ، فَأَيُّ الفَرِيقَيْنِ حَكَمَ لَهُ فَلْيَخْتَارُوا رَجُلاً مِنهُمْ، فَإِنْ لَمْ يَرْضُوا بِحُكْمِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ فَكُونُوا مَعَ الَّذِينَ فِيهِمْ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ عَوْفٍ، وَاقْتُلوا البَاقِينَ إِنْ رَغِبُوا عَمَّا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ. وَلاَ يَحْضُرُ اليَوْمُ الرَّابعُ إِلاَّ وَعَلَيْكُمْ أَمِيرٌ مِنكُمْ. اللَّهُمَّ أَنْتَ خَلِيفَتِي فِيهِمْ.

اجْتَمَعَ رِجَالُ الشُّورَى فِي بَيْتِ المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمَةَ[1]. فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ عَوْفٍ: أَيُّكُمْ يَطِيبُ نَفْساً أَنْ يُخرِجَ نَفْسَهُ مِنْ هَذَا الأَمْرِ، وَيُوَلِّيَهُ غَيْرَهُ؟

---

(١) وفي رواية في بيت المال، وفي رواية أخرى في حجرة عائشة، وفي رواية ثالثةٍ بجانب حجرة عائشة.

فَأَمْسَكُوا عَنْهُ، قَالَ: أَنَا أُخْرِجُ نَفْسِي وَابْنَ عَمِّي[1]. فَقَلَّدَهُ القَوْمُ الأَمْرَ، وَأَحْلَفَهُمْ عِنْدَ المِنْبَرِ، فَحَلَفُوا لَيُبَايِعُنَّ مَنْ بَايَعَ، وَإِنْ بَايَعَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ الأُخْرَى.

وَبَعَثَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ إِلَى عَلِيٍّ، فَقَالَ لَهُ: إِنْ لَمْ أُبَايِعْكَ فَأَشِرْ عَلَيَّ، فَقَالَ: عُثْمَانُ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى عُثْمَانَ، فَقَالَ: إِنْ لَمْ أُبَايِعْكَ، فَمَنْ تُشِيرُ عَلَيَّ؟ قَالَ: عَلِيٌّ، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: انْصَرِفَا فَدَعَا الزُّبَيْرَ، فَقَالَ: إِنْ لَمْ أُبَايِعْكَ، فَمَنْ تُشِيرُ عَلَيَّ؟ قَالَ: عُثْمَانُ، ثُمَّ دَعَا سَعْداً، فَقَالَ: مَنْ تُشِيرُ عَلَيَّ؟ فَأَمَّا أَنَا وَأَنْتَ فَلاَ نُرِيدُهَا فَمَنْ تُشِيرُ عَلَيَّ؟ قَالَ: عُثْمَانُ. فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّالِثَةُ، قَالَ: يَا مِسْوَرُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ، قَالَ: إِنَّكَ لَنَائِمٌ، وَاللَّهِ مَا اكْتَحَلْتُ بِغَمَاضٍ مُنْذُ ثَلاَثِ لَيَالٍ. اذْهَبْ فَادْعُ لِي عَلِيّاً وَعُثْمَانَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا خَالُ، بِأَيِّهِمَا أَبْدَأُ؟ قَالَ: بِأَيِّهِمَا شِئْتَ، قَالَ: فَخَرَجْتُ فَأَتَيْتُ عَلِيّاً ـ وَكَانَ هَوَايَ فِيهِ ـ فَقُلْتُ: أَجِبْ خَالِي. فَقَالَ: بَعَثَكَ مَعِي إِلَى غَيْرِي؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: إِلَى مَنْ؟ قُلْتُ: إِلَى عُثْمَانَ. قَالَ: فَأَيُّنَا أَمَرَكَ أَنْ تَبْدَأَ بِهِ؟

---

(١) يعني سعد بن أبي وقّاص فكلاهما من بني زُهرة.

قُلْتُ: قَدْ سَأَلْتُهُ، فَقَالَ: بِأَيِّهِمَا شِئْتَ، فَبَدَأْتُ بِكَ، وَكَانَ هَوَايَ فِيكَ. قَالَ: فَخَرَجَ مَعِي حَتَّى أَتَيْنَا المَقَاعِدَ، فَجَلَسَ عَلَيْهَا عَلِيٌّ، وَدَخَلْتُ عَلَى عُثْمَانَ فَوَجَدْتُهُ يُوتِرُ مَعَ الفَجْرِ، فَقُلْتُ: أَجِبْ خَالِي. فَقَالَ: بَعَثَكَ مَعِي إِلَى غَيْرِي؟ قُلْتُ: نَعَمْ، إِلَى عَلِيٍّ، قَالَ: بِأَيِّنَا أَمَرَكَ أَنْ تَبْدَأَ؟ قُلْتُ: سَأَلْتُهُ فَقَالَ: بِأَيِّهِمَا شِئْتَ؛ وَهَذَا عَلِيٌّ عَلَى المَقَاعِدِ، فَخَرَجَ مَعِي حَتَّى دَخَلْنَا جَمِيعاً عَلَى خَالِي، وَهُوَ فِي القِبْلَةِ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَانْصَرَفَ لَمَّا رَآنَا، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ سَأَلْتُ عَنْكُمَا وَعَنْ غَيْرِكُمَا، فَلَمْ أَجِدِ النَّاسَ يَعْدِلُونَ بِكُمَا؛ هَلْ أَنْتَ يَا عَلِيُّ مُبَايِعِي عَلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ، وَفِعْلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؟ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لاَ، وَلَكِنْ عَلَى جَهْدِي مِنْ ذَلِكَ وَطَاقَتِي. فَالْتَفَتَ إِلَى عُثْمَانَ، فَقَالَ: هَلْ أَنْتَ مُبَايِعِي عَلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ، وَفِعْلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى كَتِفِهِ، وَقَالَ: إِذَا شِئْتُمَا! فَنَهَضْنَا حَتَّى دَخَلْنَا المَسْجِدَ، وَصَاحَ صَائِحٌ: الصَّلاَةُ جَامِعَةٌ ـ قَالَ عُثْمَانُ: فَتَأَخَّرْتُ وَاللَّهِ حَيَاءً لِمَا رَأَيْتُ مِنْ إِسْرَاعِهِ إِلَى عَلِيٍّ، فَكُنْتُ فِي آخِرِ المَسْجِدِ ـ قَالَ: وَخَرَجَ

عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ عَوْفٍ وَعَلَيْهِ عِمَامَتُهُ الَّتِي عَمَّمَهُ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مُتَقَلِّداً سَيْفَهُ، حَتَّى رَكِبَ المِنْبَرَ، فَوَقَفَ وُقُوفاً طَوِيلاً، ثُمَّ دَعَا بِمَا لَمْ يَسْمَعْهُ النَّاسُ.

ثُمَّ تَكَلَّمَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ سَأَلْتُكُمْ سِرّاً وَجَهْرَاً عَنْ إِمَامِكُمْ، فَلَمْ أَجِدْكُمْ تَعْدِلُونَ بِأَحَدِ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ: إِمَّا عَلِيٌّ، وَإِمَّا عُثْمَانُ؛ فَقُمْ إِلَيَّ يَا عَلِيُّ، فَقَامَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ، فَوَقَفَ تَحْتَ المِنْبَرِ، فَأَخَذَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بِيَدِهِ، فَقَالَ: هَلْ أَنْتَ مُبَايِعِي عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ وَفِعْلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ لاَ، وَلَكِنْ عَلَى جَهْدِي مِنْ ذَلِكَ وَطَاقَتِي، قَالَ: فَأَرْسَلَ يَدَهُ ثُمَّ نَادَى: قُمْ إِلَيَّ يَا عُثْمَانُ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ ـ وَهُوَ فِي مَوْقِفِ عَلِيٍّ الَّذِي كَانَ فِيهِ ـ فَقَالَ: هَل أَنْتَ مُبَايِعِي عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ وَفِعْلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ؛ قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى سَقْفِ المَسْجِدَ، وَيَدُهُ فِي يَدِ عُثْمَانَ. (ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اسْمَعْ واشْهَدْ؛ اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ جَعَلْتُ ما فِي رقَبَتِي مِنْ ذَاكَ فِي رَقَبَةِ عُثْمَانَ) قَالَ: وَازْدَحَمَ النَّاسُ يُبَايِعُونَ عُثْمَانَ حَتَّى غَشُوهُ عِنْدَ المِنْبَرِ. فَقَعَدَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ مَقْعَدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَقْعَدَ عُثْمَانَ عَلَى الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ، فَجَعَلَ النَّاسَ يُبَايِعُونَهُ،

وَتَلَكَّأَ عَلِيٌّ فَتَلاَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾[1] فَرَجَعَ عَلِيٌّ يَشُقُّ النَّاسَ حَتَّى بَايَعَ[2].

وَقَدْ لَزِمَ أَبُو طَلْحَةَ أَصْحَابَ الشُّورَى بَعْدَ دَفْنِ عُمَرَ حَتَّى بُويِعَ عُثْمَانُ.

---

(١) سورة الفتح: الآية ١٠

(٢) تاريخ الطبري.

الفصل السابع

خِلَافَةُ ذِي النُّورَيْنِ

تُوفِّيَ الفَارُوقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ لِأَرْبَعٍ بَقِينَ مِنْ شَهْرِ ذِي الحِجَّةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ، وَقَدْ غَسَّلَهُ وَكَفَّنَهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ صُهَيْبُ. وَبُويِعَ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَوْمَ الاثْنَيْنِ لِلَيْلَةٍ بَقِيَتْ مِنْ ذِي الحِجَّةِ، فَاسْتَقْبَلَ بِخِلَافَتِهِ المُحرَّمَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ[1].

عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عُمَرَ:

كَانَتْ قَضِيَّةُ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ أَوَّلَ مُشْكِلَةٍ وَاجَهَتِ الخَلِيفَةَ الجَدِيدَ، ذَلِكَ أَنَّ قَتْلَ الفَارُوقِ الخَلِيفَةِ السَّابِقِ قَدِ اشْتَرَكَتْ فِيْهِ عَنَاصِرُ مُتَعَدِّدَةٌ تُمَثِّلُ الأَطْرَافَ المُعَادِيَةَ لِلْإِسْلَامِ وَالحَاقِدَةَ عَلَيْهِ مِنْ مَجُوسٍ، وَيَهُودَ، وَنَصَارَى

(١) مع خلافٍ في الوقت الذي بويع فيه.

حَيْثُ كَانَتْ فِي أَيَّامِ الفَارُوقِ قَدْ زَالَتْ دَوْلَةُ فَارِسَ المَجُوسِيَّةُ، وَأُخْرِجَ اليَهُودُ مِنَ الجَزِيرَةِ، وَتَرَاجَعَتْ دَوْلَةُ الرُّومِ النَصْرَانِيَّةُ عَنْ مَوَاقِعَ وَاسِعَةٍ لَهَا كَانَتْ تَحْتَلُّهَا فِي الشَّامِ، وَمِصْرَ، وَبَعْضِ جِهَاتٍ فِي شَمَالِي إِفْرِيقِيَّةَ، كَمَا ذَلَّتْ تِلْكَ الدَّوْلَةُ الَّتِي كَانَتْ إِحْدَى كُبْرَيَيْ دُوَلِ العَالَمِ يَوْمَذَاكَ. كَانَ أَبُو لُؤْلُؤَةَ «فَيْرُوزُ» الَّذِي قَامَ بِتَنْفِيذِ الجَرِيمَةَ، وَالَّذِي نَحَرَ نَفْسَهُ عِنْدَمَا وَجَدَ أَنَّهُ مَقْبُوضٌ عَلَيْهِ لاَ مَحَالَةَ يُمَثِّلُ أَتْبَاعَ مَنْ بَقِيَ مِنَ المَجُوسِيَّةِ، وَكَانَ جُفَيْنَةُ يُمَثِّل النَّصْرَانِيَّةَ، وَكَانَ اليَهُودُ كَعَادَتِهِمْ يُحَرِّكُونَ مِنَ الخَلْفِ. تَآمَرَتْ هَذِهِ الفِئَاتُ، وَقَامَتْ بِالعَمَلِيَّةِ.

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ أَبِي بَكْرٍ: قَدْ مَرَرْتُ عَلَى أَبِي لُؤْلُؤَةَ قَاتِلِ عُمَرَ، وَمَعَهُ جُفَيْنَةُ وَالهُرْمُزَانُ، وَهُمْ نَجِيٌّ، فَلَمَّا بَاغَتُّهُمْ ثَارُوا فَسَقَطَ مِنْ بَيْنِهِمْ خِنْجَرٌ، لَهُ رَأْسَانِ، وَنِصَابُهُ وَسَطُهُ، فَانْظُرُوا مَا الخِنْجَرُ الَّذِي قُتِلَ بِهِ عُمَرُ، فَلَمَّا نَظَرُوا فِيهِ وَجَدُوهُ الخِنْجَرَ الَّذِي وَصَفَهُ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ أَبِي بَكْرٍ.

فَلَمَّا سَمِعَ عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عُمَرَ كَلاَمَ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بنِ

أَبِي بَكْرٍ، وَوَجَدُوا الخِنْجَرَ الَّذِي قُتِلَ بِهِ أَبُوهُ هُوَ الخِنْجَرُ نَفْسُهُ الَّذِي وَصَفَهُ عَبْدُ الرَّحْمٰن بنُ أَبِي بَكْرٍ انْطَلَقَ وَمَعَهُ السَّيْفُ حَتَّى دَعا الهُرْمُزَانَ، فَلَمَّا خَرَجَ إِلَيْهِ، قَالَ: انْطَلِقْ مَعِي حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى فَرَسٍ لِي، وَتَأَخَّرَ عَنْهُ، حَتَّى إِذَا مَضَى بَيْنَ يَدَيْهِ عَلاَهُ بِالسَّيْفِ. قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عُمَرَ: فَلَمَّا وَجَدَ حَرَّ السَّيْفِ، قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ.

وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: وَدَعَوْتُ جُفَيْنَةَ، وَكَانَ نَصْرَانِيّاً مِنْ نَصَارَى الحِيرَةِ، قَالَ: فَلَمَّا عَلَوْتُهُ بِالسَّيْفِ صَلَّبَ بَيْنَ يَدَيْهِ. ثُمَّ انْطَلَقَ عُبَيْدُ اللَّهِ فَقَتَلَ ابْنَةً صَغِيرَةً لأَبِي لُؤْلُؤَةَ. وَأَرَادَ عُبَيْدُ اللَّهِ أَلاَّ يَتْرُكَ سَبْياً يَوْمَئِذٍ بِالمَدِينَةِ إِلاَّ قَتَلَهُ، إِلاَّ أَنَّ الصَّحَابَةَ قَدْ نَهَرُوهُ، ثُمَّ قُبِضَ عَلَيْهِ وَسُجِنَ حَتَّى يَنْظُرَ فِي أَمْرِهِ الخَلِيفَةُ الجَدِيدُ.

جَلَسَ عُثْمَانُ فِي جَانِبِ المَسْجِدِ، وَدَعَا بِعُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ، وَكَانَ مَحْبُوساً فِي دَارِ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَهُوَ الَّذِي نَزَعَ السَّيْفَ مِنْ يَدِهِ بَعْدَ قَتْلِهِ جُفَيْنَةَ وَالهُرْمُزَانَ وَابْنَةَ أَبِي لُؤْلُؤَةَ، وَكَانَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لأَقْتُلَنَّ رِجَالاً مِمَّنْ شَرِكَ فِي دَمِ أَبِي، فَقَامَ إِلَيْهِ سَعْدٌ، فَنَزَعَ

السَّيفَ مِنْ يَدِهِ، وَجذَبَ شَعْرَهُ حَتَّى أَضْجَعَهُ إِلَى الأَرْضِ، وَحَبَسَهُ فِي دَارِهِ حَتَّى أَخْرَجَهُ عُثْمَانُ إِلَيْهِ. فَقَالَ عُثْمَانُ لِجَمَاعَةٍ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ: أَشيرُوا عَلَيَّ فِي هَذَا الَّذِي فَتَقَ فِي الإِسْلاَمِ مَا فَتَقَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَرَى أَنْ تَقْتُلَهُ، فَقَالَ بَعْضُ المُهَاجِرِينَ قُتِلَ عُمَرُ بِالأَمْسِ، وَيُقْتَلُ ابْنُهُ اليَوْمَ. فَقَالَ عَمْرُو بنُ العَاصِ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْفَاكَ أَنْ يَكُونَ هَذَا الحَدَثُ كَانَ وَلَكَ عَلَى المُسْلِمِينَ سُلْطَانُ، إِنَّمَا كَانَ هَذَا الحَدَثُ وَلاَ سُلْطَانَ لَكَ، قَالَ عُثْمَانُ: أَنَا وَلِيُّهُمْ، وَقَدْ جَعَلْتُهَا دِيَةً، وَاحْتَمَلْتُهَا فِي مَالِي.

وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ زِيَادُ بنُ لَبِيدِ البَيَّاضِيُّ إِذَا رَأَى عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عُمَرَ قَالَ:

أَلاَ يَا عُبَيْدَ اللَّهِ مَالَكَ مَهْرَبٌ
وَلاَ مَلْجَأٌ مِنِ ابْنِ أَرْوَى وَلاَ خَفَرْ

أَصَبْتَ دَمَاً وَاللَّهِ فِي غَيْرِ حِلِّهِ
حَرَامَاً وَقَتْلُ الهُرْمُزَانِ لَهُ خَطَرْ

عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ غَيْرَ أَنْ قَالَ قَائِلٌ
أَتَتَّهِمُونَ الهُرْمُزَانَ عَلَى عُمَرْ

فَـقَـالَ سَـفِـيـهٌ وَالـحَـوَادِثُ جَـمَّـةٌ
نَـعَـمْ اتَّـهِـمْـهُ قَـدْ أَشَـارَ وَقَـدْ أَمَـرْ
وَكَـانَ سِلاَحُ الـعَبْـدِ فِـي جَوْفِ بَيْتِهِ
يُـقَـلِّـبُـهَـا وَالأَمْـرُ بِـالأَمْـرِ يُـعْـتَـبَـرْ

فَشَكَا عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عُمَرَ إِلَى عُثْمَانَ زِيَادَ بنِ لَبِيدٍ وَشِعْرَهُ، فَدَعَا عُثْمَانُ زِيَادَ بنَ لَبِيدٍ، فَنَهَاهُ. قَالَ: فَأَنْشَدَ زِيَادُ يَقُولُ فِي عُثْمَانَ:

أَبَـا عَـمْـرٍو عُـبَـيْـدُ الـلَّـهِ رَهْـنٌ
فَـلاَ تَـشْـكُـكْ بِـقَـتْـلِ الـهُـرْمُـزَانِ
فَـإِنَّـكَ إِنْ غَـفَـرْتَ الـجُـرْمَ عَـنْـهُ
وَأَسْـبَـابُ الـخَـطَـا فَـرَسَـا رِهَـانِ
أَتَـعْـفُـو إِنْ عَـفَـوْتَ بِـغَـيْـرِ حَـقٍّ
فَـمَـالَـكَ بِـالَّـذِي تَـحْـكَـى يَـدَانِ

فَدَعَا عُثْمَانُ زِيَادَ بنَ لَبِيدٍ فَنَهَاهُ وَشَذَّبَهُ[1].

إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَكُوا فِي قَتْلِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ لاَ بُدَّ

(١) تاريخ الطبري.

مِنْ قَتْلِهِمْ وَضْعاً لِلْحَدِّ مِنْ جَرَائِمِ القَتْلِ، وَعَبَثِ أَعْدَاءِ الإِسْلاَمِ بِأَهْلِهِ إِلاَّ أَنَّ إِقَامَةَ الحَدِّ لاَ بُدَّ مِنْ أَنَ يَكُونَ بِرَأْيِ الخَلِيفَةِ، فَالحَدُّ حَقٌّ لِلَّهِ تَعَالَى، لِذَلِكَ فَإِنَّهُ لاَ أَثَرَ لِلْعَفْوِ فِيْهِ بَعْدَ أَنْ يَبْلُغَ الخَلِيفَةَ. وَالأَصْلُ أَنَّ إِقَامَةَ الحُدُودِ لِلْخَلِيفَةِ لأَنَّهَا حَقُّ اللَّهِ، وَلِلْخَلِيفَةِ أَنْ يُوكِلَ فِي إِقَامَتِهَا أُمَرَاءَ الأَمْصَارِ أَوِ القُضَاةِ، وَإِذَا كَانَ الحَدُّ قَتْلاً فَلاَ بُدَّ مِنَ الرُّجُوعِ إِلَى الخَلِيفَةِ، وَذَلِكَ حَتَّى لاَ يَكُونَ تَعَدٌّ عَلَى صَلاَحِيَّاتِ صَاحِبِ الأَمْرِ، وَحَتَّى لاَ يَفْلَتَ زِمَامُ الأَمْرِ، وَيَقُومَ بِتَنْفِيذِ الأَحكَام كُلُّ امْرِىءٍ حَسْبَ رَأْيِهِ وَهَوَاهُ بِاسْمِ إِقَامَةِ الحُدُودِ. وَلَمَّا قَامَ عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عُمَرَ بِالأَمْرِ مِنْ نَفْسِهِ فَلاَ بُدَّ مِنْ حِسَابِهِ، وَلَكِنَّ الخَلِيفَةَ هُوَ الَّذِي يُحَاسِبُهُ، وَيَنْظُرُ فِي أَمْرِهِ، وَلَيْسَ غَيْرُهُ، لِذَا فَقَدْ حُبِسَ عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عُمَرَ بِانْتِظَارِ رَأْيِ الخَلِيفَةِ الجَدِيدِ. فَلَمَّا تَوَلَّى عُثْمَانُ كَانَتْ هَذِهِ أَوَّلَ مُشْكِلَةٍ وَاجَهَتْهُ، وَلاَ بُدَّ مِنْ إِقَامَةِ الحَدِّ، وَهُوَ القَتْلُ، وَهَذَا مَا أَشَارَ بِهِ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ وَعَدَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ. وَقَدْ صَعُبَ عَلَى عَدَدٍ آخَرَ أَنْ يُقْتَلَ الخَلِيفَةُ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ بِالأَمْسِ بِأَيْدٍ قَذِرَةٍ، وَيُقْتَلَ ابْنُهُ اليَوْمَ. وَلَكِنَّ العَوَاطِفَ لاَ تَقِفُ دُونَ تَطْبِيقِ الحُدُودِ.

كَانَتْ أَوْضَاعُ القَتْلَى تَخْتَلِفُ فَجُفَيْنَةُ نَصْرَانِيٌّ، وَلاَ يُقَادُ المُسْلِمُ بِالذِّمِيِّ بَلْ تُدْفَعُ لَهُ الدِّيَةُ، وَإِذَا نَقَضَ العَهْدَ فَإِنَّ دَمَهُ يُهْدَرُ. وَلَمَّا كَانَ جُفَيْنَةُ مُتَّهَمٌ اتِّهَاماً وَلَمْ تَثْبُتْ إِدَانَتُهُ فَإِنَّ لَهُ الدِّيَةُ. وَأَمَّا ابْنَةُ فَيْرُوزَ فَإِنَّ أَبَاهَا هُوَ الجَانِي، وَقَدِ انْتَحَرَ، وَدَمُهُ مَهْدُورٌ أَصْلاً، غَيْرَ أَنَّ ابنَتَهُ صَغِيرَةٌ وَلَيْسَ عَلَيْهَا وِزْرُ أَبِيهَا لِذَا فَلَهَا الدِيَةُ. وَقَدْ دُفِعَتْ الدِيَةُ لِهَذَيْنِ القَتِيلَيْنِ مِنْ بَيْتِ مَالِ المُسْلِمِينَ، وَلَمَّا كَانَ لاَ وَلِيَّ لَهُمَا، وَإِنَّمَا الخَلِيفَةُ وَلِيُّهُمَا لِذَا فَقَدْ أَخَذَ الدِّيَةَ، وَأَعَادَهَا إِلَى بَيْتِ المَالِ.

وَكَانَتِ المُشْكِلَةُ هِيَ الهُرْمُزَانُ حَيْثُ عُدَّ مُسْلِماً، وَعِنْدَمَا قَتَلَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عُمَرَ، كَانَ عُمَرُ لاَ يَزَالُ حَيّاً فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ قَتَلَ الهُرْمُزَانَ، قَالَ: وَلِمَ قَتَلَهُ؟ قَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ أَبِي، قِيلَ: وَكَيْفَ ذَاكَ؟ قَالَ: رُؤِيَ قَبْلَ ذَلِكَ مُستَخْلِيَاً بِأَبِي لُؤْلُؤَةَ، وَهُوَ أَمَرَهُ بِقَتْلِ أَبِي. قَالَ عُمَرُ: مَا أَدْرِي مَا هَذَا؟ انْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ، فَاسْأَلُوا عُبَيْدَ اللَّهِ البَيِّنَةَ فَإِنْ أَقَامَهَا فَدَمُهُ بِدَمِي، وإِنْ لَمْ يُقِمْهَا فَأَقِيدُوا عُبَيْدَ اللَّهِ بنَ عُمَرَ لِلْهُرْمُزَانِ. فَلَمَّا وَلِيَ عُثْمَانُ قِيلَ لَهُ: أَلاَ تُمْضِ وَصِيَةَ عُمَرَ فِي عُبَيْدِ اللَّهِ، قَالَ: مَنْ وَلِيُّ

الهُرْمُزَانِ؟ قَالُوا: أَنْتَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: قَدْ عَفَوْتُ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ[1]. سُئِل عُبَيْدُ اللَّهِ عَنِ البَيِّنَةِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ إِثْبَاتَهَا، فَالقَتْلُ خَطَأٌ، وَالدِّيَةُ وَاجِبَةٌ، وَلَكِنَّ الخَلِيفَةَ هُوَ المَسْؤُولُ عَنْ إِقَامَةِ الحُدُودِ لِذَا فَإِنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ مُتَعَدٍّ، وَقَامَ بِالقَتْلِ وَقَدْ أَخْطَأَ، لِذَا فَإِنَّ الخَلِيفَةَ حَكَمَ عَلَيْهِ بِالقَوْدِ. وَدَعَا القَمَاذْبَانَ بنَ الهُرْمُزَانِ وَسَلَّمَهُ إِيَّاهُ لِيَقْتُلَهُ بِأَبِيهِ. يَقُولُ القَمَاذْبَانُ: كَانَتِ العَجَمُ بِالمَدِينَةِ يَسْتَرْوِحُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَمَرَّ فَيْرُوزُ بِأَبِي، وَمَعَهُ خِنْجَرٌ لَهُ رَأْسَانِ، فَتَنَاوَلَهُ مِنْهُ، وَقَالَ: مَا تَصْنَعُ بِهَذَا فِي هَذِهِ البِلادِ؟ فَقَالَ: آنَسُ بِهِ، فَرَآهُ رَجُلٌ، فَلَمَّا أُصِيبَ عُمَرُ، قَالَ: رَأَيْتُ هَذَا مَعَ الهُرْمُزَانِ، دَفَعَهُ إِلَى فَيْرُوزَ، فَأَقْبَلَ عُبَيْدُ اللَّهِ فَقَتَلَهُ، وَلَمَّا وَلِيَ عُثْمَانُ دَعَانِي فَأَمْكَنَنِي مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا بُنَيَّ، هَذَا قَاتِلُ أَبِيكَ، وَأَنْتَ أَوْلَى بِهِ مِنَّا، فَاذْهَبْ فَاقْتُلْهُ، فَخَرَجْتُ بِهِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَحَدٌ إِلاَّ مَعِي، إِلاَّ أَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ إِلَيَّ فِيهِ، فَقُلْتُ لَهُمْ: أَلِي قَتْلُهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ - وَسَبُّوا عُبَيْدَ اللَّهِ - فَقُلْتُ: أَفَلَكُمْ أَنْ تَمْنَعُوهُ؟

(١) سنن البيهقي ٨/ ٦٢.

قَالُوا: لاَ، وَسَبُّوهُ، فَتَرَكْتُهُ لِلَّهِ وَلَهُمْ. فَاحْتَمَلُونِي، فَوَاللَّهِ مَا بَلَغْتُ المَنْزِلَ إِلاَّ عَلَى رُؤُوسِ الرِّجَالِ وَأَكُفِّهِمْ[1].

فَالقَتْلُ إِذَنْ خَطَأٌ، وَالدِّيَةُ لاَ بُدَّ مِنْهَا، وَإِنْ تَمَّ العَفْو، وَقَدْ دَفَعَهَا أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ، عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنْ مَالِهِ الخَاصِّ، وَانْتَهَتِ المُشْكِلَةُ الَّتِي شَغَلَتْ مُجْتَمَعَ المَدِينَةِ أَيَّاماً.

الوِلاَيَاتُ:

كَانَ الفَارُوقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَدْ أَوْصَى الخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِهِ أَنْ يُبْقِيَ عُمَّالَهُ فِي عَمَلِهِمْ سَنَةً، ثُمَّ يُبْدِلُهُمْ بَعْدَهَا إِنْ رَغِبَ.

نَفَّذَ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَصِيَّةَ سَلَفِهِ الفَارُوقِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَبْقَى عُمَّال عُمَرَ سَنَةً، ثُمَّ أَخَذَ يَسِيرُ بِرَأْيِهِ حَسْبَمَا تَقْتَضِي ظُرُوفُ الوِلاَيَاتِ، وَحَسْبَ عَمَلِ الوُلاَةِ أَنْفُسِهِمْ، وَعَلاَقَتِهِمْ بِالرَّعِيَّةِ.

بَعْدَ سَنَةٍ مِنْ إِمَارَةِ عُثْمَانَ عَزَلَ المُغِيرَةَ بنَ شُعْبَةَ عَنِ

---

(١) تاريخ الطبري.

الكُوفَةِ، وَوَلَّى سَعَدَ بنَ أَبِي وَقَّاصٍ عَلَيْهَا، وَذَلِكَ حَسْبَ وَصِيَّةِ الفَارُوقِ أَيْضاً حَيْثَ قَالَ: أُوصِي الخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي أَنْ يَسْتَعْمِلَ سَعْدَ بنَ أَبِي وَقَّاصٍ، فَإِنِّي لَمْ أَعْزِلْهُ عَنْ سُوءٍ، وَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَلْحَقَهُ مِن ذَلِكَ. وَكَانَ أَوَّلَ عَامِلٍ بَعَثَ بِهِ عُثْمَانُ سَعْدَ بنَ أَبِي وَقَّاصٍ عَلَى الكُوفَةِ، وَعَزَلَ المُغِيرَةَ بنَ شُعْبَةَ، وَالمُغِيرَةُ يَوْمَئِذٍ بِالمَدِينَةِ. فَعَمِلَ عَلَيْهَا سَعْدٌ سَنَةً وَبَعْضَ أُخْرَى، ثُمَّ عَزَلَهُ، وَوَلَّى مَكَانَهُ الوَلِيدَ بنَ عُقْبَةَ مُدَّةَ أَرْبَعِ سَنَوَاتٍ ثُمَّ كَانَ سَعِيدُ بنُ العَاصِ[1].

---

(١) سعيد بن العاص بن أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي. والد عمرو بن سعيد (الأشدق) ووالد يحيى بن سعيد.
قتل أبوه يوم بدرٍ كافراً، وخلّف ابنه سعيداً طفلاً.
كان أميراً شريفاً، جواداً ممدّحاً، حليماً، وقوراً، ذا حزمٍ وعقل. ولي إمرة الكوفة لعثمان، غزا طبرستان وافتتحها، ويقول فيه الفرزدق:
ترى الغرّ الجحاجح من قريشٍ   إذا ما الأمر ذو الحدثان عالا
قياماً ينظرون إلى سعيد   كأنهم يرون به هلالا
كان سعيد أحد من ندبه عثمان لكتابة المصحف لفصاحته، وشبه لهجته بلهجة الرسول ﷺ.
خطب سعيد أم كلثوم بنت علي بعد عمر، وبعث إليها بمائة ألف، فدخل عليها أخوها الحسين، وقال: لا تزوجيه. فقال=

وَأَبْقَى عُثْمَانُ عَلَى البَصْرَةِ أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ عِدَّةَ سَنَوَاتٍ، ثُمَّ عَزَلَهُ، وَوَلَّى مَكَانَهُ عَبْدَ اللَّهِ بنَ عَامِرٍ سَنَة تِسْعٍ وَعِشْرِينَ.

وَوَلَّى عُثْمَانُ عَلَى مِصْرَ عَبْدَ اللَّهِ بنَ سَعْدِ بنِ أَبِي سَرْحٍ، بَعْدَ أَنْ عَزَلَ عَمْرَو بنَ العَاصِ الَّذِي تَوَلَّى أَمْرَهَا مُنْذُ فَتْحِهَا عَامَ عِشْرِينَ.

وَكَانَ مُعَاوِيَةُ وَالِيَاً أَيَّامَ الفَارُوقِ عَلَى بَعْضِ أَجْزَاءِ الشَّامِ، وَضُمَّتْ لَهُ بَقِيَّةُ الأَجْزَاءِ لِوَفَاةِ عُمَّالِهَا أَوْ لاَسْتِعْفَاءِ بَعْضِهِمْ.

= الحسن: أنا أزوجه، واتّعدوا لذلك، فحضروا، فقال سعيد: وأين أبو عبد الله؟ فقال الحسن: سأكفيك. قال: فلعلّ أبا عبد الله كره ذلك. قال: نعم.

قال: لا أدخل في شيء يكرهه، ورجع، ولم يأخذ من المال شيئاً.

قال ابن عيينة: كان سعيد إذا قصده سائل وليس عنده شيء، قال: اكتب عليّ سجلاً بمسألتك إلى وقت الميسرة.

واستسقى مرّةً من بيت فسقوه، واتفق أن صاحب المنزل أراد بيعه لدين عليه، فأدّى عنه أربعة آلاف دينار.

قاتل يوم الدار عن عثمان.

اعتزل الفتنة، ولم يدخل بها، ومع ذلك فقد ولاّه معاوية المدينة بعد مروان واستتباب الوضع.

توفي سنة سبعٍ وخمسين (مع خلافٍ) بالمدينة، ودفن بالبقيع.

فَأَكْثَرُ عُمَّالِ عُثْمَانَ كَانُوا عُمَّالاً لِلْفَارُوقِ، وَلَمْ يَكُنِ اسْتِبْقَاؤُهُمْ، أَوْ نَقْلُهُمْ إِلَى وِلاَيَاتٍ أَكْبَرَ لِصِلَةٍ أَوْ قَرَابَةٍ بَلْ لإِمْكَانَاتِهِمْ الإِدَارِيةِ وَتَجَارِبِهِمْ، وَمَا عُرِفَ عَنْهُمْ مِنْ طَاقَاتٍ وَحِكْمَةٍ، وَإِنِ اسْتَغَلَّ أَعْدَاءُ الإِسْلاَمِ صِلَةَ بَعْضِهِمْ بِالخَلِيفَةِ مِنْ حَيْثُ القَرَابَةِ فَأَثَارُوا الشُّبْهَةَ. وَالطَّعْنُ بِالرَّأْسِ هُوَ طَعْنٌ بِمَنْ يُمَثِّلُهُم، وَإِلْقَاءُ الشُّبُهَاتِ عَلَى أَصْحَابِ عَقِيدَةٍ أَوْ مَبْدَإٍ إِنَّمَا هُوَ طَعْنٌ بِالعَقِيدَةِ أَوِ المَبْدَإِ نَفْسِهِ، وَهَذَا مَا قَصَدَ لَهُ مَنْ أَثَارَ الشُّبْهَاتِ حَوْلَ الخَلِيفَةِ وَعُمَّالِهِ رَغْمَ أَنَّ الَّذِي وَلاَّهُمْ هُوَ الفَارُوقُ لاَ ذُو النُّورَيْنِ. فَالمَقْصُودُ بِالطَّعْنِ هُوَ الإِسْلاَمُ وَلَيْسَ عُثْمَانَ وَلَيْسَ عُمَّالَهُ. وَوَاضِحٌ هَذَا فَالطَّعْنُ لَمْ يَأْتِ مِنْ مُسْلِمٍ ذِي عِلْمٍ بَلْ مِنْ عَدُوٍّ أَوْ جَاهِلٍ يُرَدِّدُ مَا يُقَالُ.

وَمَا أَبْعَدَ أُمَّةً عَنِ الحَقِّ تَحْرِمُ نَفْسَهَا مِنْ خِبْرَاتِ بَعْضِ رِجَالِهَا، وَتَمْنَعُهُمْ مِنَ العَمَلِ لِقَرَابَتِهِمْ مِنْ مَسْؤُولٍ أَوْ لِصِلَتِهِمْ بِذِي شَأْنٍ بَيْنَهُمْ.

الفصل الثامن

الفُتُوحَاتُ فِي عَهْدِ ذِي النُّورَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

لَقَدْ تَمَّتْ فُتُوحَاتٌ وَاسِعَةٌ فِي عَهْدِ عُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَتْ عَلَى مُخْتَلَفِ الجَبَهَاتِ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ، وَاسْتَمَرَّتْ عَمَلِيَّةُ الفَتْحِ مَا يَزِيدُ عَلَى عَشْرِ سَنَواتٍ مِنْ مُدَّةِ خِلاَفَةِ ذِي النُّورَيْنِ الَّتِي دَامَتْ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً ثُمَّ تَوَقَّفَتْ هَذِهِ الفُتُوحَاتُ بِسَبَبِ الفِتْنَةِ الَّتِي أَجْهَضَتِ الجِهَادَ، وَأَشْغَلَتِ النَّاسَ، وَأَوْقَعَتِ الخِلاَفَ، وَدَبَّتِ الفَوْضَى. وَتُعَدُّ هَذِهِ الفُتُوحَاتُ تَتِمَّةً لِلْفُتُوحَاتِ الكُبْرَى الَّتِي كَانَتْ أَيَّامِ الفَارُوقِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَدْ سُلِّطَتِ الأَضْوَاءَ عَلَى أَحْدَاثِ الفِتْنَةِ حَتَّى طَغَتْ عَلَى مَا سِوَاهَا مِنْ حَوَادِثِ المُجْتَمَعِ كُلِّهَا، بَلَ غَطَّتْ

عَلَى تِلْكَ الفُتُوحَاتِ الوَاسِعَةِ، وَلَمْ يَعُدْ يُعْرَفُ غَيْرُهَا فِي حَيَاةِ الخَلِيفَةِ الرَّاشِدِ ذِي النُّورَيْنِ وَذَلِكَ تَحْتَ تَأْثِيرِ أَعْدَاءِ الإِسْلَامِ الَّذِينَ يَتَظَاهَرُونَ بِالانْتِمَاءِ إِلَيْهِ وَأَنَّهُمْ بَعْضُ أَبْنَائِهِ، وَهُمْ يَعْمَلُونَ بِالحَقِيقَةِ عَلَى التَّهْدِيمِ فِيْهِ بِإِعْطَاءِ المَعْلُومَاتِ الخَاطِئَةِ عَنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُمُ الَّذِينَ نَقَلُوا إِلَيْنَا الدِّينَ، فَإِذَا كَانُوا عَلَى هَذِهِ الحَالِ ـ حَسْبَ زَعْمِهِمْ ـ فَنَقْلُهُمْ فِيْهِ شَكٌّ وَهَذَا مَا خَطَّطَ لَهُ أُولَئِكَ الأَعْدَاءُ المَاكِرُونَ. لِذَا كَانَ عَلَيْنَا تَصْحِيحُ المَعْلُومَاتِ وَتِبْيَانُ الحَقِّ، وَتَقْدِيمُ الصُّورَةِ الصَّادِقَةِ عَنْ تَارِيخِ هَؤُلاَءِ النُّخْبَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ الكِرَامِ.

لَقَدْ فَتَحَ المُسْلِمُونَ قَبْلَ أَيَّامِ ذِي النُّورَيْنِ مَنَاطِقَ وَاسِعَةً، وَكَانَ عَدَدُ جُنْدِهِمْ قَلِيلاً بِالنِّسْبَةِ إِلَى تِلْكَ الأَرَاضِي الشَّاسِعَةِ الَّتِي دَخَلُوهَا وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى أَعْدَادِ أَعْدَائِهِمُ الكَبِيرَةِ، وَهَذَا مَا جَعَلَ المُسْلِمِينَ لاَ يَتْرُكُونَ فِي المَنَاطِقِ الَّتِي يُصَالِحُونَ أَهْلَهَا إِلاَّ الجُنْدَ القَلِيلَ، وَلاَ يُبْقُونَ فِي البِقَاعِ الَّتِي يَفْتَحُونَهَا إِلاَّ العَدَدَ الضَّئِيلَ، وَبِخَاصَّةٍ أَنَّهُ كَانَتْ هُنَاكَ جَبَهَاتُ قِتَالٍ مَفْتُوحَةٌ، وَثُغُورٌ يَجِبُ حِمَايَتُهَا، وَمَرَاكِزُ يَجِبُ الدِّفَاعُ عَنْهَا، وَالتَّجَمُّعُ فِيهَا

لِلإِمْدَادَاتِ فِي الأَوْقَاتِ اللاَّزِمَةِ، كُلُّ هَذَا جَعَلَ عَدَدَ المُسْلِمِينَ قَلِيلاً فِي البِلاَدِ المَفْتُوحَةِ حَدِيثاً، وَفِي الوَقْتِ نَفْسِهِ فَإِنَّ هَذَا قَدْ شَجَّعَ أَهْلَهَا لِنَقْضِ عَهْدِهِمْ، والامْتِنَاعِ عَنْ دَفْعِ الجِزْيَةِ، وَدَبَّ فِي خَلَدِهِمْ أَنَّهُ بِإِمْكَانِهِمْ هَزِيمَةَ المُسْلِمِينِ وَقِتَالَهُمْ، وَاسْتِرْجَاعَ بِلاَدِهِمْ لِسُلْطَانِهِمْ، وَأَنَّ مَا وَقَعَ لَهُمْ فِي القِتَالِ الأَوَّلِ لَمْ يَكُنْ سِوَى جَوْلَةٍ هُزِمُوا فِيْهَا نَتِيجَةَ أَخْطَاءِ ارْتَكَبُوهَا، وَقَدْ عَرَفُوهَا فِيمَا بَعْدُ، وَانْتَبَهُوا إِلَيْهَا، وَيُمْكِنُهُمْ، أَنْ يَتَدَارَكُوهَا. وَقَدْ حَرَّكَ أَصْحَابُ العَصَبِيَّاتِ الجَاهِلِيَّةِ، وَأَصْحَابُ المَنَافِعِ مِنْ رِجَالِ السُّلْطَةِ السَّابِقِينَ، وَأَهْلُ الأَهْوَاءِ، وَالمُجْرِمُونَ حَرَّكُوا العَامَّةَ، وَأَخَذُوا يُبْدُونَ حَسْرَتَهُمْ عَلَى عِزِّهِمُ الزَّائِلِ، وَمَجْدِهِمُ الضَّائِعِ، وَأَيَّامِ عَهْدِهِمُ الخَالِيَةِ، وَأَوْقَاتِ شُهْرَةِ دَوْلَتِهِمْ، لِذَا كَانُوا يَتَحَيَّنُونَ الفُرَصَ لِلانْقِضَاضِ عَلَى المُسْلِمِينَ، وَنَقْضِ عَهْدِهِمْ مَعَهُمْ ـ هَكَذَا النَّفْسُ البَشَرِيةُ قَبْلَ أَنْ يَعْمُرَهَا الإِيمَانُ، وَتُدْرِكَ حَلاَوَتَهُ ـ وَمِنْ هُنَا كَانَ نَقْضُ العَهْدِ. وَقَدْ ظَنَّ أَصْحَابُ العَصَبِيَّةِ وَالَّذِينَ تَعَاوَنُوا مَعَهَا مِنْ يَهُودَ وَنَصَارَى أَنَّهُمْ قَدْ حَقَّقُوا نَصْراً بِارْتِكَابِ جَرِيمَتِهِمْ بِقَتْلِ الخَلِيفَةِ الفَارُوقِ، وَقَدْ آنَ لَهُمْ أَنْ

يَتَحَرَّكُوا، وَانْتَهَزَ الرُّومُ وَالمَجُوسُ الفُرْصَةَ وَظَنُّوا أَنَّ أَمْرَ المُسْلِمِينَ قَدْ ضَعُفَ فَأَثَارُوا أَعْوَانَهُمْ مِمَّنْ لَمْ يَدْخُلُوا فِي الإِسْلَامِ أَوْ تَظَاهَرُوا بِهِ، أَوْ أَثَارَتْهُمُ الأَطْمَاعُ فَنَقَضُوا العَهْدَ، وَلَكِنَّهُمْ فُوجِئُوا أَنَّ قُوَّةَ المُسْلِمِينَ لَمْ تَزَلْ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ لَمْ تَخْتَلِفْ أَيَّامَ الفَارُوقِ الخَلِيفَةِ السَّابِقِ عَنْ عَهْدِ ذِي النُّورَيْنِ الخَلِيفَةِ الجَدِيدِ، فَأَدَّبَ المُسْلِمُونَ خُصُومَهُمْ مَرَّةً ثَانِيَةً، كَمَا جَرَتْ فُتُوحَاتٌ جَدِيدَةٌ.

هَذِهِ القُوَّةُ الَّتِي ظَهَرَتْ عِنْدَ المُسْلِمِينَ وَالَّتِي قَادَهَا ذُو النُّورَيْنِ، وَهَذِهِ الفُتُوحَاتُ الوَاسِعَةُ الَّتِي قَامَ بِهَا الخَلِيفَةُ هِيَ الَّتِي وَلَّدَتْ كُرْهاً لَهُ مِنْ قِبَلِ أَصْحَابِ العَصَبِيَّاتِ الجَاهِلِيَّةِ مِنْ مَجُوسِيَّةٍ وَغَيْرِهَا، وَشَحَنَتْ نُفُوسَ أَبْنَائِهَا، بِأَحْقَادٍ وَضَغَائِنَ عَلَيْهِ فَأَخَذُوا فِي تَشْوِيهِ سِيرَتِهِ، وَرَمْيِ الافْتِرَاءَاتِ فِي تَارِيخِهِ، وَبَثِّ الشَّائِعَاتِ فِي عَهْدِهِ، وَدَسِّ الدَّسَائِسِ فِي أَيَّامِهِ كَما فَعَلُوا فِيمَنْ سَبَقَهُ مِنَ الخُلَفَاءِ.

الجَبْهَةُ الشَّرْقِيَّةُ:

كَانَتْ ثَلَاثَةُ مُعَسْكَرَاتٍ فِي الجَبْهَةِ الشَّرْقِيَّةِ تَتَوَلَّى القِتَالَ، وَيَجْتَمِعُ فِيهَا المُجَاهِدُونَ لِلانْطِلَاقِ إِلَى الثُّغُورِ

وَالأَمَاكِنِ الَّتِي تَدْعُو الحَاجَةُ فِيهَا لِلْقِتَالِ، وَهَذِهِ المُعَسْكَرَاتُ هِيَ: الكُوفَةُ، وَالبَصْرَةُ، والبَحْرَيْنِ.

الكُوفَةُ:

وَكَانَتْ غَزَوَاتُ جُنْدِ الكُوفَةِ الرَّيَّ(١) وَأَذْرَبِيجَانَ، وَكَانَ فِي الثَّغْرَيْنِ عَشَرَةُ آلَافِ مُقَاتِلٍ مِنْ أَهْلِ الكُوفَةِ سِتَّةٌ مِنْهُمْ فِي أَذْرَبِيجَانَ، وَأَرْبَعَةٌ فِي الرَّيِّ. وَفِي مُعَسْكَرِ الكُوفَةِ أَرْبَعُونَ أَلفَ مُقَاتِلٍ، فَكَانَ كُلُّ رَجُلٍ يَغْزُو غَزْوَةً وَاحِدَةً كُلَّ أَرْبَعِ سَنَوَاتٍ.

أ ـ أَذْرَبِيجَانَ:

تَوَلَّى أَمْرَ الكُوفَةِ الوَلِيدُ بنُ عُقْبَةَ(٢) سَنَةَ سِتٍّ

---

(١) الري: مكان طهران اليوم، وكانت طهران ضاحيةً لها، ثم احترقت الري، وتوسعت طهران حتى شملتها.

(٢) الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن عبد شمس بن عبد مناف، الأمير، أبو وهب. أخو عثمان بن عفان لأمه، أسلم يوم الفتح، بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق، تولى أمر الكوفة، وجاهد مع أهلها، وجاهد بالشام، كان شاعراً، سخياً، اعتزل بالجزيرة بعد قتل أخيه. له صحبة قليلة، ورواية يسيرة، كان يشرب الخمر، وأقيم عليه الحد.

وَعِشْرِينَ بَعْدَ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ. وَكَانَ أَهْلُ أَذْرَبِيجَانَ وَأَرْمِينْيَا قَدْ نَقَضُوا مَا عَاهَدُوا عَلَيْهِ المُسْلِمِينَ أَيَّامُ الفَارُوقِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ، فَسَارَ إِلَيْهِمُ الوَلِيدُ فِي السَّنَةِ الَّتِي تَوَلَّى فِيهَا أَمْرَ الكُوفَةِ، وَبَعَثَ سَلْمَانَ بنَ رَبِيعَةَ البَاهِلِيَّ[1] مُقَدِمَةً لَهُ، وَانْطَلَقَ هُوَ فِي أَثَرِهِ حَتَّى دَخَلَ أَذْرَبِيجَانَ.

وَبَعَثَ الوَلِيدُ بنُ عُقْبَةَ فِي أَرْبَعَةِ آلاَفٍ عَبْدَ اللَّهِ بنَ شُبَيْلِ بنِ عَوْفٍ الأَحْمَسِيَّ فَأَغَارَ عَلَى مُوقَانَ[2] وَالطَيْلَسَانَ[3] فَغَنِمَ وَسَبَى.

وَصَالَحَ الوَلِيدُ بنُ عُقْبَةَ أَهْلَ أَذْرَبِيجَانَ عَلَى ثَمَانِمِائَةِ دِرْهَم، وَهُوَ المَبْلَغُ الَّذِي كَانُوا قَدْ صَالَحُوا عَلَيْهِ حُذَيْفَةَ بنَ اليَمَانِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ.

وَبَعَثَ الوَلِيدُ إِلَى أَرْمِينْيَا سَلْمَانَ بنَ رَبِيعَةَ عَلَى رَأْسِ

---

(١) سلمان بن ربيعة بن يزيد الباهلي: صحابي من القادة، القضاة، شهد فتوح الشام، وسكن العراق، وولاه الفاروق قضاء الكوفة، واستشهد في غزوة أرمينيا عام ٣٠هـ.

(٢) موقان: موقان وجيلان هم أهل إقليم طبرستان.

(٣) الطيلسان: إقليم واسع كثير البلدان والسكان من نواحي الديلم والخزر افتتحه الوليد بن عقبة في سنة ٣٥هـ.

اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفاً، فَدَوَّخَ الأَرْمَنَ وَرَجَعَ بَعْدَهَا غَانِماً.

وَرَجَعَ الوَلِيدُ مِنْ أَذْرِبِيجَانَ فَمَرَّ عَلَى المُوصِلِ، وَمِنْهَا إِلَى الحَدِيثَةِ[1]، وَفِيهَا جَاءَهُ كِتَابُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ يَطْلُبُ مِنْهُ تَسْيِيرَ قُوَّةٍ إِلَى الشَّامِ لَدَعْمِ المُسْلِمِينَ فِيهَا حَيْثُ حَشَدَ لَهُمُ الرُّومُ حُشُوداً كَثِيفَةً، فَسَيَّرَ لَهُمْ ثَمَانِيَةَ آلاَفٍ بِقِيَادَةِ سَلْمَانَ بنِ رَبِيعَةَ البَاهِلِيِّ.

اسْتَعْمَلَ سَعِيدُ بنُ العَاصِ وَالِي الكُوفَةَ سَلْمَانَ بنَ رَبِيعَةَ عَلَى فَرْجِ بَلَنْجَرَ[2]، وَأَمَدَّ الجَيْشَ الَّذِي كَانَ بِهِ مُقِيماً مَعَ حُذَيْفَةَ بنِ اليَمَانِ بِأَهْلِ الشَّامِ عَلَيْهِمْ حَبِيبُ بنُ مَسْلَمَةَ الفِهْرِيُّ، وَذَلِكَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلاَثِينَ، وَذَلِكَ أَنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ قَدْ كَتَبَ إِلَى سَعِيدٍ: اغْزُ البَابَ، وَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بنِ رَبِيعَةَ، وَهُوَ عَلَى

---

(١) الحديثة: مدينة في العراق على نهر الفرات بين هيت وعانة قرب الحدود السورية اليوم.

(٢) بَلَنْجَرُ: مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب. (باب الأبواب: هي مدينة دربنت في بلاد داغستان على الساحل الغربي لبحر قزوين) وموقع بلنجر تقريباً قبل مدينة استراخان اليوم أي قبل دلتا نهر الفولغا.

البَابِ: إِنَّ الرَّعِيَّةَ قَدْ أَبْطَرَ كَثِيراً مِنْهُمُ البِطْنَةُ، فَقَصِّرْ، وَلاَ تَقْتَحِمْ بِالمُسْلِمِينَ، فَإِنِّي خَاشٍ أَنْ يُبْتَلُوا، فَلَم يَزْجُرْ ذٰلِكَ عَبْدَ الرَّحْمٰنِ عَنْ غَايَتِهِ، وَكَانَ لاَ يُقَصِّرُ عَنْ بَلَنْجَرَ، فَغَزَا سَنَةَ تِسْعٍ مِنْ إِمَارَةِ عُثْمَانَ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَلَنْجَرَ، حَصَرُوهَا وَنَصَبُوا عَلَيْهَا المَجَانِيقَ وَالعَرَّادَاتِ، فَجَعَلِ لاَ يَدْنُو مِنْهَا أَحَدٌ إِلاَّ أَعْنَتُوهُ أَوْ قَتَلُوهُ.

ثُمَّ إِنَّ التُّرْكَ اتَّعَدُوا يَوْمَاً، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ أَهْلُ بَلَنْجَرَ، وَتَوَافَتْ إِلَيْهِمُ التُّرْكُ فَاقْتَتَلُوا، فَأُصِيبَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ رَبِيعَةَ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ ذُوالنُّورِ، وَانْهَزَمَ المُسْلِمُونَ فَتَفَرَّقُوا، فَأَمَّا مَنْ أَخَذَ طَرِيقَ سَلْمَانَ بنِ رَبِيعَةَ[1] فَحَمَاهُ حَتَّى خَرَجَ مِنَ البَابِ، وَأَمَّا مَنْ أَخَذَ طَرِيقَ الخَزَرِ[2] وَبِلاَدِهَا فَإِنَّهُ خَرَجَ عَلَى جَيْلاَنَ وَجُرْجَانَ وَفِيهِمْ سَلْمَانُ الفَارِسِيُّ وَأَبُو هُرَيْرَةَ. وَأَخَذَ الأَعْدَاءُ جَسَدَ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ وَجَعَلُوهُ فِي سَفَطٍ.

---

(١) طريق سلمان بن ربيعة: هو السير متجهاً نحو الجنوب مع ساحل بحر قزوين الغربي، أي الذين رجعوا إلى الخلف.

(٢) طريق الخزر: هو السير على ساحل بحر قزوين الشمالي أي تقدّم وسلك طريق ساحل بحر قزوين الشرقي حتى وصل إلى جرجان وجيلان على ساحل بحر قزوين الجنوبي.

وَعَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قَالَ: لَمَّا تَتَابَعَتِ الغَزَوَاتُ عَلَى الخَزَرِ، وَتَذَامَرُوا وَتَعَايَرُوا وَقَالُوا: كُنَّا أُمَّةً لاَ يَقُومُ لَنَا أَحَدٌ حَتَّى جَاءَتْ هَذِهِ الأُمَّةُ القَلِيلَةُ، فَصُرْنَا لاَ نَقُومُ لَهَا. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ هَؤُلاَءِ لاَ يَمُوتُونَ، وَلَوْ كَانُوا يَمُوتُونَ لَمَا اقْتَحَمُوا عَلَيْنَا. وَمَا أُصِيبَ فِي غَزَوَاتِهَا أَحَدٌ إِلاَّ فِي آخِرِ غَزْوَةِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ، فَقَالُوا: أَفَلاَ تُجَرِّبُونَ، فَكَمَنُوا فِي الغِيَاضِ، فَمَرَّ بِأُولَئِكَ الكَمِينِ مُرَّارٌ مِنَ الجُنْدِ، فَرَمُوهُمْ مِنْهَا، فَقَتَلُوهُمْ، فَوَاعَدُوا رُؤُوسَهُمْ، ثُمَّ تَدَاعَوْا إِلَى حَرْبِهِمْ، ثُمَّ اتَّعَدُوا يَوْماً فَاقْتَتَلُوا، فَقُتِلَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ، وَأَسْرَعَ النَّاسُ فَافْتَرَقُوا فِرْقَيْنِ؛ فِرْقٌ نَحْوَ البَابِ فَحَمَاهُمْ سَلْمَانُ حَتَّى أَخْرَجَهُمْ، وَفِرْقٌ أَخَذُوا نَحْوَ الخَزَرِ، فَطَلَعُوا إِلَى جِيلاَنَ وَجُرْجَانَ، فِيهِمْ سَلْمَانُ الفَارِسِيُّ وَأَبُو هُرَيْرَةَ.

قَالَ الشَّعْبِيُّ: وَاللَّهِ لَسَلْمَانُ بنُ رَبِيعَةَ كَانَ أَبْصَرَ بِالمَضَارِبِ مِنَ الجَازِرِ بِمَفَاصِلِ الجَزُورِ.

وَغَزَا أَهْلُ الكُوفَةِ بَلَنْجَرَ سِنِينَ مِنْ إِمَارَةِ عُثْمَانَ لَمْ تَئِمْ فِيهِنَّ امْرَأَةٌ، ولم يَيْتَمْ فِيهِنَّ صَبِيٌّ مِنْ قَتْلٍ حَتَّى

كَانَ سَنَةَ تِسْعٍ[١] مِنْ إِمَارَةِ عُثْمَانَ.

ب ـ الرَّيُّ:

غَزَا سَعِيدُ بنُ العَاصِ مِنَ الكُوفَةِ سَنَةَ ثَلاَثِينَ يُرِيدُ خُرَاسَانَ، وَمَعَهُ حُذَيْفَةُ بنُ اليَمَانِ، وَأُنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَعَهُ الحَسَنُ، وَالحُسَيْنُ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ عَبَّاسٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ عَمْرِو بنِ العَاصِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيْرِ، وَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ مِنَ البَصْرَةِ يُرِيدُ خُرَاسَانَ، فَسَبَقَ سَعِيداً وَنَزَلَ أَبْرَ شَهْرَ، وَبَلَغَ نُزُولُهُ أَبْرَ شَهْرَ سَعِيداً، فَنَزَلَ سَعِيدُ قُومِسَ، وَهِيَ صُلْحٌ، صَالَحَهُمْ حُذَيْفَةَ بَعْدَ نِهَاوَنْدَ، فَأَتَى جُرْجَانَ فَصَالَحُوهُ عَلَى مِائَتَيْ أَلْفٍ. ثُمَّ أَتَى طُمِيسَة، وَهِي كُلُّها مِنْ طَبَرِسْتَانَ جُرْجَانَ، وَهِي مَدِينَةٌ عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ فِي تُخُومِ جُرْجَانَ، فَقَاتَلَهُ أَهْلُهَا حَتَّى صَلَّى صَلاَةَ الخَوْفِ، فَقَالَ لِحُذَيْفَةَ: كَيْفَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَأَخْبَرَهُ، فَصَلَّى بِهَا سَعِيدُ صَلاَةَ الخَوْفِ، وَهُمْ يَقْتَتِلُونَ، وَضَرَبَ يُوْمَئِذٍ سَعِيدٌ رَجُلاً مِنَ المُشْرِكِينَ عَلَى حَبْلِ عَاتِقِهِ فَخَرَجَ السَّيْفُ مِنْ تَحْتِ

---

(١) تاريخ الطبري.

مِرْفَقِهِ، وَحَاصَرَهُمْ، فَسَأَلُوا الأَمَانَ، فَأَعْطَاهُمْ عَلَى أَلاَّ يَقْتُلَ مِنْهُمْ رَجُلاً وَاحِداً، فَفَتَحُوا الحِصْنَ، فَقَتَلَهُمْ جَمِيعاً إِلاَّ رَجُلاً وَاحِداً، وَحَوَى مَا كَانَ فِي الحِصْنِ[1]. ثُمَّ قَفَلَ سَعِيدُ إِلَى الكُوفَةِ، فَمَدَحَهُ كَعْبُ بنُ جُعَيْلٍ فَقَالَ:

فَنِعْمَ الفَتَى إِذْ جَالَ جَيْلاَنَ دُونَهُ
وَإِذَا هَبَطُوا مِنْ دَشْتَبَى ثُمَّ أَبْهَرَا
تَعَلَّمَ سَعِيدُ الخَيْرِ أَنَّ مَطِيَّتِي
إِذَا هَبَطَتْ أَشْفَقْتُ مِنْ أَنْ تُعَقَّرَا
كَأَنَّكَ يَوْمَ الشِّعْبِ لَيْثُ خَفِيَّةٍ
تَحَرَّدَ مِنْ لَيْثِ العَرِينِ وَأَصْحَرَا
تَسُوسُ الَّذِي مَا سَاسَ قَبْلَكَ وَاحِدٌ
ثَمَانِينَ أَلْفاً دَارِعِينَ وَحُسَّرَا[2]

البَصْرَةُ:

وَكَانَتْ غَزَوَاتُ جُنْدِ البَصْرَةِ خُرَاسَانَ وَمَا يَلِيهَا شَرْقاً، وَقَدْ نَقَضَ أَهْلُ خُرَاسَانَ عَهْدَهُمْ مَعَ المُسْلِمِينَ بَعْدَ مُدَّةٍ

---

(١) تاريخ الطبري.
(٢) المصدر نفسه.

مِنْ خِلاَفَةِ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ، فَاجْتَمَعَ المُسْلِمُونَ فِي (مَرُو الرُّوْذِ[1])، وَعَلَيْهِمْ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ سَمُرَةَ[2] فَكَتَبَ إِلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بِخَلْعِ أَهْلِ خُرَاسَانَ الطَّاعَةَ، فَقَالَ أُسَيْدُ بنُ المُتَشَمِّسِ المُرِّيُّ:

أَلاَ أَبْـلِـغَـا عُـثْـمَـانَ عَـنِّـي رِسَـالَـةً
فَـقَـدْ لَـقِـيَـتْ عَـنَّـا خُـرَاسَـانُ بِـالـغَـدْرِ
فَـأَذْكِ هَـدَاكَ الـلَّـهُ حَـرْبـاً مُـقِـيـمَـةً
بِمَرْوَيْ خُرَاسَانَ العَرِيضَةِ فِي الدَّهْرِ
وَلاَ تَـفْـتَـرِزْ عَـنَّـا فَـإِنَّ عَـدُوَّنَـا
لآَلُ كُـنَـازَاءَ الـمُـمَـدَّيْـنِ بِـالـجَـسْـرِ

فَأَرْسَلَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ إِلَى عَامِلِهِ

---

(١) مرو الروذ: مدينة في خراسان تقع اليوم على الحدود بين أفغانستان وتركمانستان، على نهر مورغاب الذي يتجه شمالاً فيصل إلى مدينة مرو، ويغيض بعدها في الرمال.

(٢) عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس القرشي، أسلم يوم الفتح، سكن البصرة، افتتح سجستان، وكابل، وتولّى أمر سجستان، وغزا خراسان، وله فيها فتوح، ورجع إلى البصرة، وتوفي فيها سنة ٥٠هـ.

عَلَى البَصْرَةِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَامِرٍ[1] الَّذِي تَوَلَّى أَمْرَهَا بَعْدَ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ أَنْ يَسْتَعِيدَ فَتْحَ خُرَاسَانَ. فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَامِرٍ فِي الجُنْدِ وَوَلَجَ خُرَاسَانَ مِنْ جِهَةِ (يَزْدَ)[2] وَ(الطَّبَسَيْنِ)[3]، وَكَانَ عَلَى مُقَدمَتِهِ الأَحْنَفُ بنُ قَيْسٍ، وَتَمَكَّنَ، مِنِ اسْتِعَادَةِ خُرَاسَانَ بِسُرْعَةٍ، وَأَرْسَلَ الأَحْنَفَ بنَ قَيْسٍ[4] إِلَى مَرْوِ الرُّوذِ فَفَتَحَهَا بَعْدَ أَنْ

---

(١) عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف. وهو ابن خال أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وعامر هو ابن عمة رسول الله ﷺ، البيضاء، ولي عبد الله البصرة لعثمان وقام بالفتح، ثم وفد على معاوية فزوّجه بابنته هند، كان سخياً كريماً.

أسلم عامر يوم الفتح، وبقي إلى أيام خلافة عثمان، وقدم على ولده عبد الله وهو والي البصرة.

توفي عبد الله عام ٥٩ هـ، وكان معاوية قد ولاه البصرة، وقال معاوية بعد وفاته: بمن نفاخر وبمن نُباهي بعده؟

(٢) يزد: مدينة في إيران اليوم تقع في إقليم أصفهان، وإلى الجنوب الشرقي من مدينة أصفهان على بُعد مائتين وخمسين كيلومتراً منها.

(٣) الطبسان: مثنى طبس، والطبس الأسود من كل شيء، وهما مدينتان: طبس العُنّاب، وطبس التمر. وهما بابا خراسان، إلى الجنوب الغربي من نيسابور، بينها وبين أصفهان.

(٤) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين، أبو بحر التميمي،

أَجْبَرَ أَهْلَهَا المُتَحَصِّنِينَ بِهَا عَلَى الصُّلْحِ.

أَرْسَلَ الأَحْنَفُ إِلى (الجَوزْجَانِ)[1] الأَقْرَعَ بنَ حَابِسٍ[2] فَفَتَحَهَا بَعْدَ قِتَالٍ شَدِيدٍ اسْتُشْهِدَ فِيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَمَاتَ فِيهِ عَدَدٌ كَبِيرٌ. وَسَارَ الأَحْنَفُ إِلَى (بَلْخَ)[3] فَصَالَحَ أَهْلَهَا، وَاسْتَنَابَ أُسَيْدَ بنَ المُتَشَمِّسِ عَلَى المَالِ، فَقَالَ أُسَيْدُ بَعْدَ اسْتِرْدَادِ خُرَاسَانَ:

= أحد من يضرب بحلمه وسؤدده المثل. اسمه ضحّاك، وقيل: صخر، وشهر بالأحنف لِحَنَفِ رجليه، وهو العَوَجُ واالميل. كان سيد تميم، أسلم في حياة النبي ﷺ، ووفد على عمر، حدّث عن عمر، وعثمان، وعلي، والعباس، وأبي ذر، وابن مسعود وحدّث عنه عروة بن الزبير، والحسن البصري، كان من قادة علي يوم صفين.
افتتح مرو الروذ وكان في جيشه الحسن، وابن سيرين. وتوفي الأحنف سنة سبع وستين وقيل: إحدى وسبعين.

(١) الجوزجان: إقليم في أفغانستان اليوم في شماليها، بين مرو الروذ وبلخ.
(٢) الأقرع بن حابس بن عقال المجاشعي الدارمي التميمي، وفد على النبي ﷺ في وفد بني دارم فأسلموا، وشهد فتح مكة، وحنيناً، والطائف، وسكن المدينة، كان من المؤلفة قلوبهم، كان مع خالد بن الوليد في أكثر وقائعه واستشهد في الجوزجان عام ٣١هـ.
(٣) بلخ: إحدى مدن خراسان، وهي اليوم في شمالي أفغانستان.

أَلاَ أَبْـلِـغَـا عُـثْـمَـانَ عَـنِّـي رِسَـالَـةً
لَـقَـدْ لَـقِـيَـتْ مِـنَّـا خُـرَاسَـانُ نَـاطِـحَـا
رَمَـيْـنَـاهُـمْ بِـالْـخَـيْـلِ مِـنْ كُـلِّ جَـانِـبٍ
فَـوَلُّـوا سِـرَاعَـاً وَاسْـتَـقَـادُوا الـنَّـوَائِـحَـا
غَـدَاةَ رَأَوْا خَـيْـلَ الْـعُـرَابِ مُـغِـيـرَةً
تَـقَـرَّبَ مِـنْـهُـمْ أُسْـدُهُـنَّ الْـكَـوَالِـحَـا
تَـنَـادَوْا إِلَـيْـنَـا وَاسْـتَـجَـارُوا بِـعَـهْـدِنَـا
وَعَـادُوا كِـلاَبَـاً فِـي الـدِّيَـارِ نَـوَابِـحَـا

وَقَالَ خَلِيفَةُ: تَوَجَّهَ ابنُ عَامِرٍ إِلَى خُرَاسَانَ، وَعَلَى مُقَدِّمَتِهِ الأَحْنَفُ، فَلَقِيَ أَهْلَ هَرَاءَ فَهَزَمَهُمْ، فَافْتَتَحَ ابنُ عَامِرٍ (أَبْرَشَهْرَ)[١] صُلْحاً، وَيُقَالُ عَنْوَةً، وَبَعَثَ الأَحْنَفُ فِي أَرْبَعَةِ آلاَفٍ، فَتَجَمَّعُوا لَهُ مَعَ طُوقَانَ شَاه، فَاقْتَتَلُوا قِتَالاً شَدِيداً فَهَزَمَ اللَّهُ المُشْرِكِينَ.

قَالَ ابنُ سِيرِينَ: كَانَ الأَحْنَفُ يَحْمِلُ وَيَقُولُ:

إِنَّ عَلَى كُلِّ رَئِيسٍ حَقًّاً أَنْ يَخْضِبَ القَنَاةَ أَوْ تَنْدَقَّا

(١) أبرشهر: هي نيسابور.

وَقِيلَ: سَارَ الأَحْنَفُ إِلَى بَلْخَ، فَصَالَحُوهُ عَلَى أَرْبَعِمِائَةِ أَلْفٍ، ثُمَّ أَتَى خُوَارِزْمَ، فَلَمْ يُطِقْهَا، فَرَجَعَ.

وَعَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، أَنَّ ابنَ عَامِرٍ خَرَجَ مِنْ خُرَاسَانَ مُعْتَمِراً قَدْ أَحْرَمَ مِنْهَا، وَخَلَّفَ عَلَى خُرَاسَانَ الأَحْنَفَ، وَجَمَعَ أَهْلُ خُرَاسَانَ جَمْعاً كَبِيراً، وَتَجَمَّعُوا بِمَرُو، فَالتَقَاهُمُ الأَحْنَفُ فَهَزَمَهُمْ، وَكَانَ ذَلِكَ الجَمْعُ لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ[1].

وَعَنِ الحَسَنِ قَالَ: غَزَا ابنُ عَامِرٍ وَعَلَى مُقَدِّمَتِهِ ابنُ بُدَيْلٍ[2]، فَأَتَى أَصْبَهَانَ فَصَالَحُوهُ، وَتَوَجَّهَ إِلَى خُرَاسَانَ عَلَى مَقَدِّمَتِهِ الأَحْنَفُ، فَافْتَتَحَهَا، يَعْنِي بَعْضَهَا عَنْوَةً، وَبَعْضُهَا صُلْحاً.

وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: خَرَجَ يَزْدَجِرْدُ فِي مِائَةِ أَلْفٍ، فَنَزَلَ مَرْوَ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى اصْطَخْرَ رَجُلاً، فَأَتَاهَا ابنُ عَامِرٍ

---

(١) سير أعلام النبلاء.

(٢) ابن بديل: عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعيّ. صحابي. كان من الدهاة الفصحاء، انتهت إليه السيادة في خزاعة، أسلم عام الفتح، وشهد حنيناً، والطائف وتبوك، وقتل يوم صفين سنة ٣٧ هـ، وكان بجانب علي، رضي الله عنه.

فَافْتَتَحَهَا. قَالَ: وَقُتِلَ يَزْدَجِرْدُ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ بِمَرْوَ، وَنَزَلَ ابنُ عَامِرٍ بِأَبْرَشَهْرَ، وَبِهَا بِنْتَاكِسْرَى، فَحَاصَرَهَا فَصَالَحُوهُ. وَبَعَثَ الأَحْنَفَ، فَصَالَحَهُ أَهْلُ هَرَاةَ، وَبَعَثَ حَاتِمَ بنَ النُّعْمَانِ البَاهِلِيَّ إِلَى مَرْوَ فَصَالَحُوهُ. ثُمَّ سَارَ مُعْتَمِراً مِنْ نَيْسَابُورَ إِلَى مَكَّةَ شُكْراً لِلَّهِ، وَقَدِ افْتَتَحَ كَرَمَانَ وَسِجِسْتَانَ[1].

البحرين:

فَتَحَ عُثْمَانُ بنُ أَبِي العَاصِ عَامِلَ البَحْرَيْنِ اصْطَخْرَ عَامَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ.

وَكَانَ عُمَيْرُ بنُ عُثْمَانَ بنِ سَعْدٍ عَلَى خُرَاسَانَ فَوَصَلَ إِلَى فِرْغَانَةَ عَامَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ.

وَوَصَلَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيُّ الكِنَانِيُّ وَالِي سِجِسْتَانَ إِلَى كَابُلَ عَامَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ.

وَوَصَلَ عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ مُعَمَّرٍ التَّيْمِيُّ عَامِلُ مَكْرَانَ

---

(١) سير أعلام النبلاء.

إِلَى النَهْرِ[1] سَنَةَ تِسْعَةٍ وَعِشْرِينَ[2].

الجَبْهَةُ الغَرْبِيَّةُ:

وَتَشْمَلُ الشَّامَ، وَمِصْرَ، وَكَانَ فِي الشَّامِ عِدَّةُ مُعَسْكَرَاتٍ مِنْهَا: دِمَشْقُ، وَحِمْصَ، وَقِنَّسْرِينُ، غَيْرَ أَنَّ المُجَاهِدِينَ يَخْرُجُونَ مِنْهَا جَمِيعاً لِغَزْوِ الرُّومِ عَلَى شَكْلِ صَوَائِفَ وَشَوَاتِي كَي لاَ يَجدَ الرُّومُ وَقْتاً لِلاسْتِعْدَادِ، وَلاَ يَعْرِفُونَ طَعْمَاً لِلرَّاحَةِ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ أَمِيرَ دِمَشْقَ قَبْلَ أَنْ تُضَمَّ لَهُ الشَّامُ كُلُّهَا قَدْ خَرَجَ عَلَى رَأْسِ صَائِفَةٍ عَامَ ٢٣هـ أَيْ قَبْلَ أَنْ يُؤُول أَمْرُ الخِلاَفَةِ إِلَى عُثْمَانَ، وَتَمَكَّنَ مُعَاوِيَةُ مِنْ دَحْرِ الرُّومِ أَمَامَهُ، وَدَخَلَ بِلاَدَهُمْ حَتَّى اقْتَرَبَ مِنْ عَمُّورِيَّةَ، وَهِيَ إِلَى الجَنُوبِ مِنْ أَنْقَرَةَ اليَوْمَ، وَعَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْهَا، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ اجْتَازَ مَسَافَةً كَبِيرَةً فِي عُمْقِ بِلاَدِهِمْ، وَهَذَا مَا جَعَلَ الرُّومَ يُحِسُّونَ بِالخَطَرِ، فَأَخَذُوا بِحَشْدِ الجُمُوعِ مِنْ مُخْتَلَفِ الشُّعُوبِ وَالجِهَاتِ، وَتَرَامَتِ الأَخْبَارُ إِلَى أَمِيرِ دِمَشْقَ

---

(١) النهر: يعني نهر السند.

(٢) تاريخ الطبري.

فَكَتَبَ إِلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ، يُخْبِرُهُ بِمَا يَجْرِي، وَيُعْلِمُهُ أَنَّ عَدَدَاً كَبِيرَاً مِنَ الرُّومِ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَى حَبِيبِ بنِ مَسْلَمَةَ الفِهْرِيِّ[1] الَّذِي يَغْزُو أَرْمِينْيَا مِنْ جِهَةِ الغَرْبِ. وَفِي الوَقْتِ نَفْسِهِ يَطْلُبُ النَّجْدَةَ.

---

(١) حبيب بن مسلمة بن مالك الفهري، أبو عبد الرحمن، وقيل أبو مسلمة: له صحبة ورواية يسيرة. كان في غزوة تبوك ابن إحدى عشرة سنة.
حدّث عنه: جنادة بن أبي أمية، وزياد بن جارية، وقزعة بن يحيى، وابن أبي مليكة، ومالك بن شرحبيل. جاهد في خلافة أبي بكر، وشهد اليرموك، وسكن دمشق، وكان مقدم ميسرة معاوية يوم صفين.
وكان يقال له حبيب الروم لكثرة دخوله بلادهم غازياً، وله نكاية قوية في العدو، ولي أرمينيا لمعاوية، ومات بها عام ٤٢هـ.
وروي أن حبيباً قدم على النبي ﷺ، غازياً، وأن أباه أدركه بالمدينة، فقال: يا نبي الله، إنه ليس لي ولد غيره يقوم في مالي وضيعتي، وعلى أهل بيته، فردّه معه، وقال: لعلك أن يخلو لك وجهك بي في عامك، فارجع يا حبيب مع أبيك، فرجع فمات مسلمة في ذلك العام وغزا حبيب فيه.
وروي أنه نزل حمص وولاّه عمر الخراج. وكان حبيب جيد البدن فدخل على عمر، رضي الله عنه، فقال له: إنك لجيد القناة، فقال: إني جيد سنانها. فأمر به عمر أن يدخل دار السلاح، فأدخل فأخذ منها سلاح رجلٍ.
ظهر فضل حبيب بالشام ولم يكن عمر يثيبه حتى قدم عليه حاجاً، فلما رآه سلّم عليه، فال له عمر: إنك لفي قناة رجلٍ، =

. . . .

= قال: أي والله وفي سنانه. فقال: افتحوا له الخزائن فليأخذ ما شاء. قال: فأعرض عن الأموال وأخذ السلاح.

وغزا حبيب الروم في خلافة عمر، وكان على جماعةٍ، فاهتمّ عمر بأمرهم. فلما بلغه خروج حبيب ومن معه خرّ لله ساجداً.

ولما توجه حبيب لقتال موريان كان في ستة آلاف، وكان موريان في سبعين ألفاً، فقال حبيب لمن معه: إن يصبروا وتصبروا فأنتم أولى بالله منهم، وإن يصبروا وتجزعوا فإن الله مع الصابرين، ولقيهم ليلاً، فقال: اللهم أجل لنا قمرها، واحبس عنا مطرها، واحقن دماء أصحابي، واكتبهم شهداء، ففتح الله له.

وكان حبيب إذا لقي عدواً أو ناهض حصناً يحبّ أن يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وناهض حصناً يوماً فانهزم الروم فقالها المسلمون فانصدع الحصن. وأخرج البيهقي والطبراني عن ابن هبيرة أن حبيباً كان مستجاب الدعوة.

وكان قد أمّر على جيش فدرب الدروب فلما لقي العدو قال للناس: إني سمعت رسول الله ﷺ، يقول: (لا يجتمع ملأ فيدعو بعضهم ويؤمّن بعضهم، أو قال سائرهم، إلاّ أجابهم الله)، ثم إنه حمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: اللهم احقن دماءنا، واجعل أجورنا أجور الشهداء.

ووجّه معاوية حبيباً لنصرة أمير المؤمنين عثمان يوم حُصر، فلما بلغ وادي القرى بلغه مقتل عثمان، فرجع، وقد ذكره حسان بن ثابت فقال:

ألا تعودوا بحق الله تعترفوا   بغارةٍ غضب من فوقها غضب =

كَتَبَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ إِلَى وَالِي البَصْرَةِ الوَلِيدِ بنِ عُقْبَةَ يَأْمُرُهُ بِمَدَدِ جُنْدِ الشَّام، فَأَرْسَلَ الوَلِيدُ إِلَى الشَّامِ سَلْمَانَ بنَ رَبِيعَةَ البَاهِلِيَّ عَلَى رَأْسِ ثَمَانِيَةِ آلافٍ مِنْ جُنْدِ الكُوفَةِ مَدَداً لِجُنْدِ الشَّامِ، فَسَارَ سَلْمَانُ إِلَى الشَّامِ غَازِياً أَرْمِينْيَا، وَغَنِمَ، وَرَجَعَ سَالِمَاً إِلَى الكُوفَةِ.

فَتْحُ قُبْرُصَ:

أَلَحَّ أَمِيرُ دِمَشْقَ مُعَاوِيَةُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ عَلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي غَزْوِ البَحْرِ، وَقُرْبِ الرُّومِ مِنْ حِمْصَ؛ وَقَالَ: إِنَّ قَرْيَةً مِنْ قُرَى حِمْصَ لَيَسْمَعُ أَهْلُها نُبَاحَ كِلَابِهِمْ وَصِيَاحَ دَجَاجِهِمْ، حَتَّى كَادَ ذَلِكَ يَأْخُذُ بِقَلْبِ عُمَرَ، فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى عَمْرِو بنِ العَاصِ: صِفْ لِيَ البَحْرَ وَرَاكِبَهَ، فَإِنَّ نَفْسِي تُنَازِعُنِي إِلَيْهِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمْرُو: إِنِّي رَأَيْتُ خَلْقاً كَبِيراً

= فيهم حبيب شهاب الموت يقدمهم مشمّراً قد بدا في وجهه الغضب
وأخرج الحافظ والإمام أحمد عن حبيب أنه قال: شهدت رسول الله ﷺ، نفل الربع والثلث في الرجعة، ورواه الحافظ بأسانيد متعددة عن حبيب أنه قال: أن النبي ﷺ، نفل الثلث. (تهذيب تاريخ دمشق).

يَرْكَبُهُ خَلْقٌ صَغِيرٌ، إِنْ رَكُنَ خَرَّقَ القُلُوبَ، وَإِنْ تَحَرَّكَ أَزَاغَ العُقُولَ، يَزْدَادُ فِيْهِ اليَقِينُ قِلَّةً، وَالشَّكُّ كَثْرَةً، هَمْ فِيْهِ كَدُودٍ عَلَى عُودٍ، إِنْ مَالَ غَرِقَ، وَإِنْ نَجَا بَرِقَ.

فَلَمَّا قَرَأَهُ عُمَرُ كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّداً بِالحَقِّ لاَ أَحْمِلُ فِيْهِ مُسْلِمَاً أَبَدَاً.

وَقِيلَ: إِنَّ عُمَرَ كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ: إِنَّا سَمِعْنَا أَنَّ بَحْرَ الشَّامِ يُشْرِفُ عَلَى أَطْوَلِ شَيْءٍ عَلَى الأَرْضِ، يَسْتَأْذِنُ اللَّهَ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَنْ يُفِيضَ عَلَى الأَرْضِ فَيُغْرِقَهَا، فَكَيْفَ أَحْمِلُ الجُنُودَ فِي هَذَا البَحْرِ الكَافِرِ المُسْتَصْعِبِ وَتَاللَّهِ لَمُسْلِمٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا حَوَتِ الرُّومُ، فَإِيَّاكَ أَنْ تُعَرِّضَ لِي، وَقَدْ تَقَدَّمْتُ إِلَيْكَ، وَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَقِيَ العَلاَءُ مِنِّي، وَلَمْ أَتَقَدَّمْ إِلَيْهِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ.

وَقَالُوا: تَرَكَ مَلِكُ الرُّومِ غَزْوَ المُسْلِمِينَ. وَكَاتَبَ عُمَرَ وَقَارَبَهُ، وَكَانَتْ تِجَارَةٌ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ. غَيْرَ أَنَّ الرُّومَ عَادُوا إِلَى ظُلْمِهِمْ، فَرَجَعَتِ الحَرْبُ.

وَعَادَ مُعَاوِيَةُ يَسْتَأْذِنُ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ فِي غَزْوِ البَحْرِ، وَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى عَزَمَ عُثْمَانُ عَلَى ذَلِكَ بِأَخَرَةٍ،

وَقَالَ: لاَ تَنْتَخِبِ النَّاسَ، وَلاَ تُقْرِعْ بَيْنَهُمْ، خَيِّرْهُمْ، فَمَنْ اخْتَارَ الغَزْوَ طَائِعاً فَاحْمِلْهُ وَأَعِنْهُ، فَفَعَلَ وَاسْتَعْمَلَ عَلَى البَحْرِ عَبْدَ اللَّهِ بنَ قَيْسٍ الحَارِثِيَّ(١) حَلِيفَ بَنِي فَزَارَةَ.

غَزَا مُعَاوِيَةُ قُبْرُصَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ، وَغَزَاهَا أَهْلُ مِصْرَ، وَعَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بنُ سَعْدِ بنِ أَبِي سَرْحٍ، حَتَّى لَقُوا مُعَاوِيَةَ، فَكَانَ عَلَى النَّاسِ. وَصَالَحَ أَهْلَهَا عَلَى سَبْعَةِ آلاَفِ دِينَارٍ يُؤَدُّونَهَا إِلَى المُسْلِمِينَ فِي كُلِّ سَنَةٍ، وَيُؤَدُّونَ إِلَى الرُّومِ مِثْلَهَا. وَلَيْسَ لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَحُولُوا

---

(١) عبد الله بن قيس: أمير البحر في صدر الإسلام، كان مقيماً بالشام. غزا خمسين غزوة في البحر بين شاتيةٍ وصائفة، ولم يغرق فيه أحد، ولم ينكب، وكان يدعو الله أن يرزقه العافية في جنده، وألا يبتليه بمصاب أحدٍ منهم، ففعل، حتى إذا أراد الله أن يصيبه وحده، خرج في قارب طليعةً، فانتهى إلى المرقى من أرض الروم، وعليه سوّال يعترون بذلك المكان، فتصدّق عليهم، فرجعت امرأة من السوّال إلى قريتها، فقالت للرجال: هل لكم في عبد الله بن قيسٍ؟ قالوا: وأين هو؟ قالت: في المرقى، قالوا: أي عدوّة الله، ومن أين تعرفين عبد الله بن قيسٍ؟ فوبّختهم، وقالت: أنتم أعجز من أن يخفى عبد الله على أحدٍ. فثاروا إليه، فهجموا عليه، فقاتلوه وقاتلهم، فأصيب وحده، وأفلت الملاح حتى أتى أصحابه. وقيل لتلك المرأة بعد: بأي شيءٍ عرفتيه؟ قالت: بصدقته، أعطى كما يعطي الملوك، ولم يقبض قبض التجار.

بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ذَلِك، عَلَى أَنْ لاَ يَغْزُوهُمْ، وَلاَ يُقَاتِلُوا مَنْ وَرَاءَهُمْ مِمَّنْ أَرَادَهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ، وَعَلَيْهِمْ أَنْ يُؤْذِنُوا الْمُسْلِمِينَ بِمَسِيرِ عَدُوِّهِمْ مِنَ الرُّومِ إِلَيْهِمْ، وَعَلَى أَنْ يُبَطْرِقَ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ[1].

وَقَالَ الوَاقِدِيُّ: وَفِي العَهْدِ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ أَلاَّ يَتَزَوَّجُوا فِي عَدُوِّنَا مِنَ الرُّومِ إِلاَّ بِإِذْنِنَا[2].

وَكَانَ فِي غَزْوِ قُبْرُصَ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ، وَالمِقْدَادُ بنُ عَمْرٍو، وَشَدَّادُ بنُ أَوْسٍ، وَأَبُو ذَرٍّ الغِفَارِيُّ، وَكَانَتْ مَعَ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ زَوْجُهُ أُمُّ حَرَامٍ.

وَغَزَا أَمِيرُ الشَّامِ مُعَاوِيَةُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ المَضِيقَ، مَضِيقَ القُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَكَانَتْ مَعَهُ إِحْدَى زَوْجَاتِهِ دَلاَلَةً عَلَى عَدَمِ الاهْتِمَامِ بِالرُّومِ، وَذَلِكَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلاَثِينَ.

ثُمَّ عَادَ مُعَاوِيَةُ فَغَزَا فِي السَّنَةِ الَّتِي تَلَتْهَا حِصْنَ المَرْأَةِ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ مِنْ نَاحِيَةِ مَلاَطِيَةَ.

---

(١) تاريخ الطبري.

(٢) المصدر نفسه.

وَأَمَّا جَبْهَةُ مِصْرَ، فَكَانَ أَهْلُ الاسْكَنْدَرِيَّةِ قَدْ نَقَضُوا العَهْدَ مَعَ المُسْلِمِينَ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ عَمْرُو بنُ العَاصِ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ، فَقَاتَلَهُمْ، وَأَجْبَرَهُمْ إِلَى العَوْدَةِ لِلْعَهْدِ.

وَسَيَّرَ عَمْرُو بنُ العَاصِ قَائِدَهُ عَبْدَ اللَّهِ بنَ سَعْدِ بنِ أَبِي سَرْحٍ(١) إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ (تُونُسَ اليَوْمَ)، وَكَانَ الفَارُوقُ

---

(١) عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث، الأمير، قائد الجيوش، أبو يحيى القرشي العامري، من عامر بن لؤي بن غالب.

هو أخو أمير المؤمنين عثمان بن عفّان من الرضاعة، كان يكتب لرسول الله، ﷺ، فأزلّه الشيطان، فلحق بالكفار، فأمر به النبي، ﷺ، أن يقتل، وذلك يوم فتح مكة، فشفع له عثمان، وعاد إلى الإسلام يوم الفتح، ولم يتعدّ، ولا فعل ما ينقم عليه بعدها. وكان أحد عقلاء الرجال وأجوادهم.

كان صاحب ميمنة عمرو بن العاص، وكان فارس بني عامر المعدود فيهم. ولاّه عمرو بن العاص صعيد مصر. وغزا إفريقية، وقتل صاحبها جرجير، وبلغ السهم للفارس ثلاثة آلاف دينار، وللراجل ألف دينار، ثم غزا ذات الصواري، فلقوا ألف مركبٍ للروم، فقُتلت الروم مقتلةً لم يُقتلوا مثلها قط، ثم غزوة الأساود.

كان عمرو بن العاص على مصر لعثمان بن عفان، فعزله عن الخراج وأقره على الجند والصلاة، واستعمل عبد الله بن سعد بن أبي سرح على الخراج، فتداعيا، فكتب ابن أبي سرح=

عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ قَدْ مَنَعَ عَمْرَو بنَ العَاصِ مِنَ الانْسِيَاحِ فِي إِفْرِيقِيَّةَ بَعْدَ فَتْحِ طَرَابُلْسَ إِلاَّ أَنَّ ذَا النُّورَيْنِ قَدْ سَمَحَ بِذَلِكَ، فَسَارَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ سَعْدٍ عَلَى رَأْسِ قُوَّةٍ، فَاجْتَازَ طَرَابُلْسَ، وَاسْتَوْلَى عَلَى سُفُنٍ لِلرُّومِ كَانَتْ رَاسِيَةً هُنَاكَ عَلَى الشَّاطِىءِ، ثُمَّ وَاصَلَ سَيْرَهُ فِي إِفْرِيقِيَّةَ، وَالْتَقَى بِجُيُوشٍ لِلْبِيزَنْطِيِينَ عَامَ سَبْعَةٍ وَعِشْرِينَ فِي مَوْقِعٍ يُقَالُ لَهُ (سُبَيْطِلَةُ)[1]، فَقَتَلَ صَاحِبَهَا جُرْجِيرَ، وَأَوْغَلَ فِي المَغْرِبِ. وَكَانَ فِي هَذَا الجَيْشِ الحَسَنُ، وَالحُسَيْنُ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ عَبَّاسٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيْرِ، وَعُقْبَةُ بنُ

= إلى عثمان: إن عمراً كسر الخراج عليّ، وكتب عمرو: إن ابن سعدٍ كسر عليّ مكيدة الحرب، فعزل عمراً وأضاف الجند والصلاة إلى ابن أبي سرح.

أقام عبد الله بن سعد بعسقلان بعد قتل عثمان فاراً من الفتنة فكان بها حتى مات.

روي أنه كان يقول: اللهم اجعل خاتمة عملي الصبح، فتوضأ، ثم صلى فقرأ في الأولى بأم القرآن والعاديات، وفي الأخرى بأم القرآن وسورة، وسلّم عن يمينه، وذهب يسلّم عن يساره فقبض، وذلك سنة سبع وثلاثين.

(١) سبيطلة: مدينة في إفريقية (تونس) إلى الجنوب من القيروان وعلى بعد مائة كيلومترٍ منها. ولم تكن القيروان قد مصّرت بعد.

نَافِعٍ. وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيْرِ هُوَ الَّذِي تَوَلَّى قَتْلَ جُرْجِيرَ، وَقَدْ قَالَ: هَجَمَ عَلَيْنَا جُرْجِيرُ فِي عِشْرِينَ وَمِائَةِ أَلْفٍ، وَأَحَاطُوا بِنَا وَنَحْنُ فِي عِشْرِينَ أَلْفاً - يَعْنِي - نَوْبَةَ إِفْرِيقِيَّةَ.

قَالَ: وَاخْتَلَفَ النَّاسُ عَلَى ابنِ أَبِي سَرْحٍ، فَدَخِلَ فُسْطَاطُهُ، فَرَأَيْتُ غِرَّةً مِنْ جُرْجِيرَ، بَصُرْتُ بِهِ خَلْفَ عَسَاكِرِهِ على بِرْذَوْنٍ أَشْهَبَ، مَعَهُ جَارِيَتَانِ تُظَلِّلاَنِ عَلَيْهِ بِرِيشِ الطَّوَاوِيسِ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَيْشِهِ أَرْضٌ بَيْضَاءُ، فَأَتَيْتُ أَمِيرَنَا ابنَ أَبِي سَرْحٍ، فَنَدَبَ لِيَ النَّاسَ، فَاخْتَرْتُ ثَلاَثِينَ فَارِساً، وَقُلْتُ لِسَائِرِهِمْ: البَثُوا عَلَى مَصَافِّكُمْ، وَحَمَلْتُ، وَقُلْتُ لَهُمْ: احْمُوا ظَهْرِي، فَخَرَقْتُ الصَّفَّ إِلَى جُرْجِيرَ، وَمَا يَحْسَبُ هُوَ وَلاَ أَصْحَابُه إِلاَّ أَنِّي رَسُولٌ إِلَيْهِ، حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُ، فَعَرَفَ الشَّرَّ فَثَنَى بِرذَوْنَهُ مُوَلِّياً، فَأَدْرَكْتُهُ فَطَعَنْتُه، فَسَقَطَ، ثُمَّ احْتَزَزْتُ رَأْسَهُ فَنَصَبْتُه عَلَى رُمْحِي، وَكَبَّرْتُ، وَحَمَلَ المُسْلِمُونَ، فَارْفَضَّ العَدُوُّ وَمَنَحَنَا اللَّهُ أَكْتَافَهُمْ[1].

---

(١) سير أعلام النبلاء.

مَعْرَكَةُ ذَاتِ الصَّوَارِي:

خَرَجَ قُسْطَنْطِينُ بنُ هِرَقْلَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلاَثِينَ فِي جَمْعٍ لَمْ يَجْتَمِعْ لِلرُّومِ مِثْلُهُ مِنْذُ كَانَ الإِسْلاَمُ، يُرِيدُونَ الانْتِقَامَ مِنَ المُسْلِمِينَ بَعْدَ أَنْ أَصَابُوا مِنْهُمْ فِي إِفْرِيقِيَّةَ مَا أَصَابُوا فَخَرَجَ إِلَيْهِم أَهْلُ الشَّامِ وَعَلَيْهِمُ أَمِيرُهُمْ مُعَاوِيَةُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَعَلَى أَهْلِ البَحْرِ عَبْدُ اللَّهِ بنُ سَعْدِ بنِ أَبِي سَرْحٍ مِنْ مَصْرَ. وَكَانَ الرُّومُ قَدْ خَرَجُوا فِي خَمْسِمِائَةِ مَرْكَبٍ، فَالْتَقُوا هُمْ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ سَعْدٍ بِالقُرْبِ مِنْ شَوَاطِىءِ كِيلِيكْيَا جَنُوبَ بِلاَدِ الأَنَاضُولِ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ بِلاَدِ الشَّامِ، فَأَمَّنَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً حَتَّى قَرَنُوا بَيْنَ سُفُنِ المُسْلِمِينَ وَسُفُنِ أَهْلِ الشِّرْكِ بَيْنَ صَوَارِيهَا[١].

قَالَ مَالِكُ بنُ أَوْسِ بنِ الحَدَثَانِ: كُنْتُ مَعَهُمْ، فَالْتَقَيْنَا فِي البَحْرِ، فَنَظَرْنَا إِلَى مَرَاكِبَ مَا رَأَيْنَا مِثْلَهَا قَطُّ، وَكَانَتِ الرِّيحُ عَلَيْنَا، فَأَرْسَيْنَا سَاعَةً، وَأَرْسَوْا قَرِيباً مِنَّا، وَسَكَنَتِ الرِّيحُ عَنَّا، فَقُلْنَا: الأَمْنُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ. قَالُوا:

---

(١) الصواري: جمع صارٍ، وهو الخشبة المعترضة وسط السفينة.

ذَلِكَ لَكُمْ وَلَنَا مِنكُمْ، ثُمَّ قُلْنَا: إِنْ أَحْبَبْتُمْ فَالسَّاحِلُ حَتَّى يَمُوتَ الأَعْجَلُ مِنَّا وَمِنكُمْ، وَإِنْ شِئْتُمْ فَالبَحْرُ. قَالَ: فَنَخَرُوا نَخْرَةً وَاحِدَةً، وَقَالُوا: المَاءُ، فَدَنَوْنَا مِنْهُمْ فَرَبَطْنَا السُّفُنَ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ حَتَّى كُنَّا يَضْرِبُ بَعْضُنَا بَعْضاً عَلَى سُفُنِنَا وَسُفُنِهِمْ، فَقَاتَلْنَا أَشَدَّ القِتَالَ، وَوَثَبَتِ الرِّجَالُ عَلَى الرِّجَالِ يَضْطَرِبُونَ بِالسُّيُوفِ عَلَى السُّفُنِ، وَيَتَوَاجَؤُونَ بِالخَنَاجِرِ، حَتَّى رَجَعَتِ الدِّمَاءُ إِلَى السَّاحِلِ تَضْرِبُهَا الأَمْوَاجُ، وَطَرَحَتِ الأَمْوَاجُ جُثَثَ الرِّجَالَ رُكَاماً.

قَالَ ابنُ عُمَرَ: فَحَدَّثَنِي هِشَامُ بنُ سَعْدٍ عَنْ زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَمَّنْ حَضَرَ ذَلِكَ اليَوْمَ، قَالَ: رَأَيْتُ السَّاحِلَ حَيْثُ تَضْرِبُ الرِّيحُ المَوْجَ، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَمِثْلُ الظَّرِبِ[1] العَظِيمِ مِنْ جُثَثِ الرِّجَالِ وَإِنَّ الدَّمَ لَغَالِبٌ عَلَى المَاءِ، وَلَقَدْ قُتِلَ يَوْمَئِذٍ مِنَ المُسْلِمِينَ بَشَرٌ كَثِيرٌ، وَقُتِلَ مِنَ الكُفَّارِ مَا لاَ يُحْصَى، وَصَبَرُوا يَوْمَئِذٍ صَبْرَاً لَمْ يَصْبِرُوا فِي مَوْطِنٍ قَطُّ مِثْلَهُ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ نَصْرَهُ عَلَى أَهْلِ الإِسْلاَمِ، وَانْهَزَمَ القُسْطَنْطِينُ مُدْبِراً، فَمَا انْكَشَفَ إِلاَّ لِمَا أَصَابَهُ مِنَ

(١) الظرب: ما نتأ من الحجارة وحدد طرفه.

الْقَتْلِ وَالجِرَاحِ، وَلَقَدْ أَصَابَهُ يَوْمَئِذٍ جِرَاحَاتٌ مَكَثَ مِنْهَا حِيناً جَرِيحاً.

وَعِنْدَمَا لَقِي الْمُسْلِمُونَ جُمُوعَ الرُّومِ فِي خَمْسِمِائَةِ مَرْكَبٍ أَوْ سِتِّمِائَةٍ فِيهَا القُسْطَنْطِينُ بنُ هِرَقْلَ، فَقَالَ: أَشِيرُوا عَلَيَّ، قَالُوا: نَنْظُرُ اللَّيْلَةَ، فَبَاتُوا يَضْرِبُونَ بِالنَّوَاقِيسِ، وَبَاتَ الْمُسْلِمُونَ يُصَلُّونَ وَيَدْعُونَ اللَّهَ.

ثُمَّ أَصْبَحُوا وَقَدْ أَجْمَعَ الْقُسْطَنْطِينُ أَنْ يُقَاتِلَ، فَقَرَّبُوا سُفُنَهُمْ، وَقَرَّبَ الْمُسْلِمُونَ فَرَبَطُوا بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ، وَصَفَّ عَبْدُ اللَّهِ بنُ سَعْدٍ الْمُسْلِمِين عَلَى نَوَاحِي السُّفُنِ، وَجَعَلَ يَأْمُرُهُمْ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَيَأْمُرُهم بِالصَّبْرِ، وَوَثَبَ الرُّومُ فِي سُفُنِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى صُفُوفِهِمْ حَتَّى نَقَضُوهَا، فَكَانُوا يُقَاتِلُونَ عَلَى غَيْرِ صُفُوفٍ. فَاقْتَتَلُوا قِتَالاً شَدِيداً، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ نَصَرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً لَمْ يَنْجُ مِنَ الرُّومِ إِلاَّ الشَّرِيدِ[١].

وَهَكَذَا فَقَدْ كَانَتِ الْفُتُوحَاتُ وَاسِعَةً أَيَّامَ أَمِيرِ

(١) تاريخ الطبري.

المُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِذْ أَضَافَتْ بِلَادَاً جَدِيدَةً فِي إِفْرِيقِيَّةَ شَمَلَتِ الأَرَاضِيَ المُمْتَدَّةَ مِنْ طَرَابُلُسَ إِلَى الجَزَائِرِ، وَكَذَلِكَ جَزِيرَةَ قُبْرُصَ فِي البَحْرِ المُتَوَسِّطِ، وَالبِلَادَ الوَاقِعَةِ فِي شَرْقِيِّ تُرْكِيَّةَ، وَبِلَادَ أَرْمِينْيَةَ، وَكَذَلِكَ شَمَالِيَّ دَاغِسْتَانَ، إِضَافَةً إِلَى أَرَاضِي فِي بِلَادِ السِّنْدِ، وَحَوْلَ كَابُلَ، وَفَرْغَانَةَ، وَأَجْبَرَتْ مَنْ نَقَضَ العَهْدَ إِلَى الصُّلْحِ مِنْ جَدِيدٍ فِي فَارِسَ، وَخُرَاسَانَ، وَبَابِ الأَبْوَابِ، وَإِفْرِيقِيَّةَ، وَأَرْمِينْيَا.

الفصل التاسع

أَعْمَالُ ذِي النُّورَيْنِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

لَقَدْ قَامَ ذُو النُّورَيْنِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِأَعْمَالٍ جَلِيلَةٍ، فَإِضَافَةً إِلَى مَا قَامَ بِهِ أَيَّامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مِنْ كِتَابَةٍ لِلْوَحِي، وَشِرَاءِ بِئْرِ رُومَةَ، وَتَجْهِيزِ جَيْشِ العُسْرَةِ، وَشِرَاءِ أَرْضٍ بِجَانِبِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لِتَوْسِعَتِهِ، وَسِفَارَتِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَوْمَ الحُدَيْبِيَّةِ إِلَى قُرَيْشٍ. وَتَوَلِّيهِ أَمْرَ المَدِينَةِ مَرَّتَيْنِ حِينَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فِي الغَزْوِ. هَذَا إِلَى جَانِبِ جِهَادِهِ بِالنَّفْسِ وَالمَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَكَانَ مَعَ الصِّدِّيقِ وَمَعَ الفَارُوقِ المُسْتَشَارَ الأَمِينَ، وَالكَاتِبَ الثِّقَةَ، وَالصَّدِيقَ الوَفِيَّ، وَالأَخَ النَّاصِحَ.

وَفِي أَيَّامِ إِمَارَتِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ قَامَ بِأَعْمَالٍ عَظِيمَةٍ مِنْهَا:

١ ـ **زِيَادَتُهُ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ**: كَانَ المَسْجِدُ الحَرَامُ

فَنَاءٌ حَوْلَ الكَعْبَةِ لِلطَّائِفِينَ وَالعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جِدَارٌ يُحِيطُ بِهِ، وَكَانَتِ الدُّورُ مُحْدِقَةً بِهِ فَيَدْخُلُ النَّاسُ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَثُرَ النَّاسُ، وَسَّعَ المَسْجِدَ، وَاشْتَرَى دُوراً وَهَدَّمَهَا، وَزَادَهَا فِيهِ، وَاتَّخَذَ لِلْمَسْجِدِ جِدَاراً قَصِيراً دُونَ القَامَةِ، وَكَانَتِ المَصَابِيحُ تُوضَعُ عَلَيْهِ. وَكَانَ عُمَرُ أَوَّلَ مَنِ اتَّخَذَ الجِدَارَ لِلْمَسْجِدِ الحَرَامِ.

فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ عُثْمَانُ، ابْتَاعَ مَنَازِلَ وَوَسَّعَ بِهَا المَسْجِدَ أَيْضاً، وَبَنَى المَسْجِدَ الحَرَامَ، وَالأَرْوِقَةَ، فَكَانَ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَوَّلَ مَنِ اتَّخَذَ الأَرْوِقَةَ.

وَلَمَّا رَأَى شِرَاءَ الدُّورِ لِلتَّوْسِعَةِ ابْتَاعَ بَعْضَهَا مِنْ أَصْحَابِهَا، وَأَبَى آخَرُونَ، فَهَدَمَ عَلَيْهِمْ، وَوَضَعَ الأَثْمَانَ فِي بَيْتِ المَالِ، فَصَيَّحُوا بِعُثْمَانَ، فَأَمَرَ بِهِمْ بِالحَبْسِ، وَقَالَ: أَتَدْرُونَ مَا جَرَّأَكُمْ عَلَيَّ! مَا جَرَّأَكُمْ عَلَيَّ إِلاَّ حِلْمِي، قَد فَعَلَ هَذَا بِكُمْ عُمَرُ فَلَمْ تُصَيِّحُوا بِهِ. ثُمَّ كَلَّمَهُ بِهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بنُ خَالِدِ بنِ أُسَيْدٍ فَأُخْرِجُوا.

وَكَانَتْ هَذِهِ التَّوْسِعَةُ سَنَةَ سِتٍّ وَعِشْرِينَ.

٢ ـ زِيَادَتُهُ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: زَادَ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في المَسْجِدِ، وَوَسَّعَهُ، وَابْتَدَأَ فِي بِنَائِهِ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الأَوَّلِ مِنْ عَامِ تِسْعَةٍ وَعِشْرِينَ.

وَكَانَ المَسْجِدُ النَّبَوِيُّ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مَبْنِيّاً بِاللَّبِنِ، وَسَقْفُهُ الجَرِيدُ، وَعُمُدُهُ جُذُوعُ النَّخْلِ. فَلَمْ يَزِدْ فِيهِ أَبُو بَكْرٍ شَيْئاً، وَزَادَ فِيهِ عُمَرُ، وَبَنَاهُ عَلَى بِنَائِهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بِاللَّبِنِ وَالجَرِيدِ، وَأَعَادَ عُمُدَهُ خَشَباً، ثُمَّ غَيَّرَهُ عُثْمَانُ فَزَادَ فِيهِ زِيَادَةً كَبِيرَةً، وَبَنَى جِدَارَهُ بِالحِجَارَةِ المَنْقُوشَةِ وَالقَصَّةِ[1]، وَجَعَلَ عُمُدَهُ مِنْ حِجَارَةٍ مَنْقُوشَةٍ، وَسَقَفَهُ بِالسَّاجِ، وَجَعَلَ أَبْوَابَهُ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ أَيَّامَ عُمَرَ سِتَّةَ أَبْوَابٍ. وَجَعَلَ طُولَهُ سِتِّينَ وَمِائَةَ ذِرَاعٍ، وَعَرْضَهُ مِائَةً وَخَمْسِينَ ذِرَاعاً. وَفَرَغَ مِنْهُ حِينَ دَخَلَتِ السَّنَةُ لِهِلَالِ المُحَرَّمِ سَنَةَ ثَلَاثِينَ فَكَانَ عَمَلُهُ عَشَرَةَ أَشْهُرٍ.

---

(١) القصة: الحجارة من الجص.

وَرُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا وَلِيَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ، كَلَّمَهُ النَّاسُ أَنْ يَزِيدَ فِي مَسْجِدِهِمْ، وَشَكُوا إِلَيْهِ ضِيقَهُ يَوْمَ الجُمُعَةِ حَتَّى إِنَّهُمْ لَيُصَلُّونَ فِي الرِّحَابِ. فَشَاوَرَ فِيهِ عُثْمَانُ أَهْلَ الرَّأْيِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَهْدِمَهُ وَيَزِيدَ فِيهِ. فَصَلَّى الظُّهْرَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ صَعِدَ المِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَهْدِمَ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَزِيدَ فِيهِ، وَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: (مَنْ بَنَى مَسْجِداً بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتاً فِي الجَنَّةِ)، وَقَدْ كَانَ لِي فِيهِ سَلَفٌ، وَإِمَامٌ سَبَقَنِي وَتَقَدَّمَنِي، عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، كَانَ قَدْ زَادَ فِيهِ وَبَنَاهُ، وَقَدْ شَاوَرْتُ أَهْلَ الرَّأْيِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَجْمَعُوا عَلَى هَدْمِهِ، وَبِنَائِهِ وَتَوْسِعَتِهِ. فَحَسَّنَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ ذَلِكَ، وَدَعَوا لَهُ. فَأَصْبَحَ فَدَعَا العُمَّالَ، وَبَاشَرَ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ.

وَيُرْوَى أَنَّ عُثْمَانَ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى المِنْبَرِ، وَيُشَاوِرَهُمْ، قَالَ لَهُ مَرْوَانُ بنُ الحَكَمِ: فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، هَذَا أَمْرٌ خَيْرٌ لَوْ فَعَلْتَهُ، وَلَمْ تَذْكُرْ لَهُمْ، فَقَالَ:

وَيْحَكَ إِنّي أَكْرَهُ أَنْ يَرَوْا أَنّي أَسْتَبِدُّ عَلَيْهِمْ بِالأُمُورِ. قَالَ مَرْوَانُ: فَهَلْ رَأَيْتَ عُمَرَ حَيْثُ بَنَاهُ وَزَادَ فِيهِ ذَكَرَ لَهُمْ ذَلِكَ؟ قَالَ: اسْكُتْ، إِنَّ عُمَرَ اشْتَدَّ عَلَيْهِمْ فَخَافُوهُ حَتَّى لَوْ أَدْخَلَهُمْ فِي جُحْرِ ضَبٍّ دَخَلُوا، وَإِنّي لِنْتُ لَهُمْ، حَتَّى أَصْبَحْتُ أَخْشَاهُمْ. قَالَ مَرْوَانُ بنُ الحَكَمِ: فِدَاكَ أَبِي وَأُمّي لاَ يُسْمَعُ هَذَا مِنْكَ فَيُجْتَرَأُ عَلَيْكَ.

٣ ـ جَمْعُ المُصْحَفِ: غَزَا حَبِيبُ بنُ مَسْلَمَةَ الفِهْرِيُّ أَرْمِينِيَةَ، وَمَعَهُ حُذَيْفَةُ بنُ اليَمَانِ الَّذِي كَانَ قَدْ صَالَحَ أَهْلَ أَرْمِينِيَةَ أَيَّامَ خِلاَفَةِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ إِلاَّ أَنَّهُمْ لَمْ يَلْبَثُوا أَنْ مَنَعُوا مَا عَاهَدُوا عَلَيْهِ فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ حَبِيبُ بنُ مَسْلَمَةَ مِنْ نَاحِيَةِ الغَرْبِ، فَاجْتَمَعَ لَهُ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ جُنْدِ الرُّومِ، فَخَافَهُمْ وَطَلَبَ النَّجْدَةَ فَأَنْجَدَهُ الوَلِيدُ بنُ عُقْبَةَ مِنَ الكُوفَةِ بِمَدَدٍ عَلَيْهِ سَلْمَانُ بنُ رَبِيعَةَ البَاهِلِيُّ، فَالتَقَى أَهْلُ الشَّامِ وَأَهْلُ العِرَاقِ بِهَذَا الغَزْوِ. فَوَجَدَ حُذَيْفَةُ بنُ اليَمَانِ خِلاَفاً فِي لَفْظِ بَعْضِ كَلِمَاتِ كِتَابِ اللَّهِ، إِذْ كَانَ أَهْلُ الكُوفَةِ يَقْرَؤُونَ بِقِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ، عَلَى حِينِ يَقْرَأُ أَهْلُ الشَّامِ بِقِرَاءَةِ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ، فَأَخَافَ هَذَا الاخْتِلاَفُ فِي القِرَاءَةِ حُذَيْفَةَ بنَ اليَمَانِ، فَقَدِمَ عَلَى الخَلِيفَةِ فِي المَدِينَةِ،

وَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الكِتَابِ اخْتِلَافَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى.

صَعِدَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ المِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِنَبِيِّكُمْ ﷺ، ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، لِمَ أَنْتُمْ تَخْتَلِفُونَ فِي القِرَاءَةِ؟ يَقُولُ أَحَدُكُمْ لِصَاحِبِهِ: مَا تَتِمُّ قَرَاءَتَكَ.

قَالَ: فَعَزَمَ عَلَى كُلِّ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنَ القُرْآنِ إِلاَّ جَاءَ بِهِ، قَالَ: فَجَاءَ النَّاسُ بِمَا عِنْدَهُمْ، فَجَعَلَ يَسْأَلُهُمُ البَيِّنَةَ أَنَّهُمْ سَمِعُوهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ أَعْرَبُ النَّاسِ؟ قَالُوا: زَيْدُ بنُ ثَابِتٍ كَاتِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: فَلْيُمِلَّ سَعِيدُ بنُ العَاصِ، وَلْيَكْتُبْ زَيْدٌ.

وَقَدْ أَرْسَلَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ إِلَى حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ: أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي المَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ. فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بنَ ثَابِتٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بنَ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدَ بنَ العَاصِ، وَعَبْدَ الرَّحْمٰنِ بنَ الحَارِثِ بنِ هِشَامٍ، فَنَسَخُوهَا فِي

الْمَصَاحِفِ. وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيينَ الثَّلاَثَةِ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ، فَفَعَلُوا. حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، فَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمِصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوهُ، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مِصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ[1].

وَكَانَ أَوَّلُ الأَمْرِ لِزَيْدِ بنِ ثَابِتٍ إِذْ أَمَرَهُ الْخَلِيفَةُ عُثْمَانُ أَنْ يَجْمَعَ الْقُرْآنَ مَرَّةً أُخْرَى، ثُمَّ أَمَرَهُ بِكِتَابَتِهِ فَكَتَبَهُ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ عَرَضَهُ. ثُمَّ شَكَّلَ اللَّجْنَةَ الَّتِي تَكَلَّمْنَا عَنْهَا: زَيْدٌ وَثَلاَثَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ، هَذَا بِالإِضَافَةِ إِلَى ثَلاَثَةٍ مِنْ كُتَّابِ الْمَدِينَةِ، وَهُمْ: نَافِعُ بنُ طَرِيفٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ الوَلِيدِ الْخُزَاعِيُّ، وَعَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ أَبِي لُبَابَةَ، وَكَذَلِكَ أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ، وَكُثَيِّرُ بنُ أَفْلَحَ، وَأَنَسُ بنُ مَالِكٍ، وَمَالِكُ بنُ أَبِي عَامِرٍ، جَدُّ إِمَامِ الْمَدِينَةِ مَالِكِ بنِ أَنَسٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن، باب جمع القرآن. فتح الباري ٩/ ١١.

عَبَّاسٍ، وَبِذَا أَصْبَحَتِ اللَّجْنَةُ تَضُمُّ اثْنَيْ عَشَرَ صَحَابِيًّاً، أَرْبَعَةً مِنْ قُرَيْشٍ وَثَمَانِيَةً مِنَ الأَنْصَارِ. وَكَانَ الخَلِيفَةُ يَتَعَاهَدُهُمْ، وَجَعَلَ زَيْداً وَأُبَيَّ بنَ كَعْبٍ يَكْتُبَانِ، وَجَعَلَ سَعِيدَ بنَ العَاصِ يُقِيمُ عَرَبِيَّتَهُ، وَالبَاقِي يُسَاعِدُونَ.

وَإِنَّمَا أُقِيمَتْ عَرَبِيَّةُ القُرْآنِ عَلَى لِسَانِ سَعِيدِ بنِ العَاصِ لِأَنَّهُ كَانَ أَشْبَهَهُمْ لَهْجَةً بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ أَدْرَكَ تِسعَ سَنَوَاتٍ مِنْ حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ[١].

---

(١) كان ما جمعه زيد من القرآن أيام أبي بكر عند أبي بكر، فلما توفي أبو بكر، وآلت الخلافة إلى عمر بن الخطاب، انتقلت الرقاق والألواح إلى الخليفة الجديد، وأراد عمر أن يعيد الجمع كنوع من التثبت والتدقيق، ورأى أن تعاد الكتابة من جديد لتكونَ كلها بلهجة قريش. وبدأ نافع بن طريف بالكتابة حسب أمر أمير المؤمنين، غير أن المنية قد عاجلت الخليفة فطعن، وتوقف العمل بالجمع والكتابة. وبقيت رقاق القرآن عند حفصة بنت عمر، رضي الله عنهما، بعد وفاة والدها.

كتب عثمان لأهل الشام مصحفاً، ولأهل مصر آخر، وبعث إلى البصرة مصحفاً، وإلى الكوفة بآخر، وأرسل إلى مكة مصحفاً، وإلى اليمن مثله، وأقرّ بالمدينة مصحفاً، ويقال لهذه المصاحف: الأئمة، وليست كلها بخط عثمان، بل ولا واحد منها، وإنما هي بخط زيد بن ثابت، وإنما يقال لها المصاحف العثمانية نسبةً إلى أمره، وزمانه، وإمارته، كما يقال: دينار هرقليّ - أي ضرب في زمانه ودولته.

٤ ـ **الحَجُّ**: كَانَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يُقِيمُ الحَجَّ لِلْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ عَامٍ مُدَّةَ خِلَافَتِهِ إِلاَّ السَّنَةَ الأَخِيرَةَ وَهِيَ ٣٥هـ حَيْثُ كَانَ مُحَاصَراً، أَيْ عَشْرُ سَنَوَاتٍ مُتَوَالِيَاتٍ كَانَ يَحُجُّ بِالنَّاسِ، وَإِن كَانَ يُرْوَى أَنَّ السَّنَةَ الأُولَى مِنْ إِمَارَتِهِ، وَهِيَ سَنَةَ ٢٤هـ، كَانَ قَدْ كَلَّفَ عَبْدَ الرَّحْمٰنِ بنَ عَوْفٍ لِيَحُجَّ بِالنَّاسِ.

وَكَانَ يَلْتَقِي فِي المَوْسِمِ مَعَ عُمَّالِهِ، وَيَسْأَلُهُمْ عَنْ وِلاَيَاتِهِمْ، وَأَعْمَالِهِمْ، وَرَعِيَّتِهِمْ، كَمَا يَبْحَثُ أَمْرَ الجِهَادِ، وَحِمَايَةَ الثُّغُورِ.

كَمَا يَجْتَمِعُ بِأَفْرَادٍ مِنَ الرَّعِيَّةِ، وَيَسْأَلُهُمْ عَنْ أُمَرَائِهِمْ، وَقَضَاءِ أُمُورِهِمْ.

وَفِي مَوْسِمِ ٢٩هـ نُصِبَ لَهُ فُسْطَاطٌ بِمِنًى، فَكَانَ أَوَّلَ فُسْطَاطٍ ضَرَبَهُ عُثْمَانُ بِمِنًى، وَأَتَمَّ الصَّلاَةَ بِهَا، وَبِعَرَفَةَ.

عَنِ ابنِ عَبَّاس قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي عُثْمَانَ ظَاهِراً أَنَّهُ صَلَّى بِالنَّاسِ بِمِنىً فِي وَلاَيَتِهِ رُكْعَتَيْنِ، حَتَّى إِذَا كَانَتِ السَّنَةُ السَّادِسَةُ أَتَمَّهَا، فَعَابَ ذَلِكَ غَيْرُ

وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُكَثِّرَ عَلَيْهِ، حَتَّى جَاءَهُ، عَلِيٌّ فِيمَنْ جَاءَهُ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا حَدَثَ أَمْرٌ وَلاَ قَدُمَ عَهْدٌ، وَلَقَدْ عَهِدْتَ نَبِيَّكَ ﷺ، يُصَلِّي رُكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ، وَأَنْتَ صَدْرَاً مِنْ وَلاَيَتِكَ، فَمَا أَدْرِي مَا تَرْجِعُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: رَأْيٌ رَأَيْتُهُ.

وَيُرْوَى أَنَّ عُثْمَانَ صَلَّى بِالنَّاسِ بِمِنًى أَرْبَعاً، فَأَتَى آتٍ عَبْدَ الرَّحْمٰنِ بنَ عَوْفٍ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ فِي أَخِيكَ؟ قَدْ صَلَّى فِي النَّاسِ أَرْبَعَاً! فَصَلَّى عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بِأَصْحَابِهِ رُكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ، فَقَالَ لَهُ: أَلَمْ تُصَلِّ فِي هَذَا المَكَانِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رُكْعَتَيْنِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: أَفَلَمْ تُصَلِّ مَعَ أَبِي بَكْرٍ رُكْعَتَيْنِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: أَفَلَمْ تُصَلِّ مَعَ عُمَرَ رُكْعَتَيْنِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: أَلَمْ تُصَلِّ صَدْرَاً مِنْ خِلاَفَتِكَ رُكْعَتَيْنِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَاسْمَعْ مِنِّي يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، إِنِّي أُخْبِرْتُ أَنَّ بَعْضَ مَنْ حَجَّ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ وَجُفَاةِ النَّاسِ قَدْ قَالُوا فِي عَامِنَا المَاضِي: إِنَّ الصَّلاَةَ لِلْمُقِيمِ رُكْعَتَانِ، هَذَا إِمَامُكُمْ عُثْمَانُ يُصَلِّي رُكْعَتَيْنِ، وَقَدِ اتَّخَذْتُ بِمَكَّةَ أَهْلاً، فَرَأَيْتُ أَنْ أُصَلِّي أَرْبَعاً لِخَوْفِ مَا أَخَافُ عَلَى النَّاسِ، وَأُخْرَى قَدِ اتَّخَذْتُ بِهَا

زَوْجَةٌ، وَلِي بِالطَّائِفِ مَالٌ، فَرُبَّمَا اطَّلَعْتُهُ فَأَقَمْتُ فِيهِ بَعْدَ الصَّدْرِ. فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ عَوْفٍ: مَا مِنْ هَذَا شَيْءٌ لَكَ فِيهِ عُذْرٌ؛ فَأَمَّا قَوْلُكَ اتَّخَذْتُ أَهْلاً، فَزَوْجَتُكَ بِالمَدِينَةِ تَخْرُجُ بِهَا إِذَا شِئْتَ وَتُقْدِمُ بِهَا إِذَا شِئْتَ، إِنَّمَا تَسْكُنُ بِسُكْنَاكَ. وَأَمَّا قَوْلُكَ: وَلِي مَالٌ بِالطَّائِفِ فَإِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الطَّائِفِ مَسِيرَةَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، وَأَنْتَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ. وَأَمَّا قَوْلُكَ: يَرْجِعُ مَنَ حَجَّ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ وَغَيْرُهُمْ فَيَقُولُونَ: هَذَا إِمَامُكُمْ عُثْمَانُ يُصَلِّي رُكْعَتَينَ وَهُوَ مُقِيمٌ، فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَنْزِلُ عَلَيْهِ الوَحْيُ وَالنَّاسُ يَوْمَئِذٍ الإِسْلاَمُ فِيهِمْ قَلِيلٌ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ مِثْلُ ذَلِكَ، ثُمَّ عُمَرُ، فَضَرَبَ الإِسْلاَمُ بُجْرَانَهُ، فَصَلَّى بِهِمْ عُمَرُ رُكْعَتَيْنِ حَتَّى مَاتَ، فَقَالَ عُثْمَانُ: هَذَا رَأْيٌ رَأَيْتُهُ.

فَخَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ فَلَقِيَ ابنَ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَبَا مُحَمَّدٍ، غَيْرُ مَا يُعْلَمُ؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: فَمَا أَصْنَعُ؟ قَالَ: اعْمَلْ أَنْتَ بِمَا تَعْلَمُ، فَقَالَ ابنُ مَسْعُودٍ: الخِلاَفُ شَرٌّ، قَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ صَلَّى أَرْبَعاً فَصَلَّيْتُ بِأَصْحَابِي أَرْبَعاً، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ عَوْفٍ: قَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ صَلَّى أَرْبَعاً فَصَلَّيْتُ بِأَصْحَابِي رُكْعَتَيْنِ، وَأَمَّا الآنَ

فَسَوْفَ يَكُونُ الَّذِي تَقُولُ ـ يَعْنِي نُصَلِّي مَعَهُ أَرْبَعاً[1].

٥ ـ نَقْلُ المِينَاءِ مِنَ الشُّعَيْبَةِ إِلَى جُدَّةَ: كَلَّمَ أَهْلُ مَكَّةَ عَامَ سِتَّةٍ وَعِشْرِينَ عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنْ يُحَوِّلَ المِينَاءَ مِنَ الشُّعَيْبَةِ الَّتي هِيَ مِينَاءُ مَكَّةَ قَدِيماً إِلَى جُدَّةَ لِقُرْبِهَا مِنَ مَكَّةَ. فَخَرَجَ عُثْمَانُ إِلَى جُدَّةَ، وَرَأَى مَوْضِعَهَا، وَأَمَرَ بِتَحْوِيلِ المِينَاءِ إِلَيْهَا، وَدَخَلَ البَحْرَ، وَاغْتَسَلَ فِيهِ، وَقَالَ: إِنَّهُ مُبَارَكٌ، وَقَالَ لِمَنْ مَعَهُ: ادْخُلُوا البَحْرَ لْلِاغْتِسَالِ، وَلاَ يَدْخُلُ أَحَدٌ إِلاَّ بِمِئْزَرٍ. ثُمَّ خَرَجَ مِن جُدَّةَ عَلَى طَرِيقِ عُسْفَانَ إِلَى المَدِينَةِ، وَتَرَكَ النَّاسُ مِينَاءَ الشُّعَيْبَةِ مُنْذُ ذَلِكَ الوَقْتِ، وَأَصْبَحَتْ جُدَّةُ مِينَاءَ مَكَّةَ إِلَى هَذَا اليَوْمِ.

سُقُوطُ الخَاتَمِ:

وَفِي سَنَةِ ثَلاَثِينَ مِنَ الهِجْرَةِ سَقَطَ خَاتَمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مِنْ يَدِ عُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَنْ يَكْتُبَ إِلَى المُلُوكِ

(١) تاريخ الطبري.

وَالأُمَرَاءِ الأَعَاجِمِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، قَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ لاَ يَقْبَلُونَ كِتَاباً إِلاَّ مَخْتُوماً، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَنْ يُعْمَلَ لَهُ خَاتَمٌ مِنْ حَدِيدٍ، فَجَعَلَهُ فِي إِصْبِعِهِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ لَهُ: انْبُذْهُ مِن إِصْبِعِكَ، فَنَبَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مِنْ إِصْبِعِهِ، وَأَمَرَ بِخَاتَمٍ آخَرَ يُعْمَلُ لَهُ، فَعُمِلَ لَهُ خَاتَمٌ مِنْ نُحَاسٍ، فَجَعَلَهُ فِي إِصْبِعِهِ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: انْبُذْهُ مِن إِصْبِعِكَ، فَنَبَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مِنْ إِصْبِعِهِ، وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بِخَاتَمٍ مِنْ وَرِقٍ[1]، فَجَعَلَهُ فِي إِصْبِعِهِ، فَأَقَرَّهُ جِبْرِيلُ، وَأَمَرَ أَنْ يُنْقَشَ عَلَيْهِ «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» فَجَعَلَ يَتَخَتَّمُ بِهِ، وَيَكْتُبُ إِلَى مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَيْهِ مِنَ الأَعَاجِمِ، وَكَانَ نَقْشُ الخَاتَمِ ثَلاَثَةَ أَسْطُرٍ. فَكَتَبَ كِتَاباً إِلَى كِسْرَى بنِ هُرْمُزَ، وَآخَرَ إِلَى هِرَقْلَ مَلِكِ الرُّومِ. فَكَانَ الخَاتَمُ فِي إِصْبِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَتَخَتَّمُ بِهِ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. ثُمَّ اسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ فَتَخَتَّمَ بِهِ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ

---

(١) الوَرِقُ: الفضة.

عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ وَلِيَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ بَعْدَهُ فَجعَلَ يَتَخَتَّمُ بِهِ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ، ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ، فَتَخَتَّمَ بِهِ سِتَّ سَنَوَاتٍ، فَحفَرَ بِئْراً بِالمَدِينَةِ شِرْباً لِلْمُسْلِمِينَ، فَقَعَدَ عَلَى رَأْسِ البِئْرِ، فَجَعَلَ يَعْبَثُ بِالخَاتَمِ، وَيُدِيرُهُ بِإِصْبِعِهِ، فَانْسَلَّ الخَاتَمُ مِنْ إِصْبِعِهِ، فَوَقَعَ فِي البِئْرِ، فَطَلَبُوهُ فِي البِئْرِ، وَنَضَحُوا ما فِيهَا مِنَ المَاءِ، فَلَمْ يَعْثُرُوا عَلَيْهِ، فَجعَلَ فِيهِ مَالاً عَظِيمَاً لِمَنْ جَاءَ بِهِ، وَاغْتَمَّ لِذَلِكَ غَمّاً شَدِيداً، فَلَمَّا يَئِسَ مِنَ الخَاتَمِ، أَمَرَ فَصُنِعَ لَهُ خَاتَمٌ مِثْلُهُ مِنْ فِضَّةٍ، عَلَى مِثَالِهِ وَشِبْهِهِ، وَنُقِشَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَجَعَلَهُ فِي إِصْبِعِهِ حَتَّى اسْتُشْهِدَ، فَلَمَّا قُتِلَ ذَهَبَ الخَاتَمُ مِنْ يَدِهِ، فَلَمْ يُدْرَ مَنْ أَخَذَهُ.

عَزْلُ الوَلِيدِ بنِ عُقْبَةَ عَنِ الكُوفَةِ:

كَانَ الوَلِيدُ بنُ عُقْبَةَ عَامِلاً لِلْفَارُوقِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ عَلَى عَرَبِ الجَزِيرَةِ الفُرَاتِيَّةِ، وَقَدْ أَقَامَ فِي بَنِي تَغْلِبَ، وَتُوفِّيَ الفَارُوقُ وَالوَلِيدُ عَلَى عرَبِ الجَزِيرَةِ، وَاسْتَمَرَّ سَنَةً وَبَعْضَ السَّنَةِ فِي خِلاَفَةِ عُثْمَانَ، وَبَعْدَهَا أُعْطِيَ وَلاَيَةَ الكُوفَةِ، فَقَدِمَ إِلَيْهَا، وَكَانَ أَحَبَّ النَّاسِ فِي النَّاسِ،

وَأَرْفَقَهُمْ بِهِمْ، فَكَانَ كَذَلِكَ خَمْسَ سِنِينَ، وَلَيْسَ عَلَى دَارِهِ بَابٌ. كَمَا كَانَ رَجُلاً شَهْمَاً ذَا مُرُوءَةٍ، شُجَاعَاً، كَرِيمَاً قَائِدَاً مُوَفَّقَاً، وَبَطَلاً مَعْرُوفَاً، وَلَكِنَّهُ مَعَ هَذَا كَانَ يَتَعَاطَى الشَّرَابَ، وَلَمْ يَكُنِ الخَلِيفَةُ لِيَدْرِي، وَهُوَ أَخُوهُ لأُمِّهِ.

جَرَتِ اعْتِدَاءَاتٌ مِنْ بَعْضِ شَبَابِ الكُوفَةِ فَعَاقَبَهُمْ بِمَا يَسْتَحِقُّونَ، فَتَحَامَلُوا عَلَيْهِ، وَأَخَذُوا يُشَهِّرُونَ بِهِ، وَقَدِمَ اثْنَانِ مِنْهُمَا إِلَى المَدِينَةِ، وَنَقَلاَ إِلَى عُثْمَانَ مَا يُرِيدَانِ قَوْلَهُ، فَشَهِدَا أَنَّهُمَا دَخَلاَ عَلَيْهِ فَوَجَدَاهُ يَتَقَيَّأُ الخَمْرَ، فَقَالَ: مَا يَقِيءُ الخَمْرَ إِلاَّ شَارِبُهَا، وَأَنَّهُ صَلَّى الفَجْرَ بِالنَّاسِ، وَكَانَ يَهْذِي، فَأَرْسَلَ الخَلِيفَةُ إِلَى الوَلِيدِ، فَقَدِمَ، وَسَمِعَ الشَّهَادَةَ عَلَيْهِ. فَغَضِبَ عُثْمَانُ لِلَّهِ، ثُمَّ لِقَرَابَتِهِ لَهُ، وَلَكِنْ لاَ يُمْكِنُ أَنْ تَأْخُذَهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لاَئِمٍ، فَشَرْعُ اللَّهِ لاَ بُدَّ مِنْ تَطْبِيقِهِ، فَلاَ يُنْظَرُ إِلَى مَعْرِفَةٍ أَوْ قَرَابَةٍ، وَعُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ أَحَدُ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيينَ فَقَدْ أَمَرَ بِعَزْلِ الوَلِيدِ بنِ عُقْبَةَ عَنِ الكُوفَةِ، وَأَعْطَاهَا لِسَعِيدِ بنِ العَاصِ، وَأَمَرَ سَعِيدَاً مُبَاشَرَةً بِإِقَامَةِ الحَدِّ عَلَى الوَلِيدِ أَمَامَ الأَشْهَادِ، فَجَلَدَهُ عَلَى مَلإٍ مِنَ النَّاسِ.

وَفَاةُ المَشَاهِيرِ:

تُـوفِّـيَ فِـي خِـلاَفَـةِ عُـثْـمَـانَ عَـدَدٌ مِـنْ صَـحَـابَـةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمِنْ مَشَاهِيرِهِمْ:

تُوفِّيَ أَبُو سُفْيَانَ صَخْرُ بنُ حَرْبٍ كَفِيفاً سَنَةَ إِحْدَى وَثَلاَثِينَ، وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ قَدْ فَقَدَ عَيْنَهُ الأُولَى فِي الطَّائِفِ بَعْدَ حُنَيْنٍ، وَفَقَدَ الأُخْرَى فِي اليَرْمُوكِ سَنَةَ ثَلاَثَ عَشْرَةَ، وَعَاشَ بَعْدَهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً كَفِيفاً.

وَتُوفِّيَ العَبَّاسُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلاَثِينَ. وَتُـوفِّـيَ بِـالـسَّـنَـةِ نَـفْـسِـهَـا عَـبْـدُ الـرَّحْـمٰـنِ بـنُ عَـوْفٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ (عُوَيْمِرُ بنُ زَيْدِ بنِ قَيْسٍ، وَيُقَالُ: عُوَيْمِرُ بنُ عَامِرٍ)، وَالمِقْدَادُ بنُ عَمْرٍو، وَأَبُو ذَرٍّ، وَلَـقَـدْ كَـثُـرَ الـقَـوْلُ فِـي أَبِـي ذَرٍّ، لِـذَا سَـأُوَضِّـحُ الحَدِيثَ عَنْهُ مَا اسْتَطَعْتُ.

أَبُو ذَرٍّ هُوَ جُنْدُبُ بنُ جُنَادَةَ، مِنْ قَبِيلَةِ غِفَارٍ إِحْدَى بُطُونِ كِنَانَةَ، وَتُقِيمُ فِي تِهَامَةِ الحِجَازِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ عَلَى طَرِيقِ قَوَافِلِ قُرَيْشٍ إِلَى الشَّامِ. أَسْلَمَ قَبْلَ الهِجْرَةِ، وَبَقِيَ فِي قَوْمِهِ غِفَارٍ حَتَّى هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَمَضَتْ

بَدْرٌ، وَأُحُدٌ، وَالخَنْدَقُ، وَشَهِدَ المَشَاهِدَ كُلَّهَا بَعْدَ ذَلِكَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَحَمَلَ رَايَةَ غِفَارٍ يَوْمَ حُنَيْنٍ.

كَانَ أَبُو ذَرٍّ رَجُلَ إِيمَانٍ، قَوِيًّا، ذَا جُرْأَةٍ بِالحَقِّ، غَيْرَ هَيَّابٍ، مَعَ حِدَّةٍ بِالطَّبْعِ، وَشِدَّةٍ بِالقَوْلِ. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: (مَا أَقَلَّتِ الغَبْرَاءُ، وَلاَ أَظَلَّتِ الخَضْرَاءُ مِنْ رَجُلٍ أَصْدَقَ لَهْجَةً مِنْ أَبِي ذَرٍّ)[١].

وَلَمَّا طَلَبَ أَبُو ذَرٍّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، الإِمْرَةَ، رَفَضَ ذَلِكَ، لِمَا هُوَ عَلَيْهِ أَبُو ذَرٍّ مِنْ حِدَّةٍ فِي الطَّبْعِ، فَهَذَا ضَعْفٌ. قَالَ أَبُو ذَرٍّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلاَ تَسْتَعْمِلُنِي، قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مِنْكَبِي، ثُمَّ قَالَ: (يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ القِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا)[٢]. وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ لِأَبِي ذَرٍّ: (يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفاً، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ

---

(١) رواه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم.

(٢) رواه مسلم.

لِنَفْسِي، لاَ تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلاَ تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ)[1].

كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُفْتِي فِي خِلاَفَةِ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ[2]، وَكَانَ الخُلَفَاءُ، وَهُمُ الَّذِينَ عَاشَ فِي أَيَّامِهِمْ يَحْتَرِمُونَهُ، وَيُجِلُّونَهُ لِحُبِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَهُ، وَلِعِلْمِهِ وَزُهْدِهِ، وَكَذَلِكَ كَانَ بَقِيَّةُ الصَّحَابَةِ رَغْمَ الحِدَّةِ الَّتِي كَانَتْ فِي طَبْعِهِ، وَرَغْمَ القَسْوَةِ الَّتِي يَنَالُونَهَا مِنْهُ أَحْيَانَاً، ـ وَمَعَ الأَسَفِ ـ فَإِنَّ بَعْضَ الَّذِينَ كَتَبُوا عَنْهُ قَدْ فَهِمُوا هَذِهِ المَحَبَّةَ لَهُ ضَعْفَاً مِنَ الخُلَفَاءِ وَوُلاَتِهِمْ، وَفَسَّرُوا شِدَّتَهُ الَّتِي جُبِلَ عَلَيْهَا ثَوْرَةً عَلَيْهِمْ لِلظُّلْمِ القَائِمِ، حَسْبَ تَصَوُّرِهِمْ، وَأَوَّلُوا سُكُوتَهُمْ تَقْدِيرَاً لَهُ سُكُوتَ الخَوْفِ مِمَّا يَقَعُ مِنْ مُخَالَفَاتٍ شَرْعِيَّةٍ، وَهَكَذَا انْقَلَبَ أَبُو ذَرٍّ فِي نَظَرِ هَؤُلاَءِ مِنْ رَجُلٍ مُؤْمِنٍ إِلَى ثَائِرٍ عَلَى التَّرَفِ وَالبَغْيِ وَالظُّلْمِ، وَاسْتَغَلَّ هَذَا أَعْدَاءُ الإِسْلاَمِ عَامَّةً، وَمِنْهُمْ أَصْحَابُ النَّظَرِيَّاتِ الاقْتِصَادِيَّةِ المُنْحَرِفَةِ فَعَدُّوهُ حَامِلاً لِمَبَادِئِهِمْ، وَغَدَا ثَائِرَاً عَلَى خُصُومِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ الحُرِّيَّةِ الاقْتِصَادِيَّةِ.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) سير أعلام النبلاء.

كَانَ أَبُو ذَرٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَرَى ضَرُورَةَ إِنْفَاقِ المَالِ، وَيَكْرَهُ جَمْعَهُ وَالاحْتِفَاظَ بِهِ وَلَوْ عِدَّةَ أَيَّامٍ، وَيَرَى إِبْقَاءَهُ لَيْلَةً كَنْزاً لَهُ، وَيُفَسِّرُ الآيَةَ الكَرِيمَةَ ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾[1] مِنْ هَذَا المُنْطَلَقِ الَّذِي يَرَاهُ. لِذَا كَانَ يَقْسُو عَلَى كُلِّ صَاحِبِ مَالٍ، مَهْمَا كَانَ كَثِيرَ الإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَارْتَحَلَ أَبُو ذَرٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى الشَّامِ، وَكَانَ يُحَدِّثُ هُنَاكَ فَيَقُولُ: لاَ يَبِيتَنَّ عِنْدَ أَحَدِكُمْ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، وَلاَ تِبْرٌ وَلاَ فِضَّةٌ، إِلاَّ شَيْءٌ يُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ يُعِدُّهُ لِغَرِيمٍ. فَاسْتَهْوَى قُلُوبَ الرِّجَالِ. وَبَعَثَ لَهُ مُعَاوِيَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِأَلْفِ دِينَارٍ فَأَنْفَقَهَا فِي جُنْحِ اللَّيْلِ.

كَانَ مُعَاوِيَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَدَّخِرُ بَعْضَ المَالِ فِي بَيْتِ المَالِ اسْتِعْدَاداً لِمُوَاجَهَةِ الرُّومِ، الَّذِينَ بَقِيَتْ دَوْلَتُهُمْ قَائِمَةً، وَبَقِيَ المُسْلِمُونَ يُنَازِلُونَهَا وَلاَ بُدَّ مِنْ أَخْذِ

---

(١) سورة التوبة: الآية ٣٤.

الاحْتِيَاطِ، بَيْنَمَا بَقِيَّةُ الأُمَرَاءِ، لاَ دُوَلَ أَمَامَهُمْ يُنَازِلُونَهَا حَيْثُ انْتَهَتْ كَدَوْلَةِ فَارِسَ، وَلَمْ تَكُنْ مَنْطِقَةُ ثُغورٍ عَلَى حُدُودِهِمْ، كَالوَضْعِ الَّذِي فِي الشَّامِ، وَحَتَّى فَهِمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ يَعْنِي مُعَاوِيَةَ، وَغَدَا مُعَاوِيَةُ يُنْكِرُ بَعْضَ شَأْنِ رَعِيَّتِهِ، وَلَكِنْ لاَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَأْخُذَ أَبَا ذَرٍّ بِالقَسْوَةِ لِمَا لَهُ مِنْ فَضْلٍ، فَهُوَ مِنَ الصَّحَابَةِ الخِيَارِ، وَلاَ يُمْكِنُهُ أَنْ يُجَرِّحَهُ بِالكَلاَمِ لاِحْتِرَامِهِ وَتَقْدِيرِهِ، وَلَكِنْ أَحَبَّ أَبُو ذَرٍّ أَنْ يَعُودَ إِلَى المَدِينَةِ، إِذْ أَنَّ دَوْرَهُ هُنَاكَ قَلِيلٌ لِمَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ وَأَبْنَائِهِمْ بِهِ، وَلِبُعْدِ المَدِينَةِ عَنِ الثُّغُورِ، وَأَمَّا فِي الشَّامِ فَهُنَاكَ مِنْ هُوَ حَدِيثُ العَهْدِ بِالإِسْلاَمِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَتَأَثَّرَ بِالصَّحَابَةِ كَأَبِي ذَرٍّ، وَالشَّامُ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنَ الثُّغُورِ، فَكَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَ كَانَ لَكَ بِالشَّامِ حَاجَةٌ، أَوْ بِأَهْلِهِ، فَابْعَثْ إِلَى أَبِي ذَرٍّ، فَإِنَّهُ قَدْ وَغَلَ صُدُورَ النَّاسِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُثْمَانُ: أَقْدِمْ عَلَيَّ، فَقَدِمَ.

لَمْ يَكُنْ لِمُعَاوِيَةَ عَلَى أَبِي ذِرٍّ مِنْ نُفُوذٍ، وَمَا كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَتَّخِذَ عَلَيْهِ صِفَةَ الوَلاَيَةِ، لِذَا كَتَبَ إِلَى عُثْمَانَ بِذَلِكَ، فَهُوَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ ولَهُ عَلَى أَبِي ذَرٍّ حَقُّ السَّمْعِ

وَالطَّاعَةِ، كَمَا لَهُ فَضْلُ السَّابِقَةِ كَأَبِي ذَرٍّ، وَلَيْسَ لِمُعَاوِيَةَ هَذَا. وَمَعَ هَذِهِ الشِّدَّةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا أَبُو ذَرٍّ فَإِنَّهُ يَسْمَعُ وَيُطِيعُ، وَيَأْتَمِرُ بِأَمْرِ الخَلِيفَةِ وَالأَمِيرِ وَلاَ يُخَالِفُ أَبَداً.

جَاءَ أَبُو ذَرٍّ إِلَى المَدِينَةِ وَاسْتَقْبَلَهُ عُثْمَانُ بِحَفَاوَةٍ، وَقَالَ لَهُ عِنْدَمَا رَآهُ: مَرْحَباً وَأَهْلاً بِأَخِي. فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: مَرْحَباً وَأَهْلاً بِأَخِي، لَقَدْ أَغْلَظْتَ عَلَيْنَا فِي العَزِيمَةِ (عَزِيمَةِ القُدُومِ)، وَاللَّهِ لَوْ عَزَمْتَ عَلَيَّ أَنْ أَحْبُوَ لَحَبَوْتُ مَا اسْتَطَعْتُ.

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: لَوْ أَمَرَنِي عُثْمَانُ أَنْ أَمْشِيَ عَلَى رَأْسِي لَمَشَيْتُ.

وَعِنْدَمَا بَدَأَتِ الفِتْنَةُ، وَجَاءَ أَصْحَابُهَا إِلَى عُثْمَانَ كَانَ عِنْدَهُ أَبُو ذَرٍّ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، افْتَحِ البَابَ، لاَ تَحْسَبَنِي مِنْ قَوْمٍ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ الصَّامِتِ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي ذَرٍّ عَلَى عُثْمَانَ، فَلَمَّا دَخلَ حَسَرَ عَنْ رَأْسِهِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَنَا مِنْهُمْ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ـ يُرِيدُ أَصْحَابَ الفِتْنَةِ ـ قَالَ لَهُ

عُثْمَانُ: صَدَقْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ لِتُجَاوِرَنَا بِالْمَدِينَةِ، قَالَ: لاَ حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ، ائْذَنْ لِي إِلَى الرَّبَذَةِ. قَالَ: نَعَمْ، وَنَأْمُرُ لَكَ بِنِعَمٍ مِنْ نِعَمِ الصَّدَقَةِ، تَغْدُو عَلَيْكَ وَتَرُوحُ. قَالَ: لاَ حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ، يَكْفِي أَبَا ذَرٍّ صُرَيْمَتُهُ[1].

لَقَدْ خَرَجَ أَبُو ذَرٍّ إِلَى الرَّبَذَةِ مِنْ نَفْسِهِ حَيْثُ كَانَ يُحِبُّ الوَحْدَةَ، وَيَحْرِصُ عَلَيْهَا. غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ يَغْدُو وَيَرُوحُ إِلَى المَدِينَةِ بَيْنَ الحِينِ وَالآخَرِ خَوْفاً مِنَ الاسْتِقْرَارِ فِي البَادِيَةِ، وَتَرْكِ المَدِينَةِ بَعْدَ الهِجْرَةِ، وَقَدْ وَرَدَ النَّهْيُ عَنْ ذَلِكَ. ثُمَّ طَاعَةً لِأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ، إِذْ طَلَبَ مِنْهُ ذَلِكَ.

وَحَانَتْ وَفَاةُ أَبِي ذَرٍّ فِي الرَّبَذَةِ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ قَادِماً فِي رَهْطٍ مِنَ العِرَاقِ عُمَّاراً، فَأَخْبَرَتْهُمْ زَوْجَةُ أَبِي ذَرٍّ، وَكَانَتْ عَلَى الطَّرِيقِ تَبْحَثُ عَمَّنْ يَدْفُنُهُ، فَوَارُوهُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْهُمْ. وَكَانَ ابنُ مَسْعُودٍ يَبْكِي، وَيَقُولُ: صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (تَمْشِي وَحْدَكَ، وَتَمُوتُ وَحْدَكَ، وَتُبْعَثُ وَحْدَكَ)، (لِمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ حُبٍّ لِلْوَحْدَةِ).

---

(١) ما عنده من قليل الغنم والإبل.

إِذَنْ لَـمْ يَـكُـنْ بَـيْـنَ عُـثْـمَـانَ وَأَبِـي ذَرٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا، تِلْكَ الـهُـوَّةُ الَّتِي يَتَحَدَّثُ عَنْهَا، المُرْجِفُونَ، أَعْدَاءُ الإِسْلَامِ، وَيَنْسُجُونَ مِنْ خَيَالِهِمْ قَصَصَ الخِلَافِ وَالنُّفُورِ بَيْنَ الصَّحَابِيينِ الجَلِيلَيْنِ.

الفصل العاشر

صِفَاتُ ذِي النُّورَيْنِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

كَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَجُلاً رَبْعَةً، لَيْسَ بِالقَصِيرِ وَلاَ بِالطَّوِيلِ، حَسَنَ الوَجْهِ، بِوَجْنَتَيْهِ نُكْتَاتُ جَدِرِيٍّ، أَقْنَى.

وَقَالَ البَغَوِيُّ: مُشْرِفَ الأَنْفِ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ، رَقِيقَ البَشَرَةِ، عَظِيمَ اللِّحْيَةِ طَوِيلَهَا، أَسْمَرَ اللَّوْنِ، كَثِيرَ الشَّعْرِ، لَهُ جُمَّةٌ مِنْ أَسْفَلِ أُذُنَيْهِ، وَلِكَثْرَةِ شَعْرِ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ كَانَ أَعْدَاؤُهُ يُسَمُّونَهُ نَعْثَلاً(١)، ضَخْمَ الكَرَادِيسِ(٢)، بَعِيدَ مَا بَيْنَ المَنْكِبَيْنِ، وَكَانَ أَصْلَعَ، وَكَانَ يُصَفِّرُ لِحْيَتَهُ.

---

(١) نعثل: اسم رجل طويل اللحية. كان إذا نيل من عثمان سمي بذلك. ونعثل أيضاً اسم الذكر من الضباع.

(٢) الكراديس: جمع كردوسة ـ كل عظمين التقيا في مفصل، وقيل: رؤوس العظام.

وَقَالَ الحَسَنُ: كَانَ خَفِيفَ الجِسْمِ، عَظِيمَ الأَرْنَبَةِ، شَعْرُ رَأْسِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ، وَكَانَ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ.

كَانَ مُحَبَّباً فِي قُرَيْشٍ، وَفِيهِ يَقُولُ قَائِلُهُمْ: أَحَبَّكَ الرَّحْمٰنُ حُبَّ قُرَيْشٍ عُثْمَانَ.

كَانَ عُثْمَانُ جَمِيلاً، وَكَانَ رَبْعَةً لاَ بِالقَصِيرِ وَلاَ بِالطَّوِيلِ، حَسَنَ الوَجْهِ، رَقِيقَ البَشَرَةِ، كَبِيرَ اللِّحْيَةِ، أَسْمَرَ اللَّوْنِ، كَثِيرَ الشَّعْرِ، ضَخْمَ الكَرَادِيسِ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ المَنْكِبَيْنِ، لَهُ جُمَّةٌ[1] أَسْفَلَ مِنْ أُذُنَيْهِ، جَذْلَ السَّاقَيْنِ، طَوِيلَ الذِّرَاعَيْنِ، شَعْرُهُ قَدْ كَسَا ذِرَاعَيْهِ، أَقْنَى بَيِّنَ القَنَا، بِوَجْهِهِ نُكْتَاتُ جُدَرِيٍّ، وَكَانَ يُصَفِّرُ لِحْيَتَهُ، وَيَشُدُّ أَسْنَانَهُ بِالذَّهَبِ.

وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنْسَبَ قُرَيْشٍ، لِقُرَيْشٍ، وَأَعْلَمَ قُرَيْشٍ بِمَا كَانَ فِيهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَكَانَ رِجَالُ قُرَيْشٍ يَأْتُونَهُ وَيَأْلَفُونَهُ لِغَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الأُمُورِ لِعِلْمِهِ، وَتَجَارِبِهِ، وَحُسْنِ مُجَالَسَتِهِ، وَكَانَ شَدِيدَ الحَيَاءِ، وَمِنْ كِبَارِ التُّجَارِ.

---

(١) الجمّة: مجتمع شعر الرأس إذا تدلّى من الرأس إلى شحمة الأذن.

كَانَ لاَ يُوقِظُ نَائِمَاً مِنْ أَهْلِهِ إِلاَّ أَنْ يَجِدَهُ يَقْظَانَ فَيَدْعُوهُ فَيُنَاوِلُهُ وَضُوءَهُ، وَكَانَ يَصُومُ الدَّهْرَ، وَيَلِي وَضُوءَ اللَّيْلِ بِنَفْسِهِ. فَقِيلَ لَهُ: لَوْ أَمَرْتَ بَعْضَ الخَدَمِ فَكَفَوْكَ، فَقَالَ: اللَّيْلُ لَهُمْ يَسْتَرِيحُونَ فِيهِ. وَكَانَ لَينَ العَرِيكَةِ كَثِيرَ الإِحْسَانِ وَالحلم. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَصْدَقُ أُمَّتِي حَيَاءً عُثْمَانُ). وَقَالَ عَنْ نَفْسِهِ قَبْلَ قَتْلِهِ: وَاللَّهِ مَا زَنَيْتُ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلاَ إِسْلاَمٍ[1].

وَقَدْ كَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَسَنَ الشَّكْلِ، مَلِيحَ الوَجْهِ، كَرِيمَ الأَخْلاَقِ، ذَا حَيَاءٍ كَثِيرٍ، وَكَرَمٍ غَزِيرٍ، يُؤْثِرُ أَهْلَهُ وَأَقَارِبَهُ فِي اللَّهِ، تَأْلِيفاً لِقُلُوبِهِمْ مِنْ مَتَاعِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا الفَانِي، لَعَلَّهُ يُرَغِّبُهُمْ فِي إِيثَارِ مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى[2].

عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: كَانَ عُثْمَانُ رَجُلاً مَرْبُوعاً، حَسَنَ الشَّعْرِ، حَسَنَ الوَجْهِ، أَصْلَعَ، أَرْوَحَ[3] الرِّجْلَيْنِ.

كَانَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ قَدْ سَلِسَ بَوْلُهُ عَلَيْهِ،

(١) ذي النورين عثمان بن عفّان ـ محمد رضا.
(٢) البداية والنهاية ـ ابن كثير.
(٣) أروح الرجلين: منفرج ما بينهما.

فَدَاوَاهُ، ثُمَّ أَرْسَلَهُ، فَكَان يَتَوَضَّأُ لِكُلِّ صَلاَةٍ[1].

عَنْ جَعْفِرِ بنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عُثْمَانَ كَانَ تَخَتَّمَ فِي اليَسَارِ[2].

عَنْ بُنَانَةَ قَالَتْ: كَانَ عُثْمَانُ يَتَنَشَّفُ بَعْدَ الوُضُوءِ[3].

عَنْ بُنَانَةَ أَنَّ عُثْمَانَ، كَانَ يَتَمَطَّرُ (يُسْرِعُ)[4].

كَانَ يَنَامُ فِي المَسْجِدِ مُتَوَسِّداً رِدَاءَهُ.

اسْتَخَفَّ رَجُلٌ بِالعَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَضَرَبَهُ عُثْمَانُ، فَاسْتُحْسِنَ مِنْهُ ذَلِكَ، وَقَالَ: أَيُفَخِّمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَمَّهُ وَأُرَخِّصُ فِي الاسْتِخْفَافِ بِهِ. لَقَدْ خَالَفَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ وَرَضِيَ بِهِ.

كَانَ أَعْلَمَ النَّاسِ بِالمَنَاسِكِ.

كَانَ حَافِظَاً لِكِتَابِ اللَّهِ.

لَمْ يَكُنْ مِنَ الخُطَبَاءِ حَتَّى إِنَّهُ ارْتُجَّ عَلَيْهِ فِي أَوَّلِ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا.

---

(١) طبقات ابن سعد.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) و(٤) المصدر السّابق نفسه.

وَعُثْمَانُ أَوَّلُ خَلِيفَةٍ زَادَ النَّاسَ فِي أُعْطِيَاتِهِمْ مِائَةً، وَكَانَ عُمَرُ يَجْعَلُ لِكُلِّ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ (مَوْلُودَة) مِنْ أَهْلِ الفَيْءِ فِي رَمَضَانَ دِرْهَماً فِي كُلِّ يَوْمٍ، وَفَرَضَ لِأَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، دِرْهَمَيْنِ. فَقِيلَ لَهُ: لَوْ صَنَعْتَ طَعَاماً فَجَمَعْتَهُمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: أُشْبِعُ النَّاسَ فِي بُيُوتِهِمْ. فَأَقَرَّ عُثْمَانُ الَّذِي كَانَ صَنَعَ عُمَرُ، وَزَادَ فَوَضَعَ طَعَامَ رَمَضَانَ، فَقَالَ: لِلْمُتَعَبِّدِ الَّذِي يَتَخَلَّفُ فِي المَسْجِدِ، وَابنِ السَّبِيلِ، وَالمُعْتَرِّينَ مِنَ النَّاسِ.

عَنِ الحَسَنِ قَالَ: رَأَيْتُ عُثْمَانَ نَائِماً فِي المَسْجِدِ، وَرِدَاؤُهُ تَحتَ رَأْسِهِ، فَيَجِيءُ الرَّجُلُ فَيَجْلِسُ إِلَيْهِ، ثُمَّ يَجِيءُ الرَّجُلُ فَيَجْلِسُ إِلَيْهِ، فَيَجْلِسُ كَأَنَّهُ أَحَدُهُمْ.

وَعَنْ خَيْثَمَةَ قَالَ: رَأَيْتُ عُثْمَانَ نَائِماً فِي المَسْجِدِ فِي مَلْحَفَةٍ لَيْسَ حَوْلَهُ أَحَدٌ، وَهُوَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ.

وَفِي رِوَايَةٍ: رَأَيْتُ عُثْمَانَ يَقِيلُ فِي المَسْجِدِ، وَيَقُومُ وَأَثَرُ الحَصَا فِي جَنْبِهِ، فَيَقُولُ النَّاسُ: هَذَا أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ.

كَانَتِ الأَرْزَاقُ فِي زَمَنِ عُثْمَانَ دَارَّةً وَالخَيْرُ كَثِيرٌ.

١ ـ **اللِّينُ**: كَانَ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَيِّناً عَلَى

رَعِيَّتِهِ حَتَّى أَصْبَحَ يَخْشَاهُمْ لِكَثْرَةِ لِينِهِ، عَطُوفاً عَلَى أُمَّتِهِ، يَخَافُ أَنْ يُصَابَ أَحَدٌ دُونَ عِلْمِهِ فَلاَ يَتَمَكَّنُ مِنْ تَلْبِيَةِ حَاجَتِهِ، دَائِمَ الصِّلَةِ لِرَحِمِهِ، يَتَفَقَّدُ جِوَارَهُ، وَيَسْأَلُ عَنِ النَّاسِ أَيْنَمَا كَانَ.

٢ ـ لِبَاسُ عُثْمَانَ:

● عَنْ مَحْمُودِ بنِ لَبِيدٍ: أَنَّهُ رَأَى عُثْمَانَ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ، عَلَيْهِ ثَوْبَانِ أَصْفَرَانِ، لَهُ غَدِيرَتَانِ.

● عَنِ الحَكَمِ بنِ الصَّلْتِ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: رَأَيْتُ عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ يَخْطُبُ وَعَلَيْهِ خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ، وَهُوَ مَخْضُوبٌ بِحِنَّاءٍ.

● عَنِ الأَحْنَفِ بنِ قَيْسٍ قَالَ: رَأَيْتُ عَلَى عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ مَلاَءَةً صَفْرَاءَ.

● عَنْ مُوسَى بنِ طَلْحَةَ قَالَ: رَأَيْتُ عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَصَّرَانِ.

● عَنْ مُحَمَّدِ بنِ رَبِيعَةَ بنِ الحَارِثِ قَالَ: كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يُوسِعُونَ عَلَى نِسَائِهِمْ الَّذِي يُصَانُ وَيُتَجَمَّلُ بِهِ، ثُم يَقُولُ: رَأَيْتُ عَلَى عُثْمَانَ مُطْرَفَ

خزٌّ ثَمَنَ مِائَتَيْ دِرْهَمٍ، فَقَالَ: هَذَا لِنَائِلَةَ كَسَوْتُهَا إِيَّاهُ فَأَنَا أَلْبَسُهُ أَسُرُّهَا بِهِ.

● عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ شَدَّادٍ قَالَ: رَأَيْتُ عُثْمَانَ يَوْمَ الجُمُعَةِ يَخْطُبُ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ، وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ قِيمَتُهُ أَرْبَعَةُ دَرَاهِمَ أَوْ خَمْسَةٌ[(١)].

● وَعَنِ الحَسَنِ قَالَ ـ وَقَدْ سَأَلَهُ رَجُلٌ ـ: مَا كَانَ رِدَاءُ عُثْمَانَ؟ قَالَ: قَطَرِيٌّ، قَالَ: كَمْ ثَمَنُهُ؟ قَالَ: ثَمَانِيَةُ دَرَاهِمَ، قَالَ: مَا كَانَ قَمِيصُهُ؟ قَالَ: سُنْبُلَانِي، قَالَ: كَمْ ثَمَنُهُ؟ قَالَ: ثَمَانِيَةُ دَرَاهِمَ. قَالَ: وَنَعْلاَهُ مُعَقَّبَتَانِ، مُخْصِرَتَانِ، لَهُمَا قِبَالاَنِ[(٢)].

٣ ـ **طَعَامُ عُثْمَانَ**: عَنْ عَمْرِو بنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ قَالَ: إِنَّ قُرَيْشاً كَانَ مَنْ أَسَنَّ مِنْهُمْ مُولَعاً بِأَكْلِ الخَزِيرَةِ[(٣)]، وَإِنِّي كُنْتُ أَتَعَشَّى مَعَ عُثْمَانَ خَزِيراً مِنْ طَبْخٍ مِنْ أَجْوَدِ مَا

---

(١) الرياض النضرة.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) الخزيرة: قطع اللحم تسلق حتى تنضج تماماً، ثم يذر عليها الدقيق، وتعصد به، ثم يضاف لها السمن واللبن.

رَأَيْتُ قَطُّ، فِيهَا بُطُونُ الغَنَمِ، وَأُدْمُهَا اللَّبَنُ وَالسَّمْنُ. فَقَالَ عُثْمَانُ: كَيْفَ تَرَى هَذَا الطَّعَامَ؟ فَقُلْتُ: هَذَا أَطْيَبُ مَا أَكَلْتُ قَطُّ، فَقَالَ: يَرْحَمُ اللَّهُ ابنَ الخَطَّابِ، أَكَلْتَ مَعَهُ هَذِهِ الخَزِيرَةِ قَطُّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَكَادَتِ اللُّقمَةُ تَفْرُثُ[1] بَيْنَ يَدِي حِينَ أَهْوِي بِهَا إِلَى فَمِي، وَلَيْسَ فِيهَا لَحْمٌ، وَكَانَ أُدْمُهَا السَّمْنُ، وَلاَ لَبَنَ فِيهَا. فَقَالَ: صَدَقْتَ، إِنَّ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَتْعَبَ وَاللَّهِ مَنْ تَبعَ أَثَرَهُ، وَأَنَّهُ كَانَ يَطْلُبُ بِثَنْيِهِ عَنْ هَذِهِ الأُمُورِ ظَلَفاً[2]. أَمَا وَاللَّهِ مَا آكُلُهُ مِنْ مَالِ المُسْلِمِينَ، وَلَكِنِّي آكُلُهُ مِنْ مَالِي، أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ مِنْ أَكْثَرِ قُرَيْشٍ مَالاً، وَأَجَدُّهُمْ فِي التِّجَارَةِ، وَلَمْ أَزَلْ آكُلُ مِنَ الطَّعَامِ مَالاَنَ مِنْهُ، وَقَدْ بَلَغْتُ سِنّاً، فَأَحَبُّ الطَّعَامِ إِلَيَّ أَلْيَنُهُ، وَلاَ أَعْلَمُ لِأَحَدٍ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ تَبِعَةً.

● وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَامِرٍ قَالَ: كُنْتُ أَفْطُرُ مَعَ عُثْمَانَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَكَانَ يَأْتِينَا بِطَعَامٍ هُوَ أَلْيَنُ مِنْ طَعَامِ عُمَرَ، قَدْ رَأَيْتُ عَلَى مَائِدَةِ عُثْمَانَ الدَّرْمَكَ[3]،

---

(١) تفرث: تتفتت.
(٢) الظلف: شدّة المعيشة.
(٣) الدرمك: الدقيق المنخول.

وَصِغَارَ الضَّأْنِ كُلَّ لَيْلَةٍ، وَمَا رَأَيْتُ عُمَرَ قَطُّ أَكَلَ مِنَ الدَّقِيقِ مَنخُولاً، وَلاَ أَكَلَ مِنَ الغَنَمِ إِلاَّ مَسَانَّهَا. فَقُلْتُ لِعُثْمَانَ فِي ذَلِكَ. فَقَالَ: يَرْحَمُ اللَّهُ عُمَرَ، وَمَنْ يَطِيقُ مَا كَانَ عُمَرُ يَطِيقُ.

● عَنْ شُرَحْبِيلَ بنِ مُسْلِمٍ قَالَ: كَانَ عُثْمَانُ يُطْعِمُ النَّاسَ طَعَامَ الإِمَارَةِ، وَيَأْكُلُ الخَلَّ وَالزَّيْتَ[١].

٤ - **عِبَادَةُ عُثْمَانَ**: كَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَثِيرَ العِبَادَةِ، يَصُومُ النَّهَارَ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ.

عَنْ مُحَمَّدِ بنِ سِيرِينَ قَالَ: كَانَ عُثْمَانُ يُحْيِي اللَّيْلَ كُلَّهُ بِرُكْعَةٍ يَجْمَعُ فِيهَا القُرْآنَ[٢].

وَعَنْهُ قَالَ: قَالَتِ امْرَأَةُ عُثْمَانَ - حِينَ طَافُوا بِهِ يُرِيدُونَ قَتْلَهُ - إِنْ يَقْتُلُوهُ أَوْ يَتْرُكُوهُ فَإِنَّهُ كَانَ يُحْيِي اللَّيْلَ كُلَّهُ بِرُكْعَةٍ يَجْمَعُ فِيهَا القُرْآنَ[٣].

وَعَنْ عُثْمَانَ بنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ التَّيْمِيِّ قَالَ: قُلْتُ لأَغْلِبَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى المَقَامِ، قَالَ: فَلَمَّا صَلَّيْنَا العِتْمَةَ

---

(١) الرياض النضرة.

(٢) و(٣) المصدر السابق نفسه.

تَخلَّصْتُ إِلَى المَقَامِ حَتَّى قُمْتُ فِيهِ قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا رَجُلٌ وَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ، فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ، فَبَدَأَ بِأُمِّ القُرْآنِ حَتَّى خَتَمَ القُرْآنَ فَرَكَعَ وَسَجَدَ، ثُمَّ أَخَذَ نَعلَيْهِ، فَلاَ أَدْرِي صَلَّى قَبْلَ ذَلِكَ شَيْئَاً أَمْ لاَ؟[1].

عَنْ مُوْلاَةٍ لِعُثْمَانَ قَالَتْ: كَانَ عُثْمَانُ يَصُومُ الدَّهْرَ.

وَعَنِ الزُّبَيْرِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ جَدَّتِهِ قَالَتْ: كَانَ عُثْمَانُ يَصُومُ الدَّهْرَ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ إِلاَّ هَجْعَةً مِنْ أَوَّلِهِ.

وَعَنْ عُثْمَانَ بنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ التَّيْمِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لأَغْلِبَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى المَقَامِ فَقُمْتُ فَلَمَّا قُمْتُ إِذَا بِرَجُلٍ مُتَقَنِّعٍ زَحَمَنِي فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ فَتَأَخَّرْتُ فَإِذَا هُوَ يَسْجُدُ سُجُودَ القُرْآنِ، حَتَّى إِذَا قُلْتُ: هَذِهِ هَوادِيَ الفَجْرِ أَوْتَرَ بِرُكْعَةٍ لَمْ يُصَلِّ غَيْرَهَا، ثُمَّ انْطَلَقَ.

وَعَنْ عُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ـ بَعْدَ أَنْ بَلَغَهُ مَا قَالَهُ ابنُ عَدَسٍ البَلِوِيِّ عَنْهُ ـ كَذَبَ وَاللَّهِ ابنُ عَدَسٍ، لَوْلاَ مَا ذَكَرَ مَا ذَكَرْتُ ذَلِكَ، إِنِّي وَاللَّهِ لَرَابِعُ أَرْبَعَةٍ فِي

---

(١) الرياض النضرة.

الإِسْلاَمِ، وَأَنْكَحَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ابْنَتَهُ، ثُمَّ تُوفِّيَتْ فَأَنْكَحَنِي ابْنَتَهُ الأُخْرَى، مَا زَنَيْتُ وَلاَ سَرَقْتُ فِي الجَاهِلِيَّةِ وَلاَ فِي الإِسْلاَمِ، وَلاَ تَغَنَّيْتُ وَلاَ تَمَنَّيْتُ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلاَ مَسَسْتُ فَرْجِي بِيَمِينِي مُنْذُ بَايَعْتُ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَلَقَدْ جَمَعْتُ القُرْآنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلاَ أَتَتْ جُمُعَةٌ إِلاَّ وَلَنَا عِتْقُ رَقَبَةٍ مُنْذُ أَسْلَمْتُ إِلاَّ أَنْ لاَ أَجِدَ تِلْكَ الجُمُعَةَ، فَأَجْمَعُهَا فِي الجُمُعَةِ الثَّانِيَةِ(١).

٥ ـ **الخَوْفُ مِنَ اللَّهِ**: كَانَ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَثِيرَ الخَشْيَةِ مِنَ اللَّهِ. مَا يَقُومُ بِعَمَلٍ إِلاَّ وَيَتَصَوَّرُ أَمَامَهُ يَوْمَ الحِسَابِ، وَلاَ يَرَى مَنْظَراً إِلاَّ وَيَتَذَكَّرُ السُّؤَالَ، وَمَا يُشَاهِدُ عَاجِزاً أَوْ صَغِيراً إِلاَّ وَيَشْعُرُ بِالمَسْؤُولِيَّةِ.

رُوِيَ عَنْ ذِي النُّورَيْنِ أَنَّهُ قَالَ: لَوْ أَنِّي بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ لاَ أَدْرِي إِلَى أَيِّهِمَا يُؤْمَرُ بِي لاَخْتَرْتُ أَنْ أَكُونَ رَمَاداً قَبْلَ أَنْ أَعْلَمَ إِلَى أَيِّهِمَا أَصِيرُ.

---

(١) الرياض النضرة.

وَعَنْ أَبِي الفُرَاتِ قَالَ: كَانَ لِعُثْمَانَ عَبْدٌ فَقَالَ لَهُ: إنِّي كُنْتُ عَرَكْتُ أُذُنَكَ فَاقْتَصَّ مِنِّي، ثُمَّ قَالَ عُثْمَانُ: اشْدُدْ يَا حَبَذَا قِصَاصٌ فِي الدُّنْيَا لاَ قِصَاصٌ فِي الآخِرَةِ[1].

٦ ـ **الجُودُ:** كَانَ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثَرِيّاً، وَكَانَ صَاحِبَ تِجَارَةٍ رَائِجَةٍ، وَيَتَعَهَّدُهَا بِاسْتِمْرَارٍ، فَتَدرُّ عَلَيْهِ أَرْبَاحاً كَبِيرَةً، فَيَعِيشُ عَيْشَةَ نَعِيمٍ، وَيُعْطِي ذَوِي رَحِمَهُ مِنْ مَالِهِ الكَثِيرِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ مَصَارِفَ ثَانِيَةٍ إِذْ كَانَ بَعِيداً عَنْ كُلِّ مَا يُضِيعُ المَالَ وَيُتْلِفُهُ حَتَّى فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَهَذَا مَا حَفِظَ لَهُ مَالَهُ. فَلَمَّا جَاءَ الإِسْلاَمُ وَدَخَلَ فِيهِ، صَارَ يُنْفِقُ عَلَى الدَّعْوَةِ مِنْ مَالِهِ، وَلَمْ يُقَصِّرْ فِي جَانِبٍ، وَقَدْ رَأَيْنَا شِرَاءَهُ قِطْعَةَ أَرْضٍ بِجَانِبِ المَسْجِدِ لإِضَافَتِهَا إِلَيْهِ وَتَوْسِعَتِهِ، وَشِرَاءَهُ بِئْرَ رُوْمَةَ وَجَعْلِهَا سَبِيلاً لِلْمُسْلِمِينَ، وَتَجْهِيزَهُ جَيْشَ العُسْرَةِ.

وَجَاءَتِ الفُتُوحُ، وَجَاءَتِ الغَنَائِمُ وَأَمْوَالُ الخَرَاجِ فَلَمْ يَعُدْ تَجْهِيزُ جُيُوشِ الدَّعْوَةِ، وَلاَ المَشْرُوعَاتِ بِحَاجَةٍ إِلَى

---

(١) الرياض النضرة.

عُثْمَانَ أَوْ غَيْرِهِ، بَلْ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ عَامَّةً أَصْبَحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي غِنَىً، فَأَخَذَتْ أَمْوَالُ عُثْمَانَ تَتَزَايَدُ، فَكَانَ يُنْفِقُ فِي كُلِّ جِهَةٍ، وَأَوَّلُ هَذِهِ الْجِهَاتِ أَقْرِبَاؤُهُ إِذْ كَانَ يَبَرُّهُمْ وَخَاصَّةً عِنْدَمَا آلَتْ إِلَيْهِ إِمْرَةُ الْمُؤْمِنِينَ، كَصِلَةِ رَحِمٍ وَهُوَ مَا يَأْمُرُ بِهِ الإِسْلاَمُ، وَكَنَوْعٍ مِنَ التَّرْبِيَةِ حَيْثُ لَمْ يَتَرَفَّعْ عَنْهُمْ بِإِمْرَتِهِ، وَلَمْ تَنْسَهُمْ خِلاَفَتُهُ، وَتَعْلِيمٍ لِلآخَرِينَ، وَإِنْ كَانَ خُصُومُهُ مِنْ أَعْدَاءِ الإِسْلاَمِ قَدْ أَشَاعُوا أَنَّهُ يُفَضِّلُ أَقْرِبَاءَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ، وَيُقَدِّمُهُمْ عَلَى سِوَاهُمْ، وَيُعْطِيهِمْ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ لاَ مِنْ مَالِهِ الخَاصِّ، وَالعَامَّةُ بَعْدَ مَرْحَلَةِ صَدْرِ الإِسْلاَمِ يَعْرِفُونَ مَا كُتِبَ لَهُمْ، وَلاَ يَعْلَمُونَ الأَهْدَافَ الخَبِيثَةَ لِلأَعْدَاءِ مِنْ وَرَاءِ كِتَابَتِهِمْ، وَلاَ الأَسَالِيبَ الَّتِي يَتَّخِذُهَا أَصْحَابُ النَّوَايَا السَّيِّئَةِ فَيُصَدِّقُونَ، وَلَكِنْ مَنْ يَنْظُرُ فِي حَيَاةِ ذِي النُّورَيْنِ يَرْفُضُ الشَّائِعَاتِ الْمُغْرِضَةِ وَالكُتُبَ الَّتِي تُدَوِّنُ تِلْكَ الشَّائِعَاتِ بِأَسَالِيبَ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ قَصَصٍ، وَشِعْرٍ و. . . . وَمِنْ أَمْثِلَةِ جُودِ ذِي النُّورَيْنِ بَعْدَ عَصْرِ النُّبُوَّةِ.

• كَانَ لِعُثْمَانَ عَلَى طَلْحَةَ خَمْسُونَ أَلْفاً، فَخَرَجَ عُثْمَانُ يَوْماً إِلَى الْمَسْجِدِ، فَقَالَ لَهُ طَلْحَةُ: قَدْ تَهَيَّأَ مَالُكَ

فَاقْبِضْهُ، قَالَ: هُوَ لَكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ مَعُونَةً لَكَ عَلَى مُرُوءَتِكَ.

● عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَحِطَ النَّاسُ فِي زَمَانِ أَبِي بَكْرٍ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لاَ تُمْسُونَ حَتَّى يُفَرِّجَ اللَّهُ عَنْكُمْ. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ جَاءَ البَشِيرُ إِلَيْهِ. قَالَ: لَقَدْ قَدِمَتْ لِعُثْمَانَ أَلْفُ رَاحِلَةٍ بُرّاً وَطَعَاماً، قَالَ: فَغَدَا التُّجَّارُ عَلَى عُثْمَانَ فَقَرَعُوا عَلَيْهِ البَابَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ، وَعَلَيْهِ مَلاَءَةٌ قَدْ خَالَفَ بَيْنَ طَرَفَيْهَا عَلَى عَاتِقِهِ. فَقَالَ لَهُمْ: مَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: قَدْ بَلَغَنَا أَنَّهُ قَدِمَ لَكَ أَلْفُ رَاحِلَةٍ بُرّاً وَطَعَاماً. بِعْنَا حَتَّى نُوسِعَ عَلَى فُقَرَاءِ المَدِينَةِ. فَقَالَ لَهُمْ عُثْمَانُ: ادْخُلُوا، فَدَخَلُوا، فَإِذَا أَلْفُ وِقْرٍ قَدْ صَدَّتْ فِي دَارِ عُثْمَانَ، فَقَالَ لَهُمْ: كَمْ تُرْبِحُونِي عَلَى شِرَائِي مِنَ الشَّامِ. قَالُوا: العَشْرَةُ اثْنَيْ عَشَرَ. قَالَ: قَدْ زَادُونِي. قَالُوا: العَشْرَةُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ. قَالَ: قَدْ زَادُونِي. قَالُوا: العَشْرَةُ خَمْسَةَ عَشَرَ. قَالَ: قَدْ زَادُونِي. قَالُوا: مَنْ زَادَكَ وَنَحْنُ تُجَّارُ المَدِينَةِ؟ قَالَ: زَادُونِي بِكُلِّ دِرْهَمٍ عَشَرَةً[1]. هَلْ

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ=

عِنْدَكُمْ زِيَادَةٌ؟ قَالُوا: لاَ. قَالَ: فَأُشْهِدُكُمْ مَعْشَرَ التُّجَّارِ أَنَّهَا صَدَقَةٌ عَلَى فُقَرَاءِ المَدِينَةِ.

٧ ـ **الاهْتِمَامُ بِالرَّعِيَّةِ**: كَانَ عُثْمَانُ يُلْزِمُ عُمَّالَهُ حُضُورَ المَوْسِمِ كُلَّ عَام، وَيَكْتُبُ إِلَى الرَّعَايَا: مَنْ كَانَتْ لَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَظْلَمَةٌ فَلْيُوَافِ إِلَى المَوْسِمِ، فَإِنِّي آخِذٌ لَهُ حَقَّهُ مِنْ عَامِلِهِ[(١)].

عَنْ سُلَيْمَانَ بنِ مُوسَى: أَنَّ عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ دُعِيَ إِلَى قَوْمٍ كَانُوا عَلَى أَمْرٍ قَبِيحٍ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ، فَوَجَدَهُمْ قَدْ تَفَرَّقُوا، وَرَأَى أَمْرَاً قَبِيحَاً، فَحَمِدَ اللَّهَ إِذْ لَمْ يُصَادِفْهُمْ، وَأَعْتَقَ رَقَبَةً.

كَانَ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَثِيرَ السُّؤَالِ عَنْ أَحْوَالِ الرَّعِيَّةِ، فِي السُّوقِ، وَفِي المَسْجِد، قَبْلَ الصَّلاَةِ، وَبَعْدَ انْقِضَائِهَا، يَسْأَلُ عَنْ أَحْوَالِهِمْ، وَمَعَاشِهِمْ، وَقَضَايَاهُمْ.

= ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة ٢٦١]. وإلى قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾. [الأنعام ١٦٠].

(١) البداية والنهاية.

٨ ـ **الحَيَاءُ**: أَخْبَرَ سَعِيدُ بنُ العَاصِ أَنَّ عَائِشَةَ، وَعُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا، حَدَّثَاهُ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ ﷺ، وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى فِرَاشِهِ، لاَبِسٌ مِرْطَ عَائِشَةَ، فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، فَقَضَى إِلَيْهِ حَاجَتَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ. ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الحَالِ، فَقَضَى إِلَيْهِ حَاجَتَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ. ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ عُثْمَانَ، فَجَلَس، وَقَالَ لِعَائِشَةَ: اجْمَعِي عَلَيْكِ ثِيَابَكِ، فَقَضَى إِلَيْهِ حَاجَتَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ. قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ أَرَكَ فَزِعْتَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ كَمَا فَزِعْتَ لِعُثْمَانَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ عُثْمَانَ رَجُلٌ حَيِيٌّ، وَإِنِّي خَشِيتُ إِنْ أَذِنْتُ لَهُ عَلَى تِلْكَ الحَالِ، لاَ يُبْلِغُ إِلَيَّ حَاجَتَهُ).

٩ ـ **الشَّجَاعَةُ**: يُعَدُّ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنَ الشُّجْعَانِ إِذْ لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ غَزْوَةٍ، بَلْ كَانَ مِنْ أَوَائِلِ الَّذِينَ يُلَبُّونَ نِدَاءَ الجِهَادِ، وَلَكِنَّ النَّاسَ لاَ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ القُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ رَغْمَ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ بَوْنٍ، فَالقُوَّةُ تَرْتَبِطُ بِالجِسْمِ وَعَضَلاَتِهِ وَالشَّجَاعَةُ تَتَعَلَّقُ بِالقَلْبِ، وَانْفِعَالاَتِهِ، أَوْ القُوَّةُ جَانِبٌ مَادِيٌّ وَالشَّجَاعَةُ أَمْرٌ مَعْنَوِيٌّ.

فَرُبَّمَا كَانَ الجِسْمُ مَتِيناً قَوِيّاً وَلَكِنْ لاَ يَجْرُؤُ صَاحِبُهُ السَّيْرَ وَحْدَهُ لَيْلاً فَهَذَا جَبَانٌ وَإِنْ كَانَ قَوِيّاً، وَرُبَّمَا كَانَ البَدَنُ هَزِيلاً ضَعِيفاً غَيْرَ أَنَّ صَاحِبَهُ يَمْلِكُ مِنَ الجُرأَةِ الشَّيْءَ الكَثِيرَ، وَمِنَ الإِقْدَامِ مَا يَفُوقُ بِهِ أَشَدَّ الأَقْوِيَاءِ، فَهَذَا شُجَاعٌ وَإِنْ كَانَ ضَعِيفاً تَرَاهُ يَرْمِي بِنَفْسِهِ فِي قَلْبِ المَعْرَكَةِ لاَ يُبَالِي، وَيَقْتَحِمُ بِجَوَادِهِ المَخَاطِرَ دُونَ اهْتِمَامٍ بِمَنْ يَقِفُ أَمَامَهُ حَتَّى لَتَهَابُهُ الشُّجْعَانُ وَتَخَافُهُ الأَبْطَالُ، وَقَدِيماً قَالَ الشَّاعِرُ:

تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيلَ فَتَزْدَرِيهِ
وَفِي أَثْوَابِهِ أَسَدٌ هَصُورُ
وَيُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ فَتَبْتَلِيهِ
فَيُخْلِفُ ظَنَّكَ الرَّجُلُ الطَّرِيرُ
ضِعَافُ الأُسْدِ أَكْثَرُهَا زَئِيراً
وَأَصْرَمُهَا اللَّوَاتِي لاَ تَزِيرُ

وَلَمَّا كَانَتْ قُوَّةُ الجِسْمِ وَبُنْيَتُهُ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ وَلاَ عَلاَقَةَ لِصَاحِبِهِ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا، لِذَا لاَ يُمْكِنُ أَنْ نُطَالِبَ الرَّجُلَ الهَزِيلَ ذَا البُنْيَةِ الضَّعِيفَةِ أَنْ يَكُونَ قَائِداً مِغْوَاراً

يَخُوضُ غُبَارَ الحَرْبِ وَهُوَ يَبْتَسِمُ، وَيَنْثَنِي وَسِنَانُ رُمْحِهِ يَلْتَهِبُ مِنَ الطِّعَانِ، يَتَحَرَّكُ يَمْنَةً فَيَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَيَنْثَنِي يَسْرَةً فَيَطْعَنُ بِالرُّمْحِ، وَيَتَقَدَّمُ إِلَى الأَمَامِ وَيَتَلَقَّى بِتُرْسِهِ الضَّرْبَاتِ، وَيَخْتَرِقُ صُفُوفَ الأَعْدَاءِ وَيَعْمِلُ فِيهِمْ حَصْداً. كَيْفَ نَطْلُبُ هَذَا منْ صَاحِبِ جِسْمٍ ضَعِيفٍ وَذِي بُنْيَةٍ غَيْرِ مَتِينَةٍ، فَبَدَنُهُ لاَ يُسَاعِدُهُ عَلَى الحَرَكَةِ، وَجَسَدُهُ لاَ يَقْوَى عَلَى هَذَا، كَما أَنَّهُ مِنْ غَيْرِ العَدْلِ بَلِ الظُّلْمُ كُلُّ الظُّلْمِ أَنْ نَتَّهِمَهُ بِالجُبْنِ.

إِنَّ طَبِيعَةَ جِسْمِ عُثْمَانَ لاَ تُؤَهِّلُهُ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي عُبَيْدَةَ، وَإِنَّ طَبِيعَتَهُ الهَادِئَةَ لاَ تُخَوِّلُهُ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ الحَمْزَةِ، وَإِنَّ لِينَهُ لاَ يَجْعَلُهُ يَقُومُ مَقَامَ خَالِدٍ.

فَالجُبْنُ إِذَنْ هُوَ الخَوْفُ مِنَ النِّزَالِ وَهُوَ صِفَةٌ لاَ تَوْجَدُ بَيْنَ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ كَانُوا جَمِيعاً لاَ يَهَابُونَ المَوْتَ بَلْ يَتَمَنَّوْنَ الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَيْ يَصِلُوا إِلَى الجَنَّةِ، وَهِيَ أَكْبَرُ أَمَانِيهِمْ. وَعُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خَاضَ غِمَارَ المَعَارِكِ كُلِّهَا، لَمْ يَتَوَانَ فِي مَعْرَكَةٍ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ غَزْوَةٍ، فَكَيْفَ يُتَّهَمُ بِالجُبْنِ، إِنَّ

مَنْ يَتَّهِمُهُ لَيْسَ سِوَى مُغْرِضٍ، أَوْ مُفْتَرٍ. وَإِذَا كَانَ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ بَدْرٍ فَذَاكَ بِأَمْرٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَمَا سَبَقَ أَنْ ذَكَرْنَا، وَإِذَا انْسَحَبَ فِي أُحُدٍ فَإِنَّما كَانَ انْسِحَابُهُ مَعَ الأَكْثَرِيَّةِ، وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يَثْبُتَ وَحْدَهُ، وَلَوْ فَعَلَ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ شَجَاعَةً بَلِ انْتِحَاراً حَيْثُ يَكُونُ قَدْ رَمَى نَفْسَهُ بِالتَّهْلُكَةِ إِذْ تَرَاجَعَتِ الأَكْثَرِيَّةُ بَلْ وَرَاجَتِ الشَّائِعَاتُ عَنْ مَقْتَلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَاشتِرَاكُهُ فِي المَعَارِكِ، وَمُبَادَرَتُهُ إِلَيْهَا، وَمُوَاجَهَتُهُ الخَصْمَ دَلِيلُ شَجَاعَتِهِ.

وَالشَّجَاعَةُ فِي القِتَالِ أَنْوَاعٌ مِنْهَا:

أُولَئِكَ الَّذِينَ عِنْدَهُمْ طَبِيعَةُ الحَرَكَةِ يَنْتَقِلُونَ فِي المَعْرَكَةِ مِنْ مَوْقِعٍ إِلَى آخَرَ يَحْصُدُونَ فِي العَدُوِّ حَصَداً، وَيَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ يُرْهِبُونَ الخَصْمَ، وَيُوقِعُونَ الخَوْفَ فِي نُفُوسِ مُقَاتِلِيهِ وَمِنْ هَؤُلاَءِ الحَمْزَةُ، وَعَلِيٌّ، وَخَالِدٌ.

وَمِنْهُمْ أُولَئِكَ الرِّجَالُ الأَشِدَّاءُ الأَقْوِيَاءُ أَصْحَابُ السُّمْعَةِ فِي القُوَّةِ وَالبُطُولَةِ، وَقَدْ يَضَعُ الوَاحِدُ مِنْهُمْ عَلاَمَةً عَلَى رَأْسِهِ فَتَهَابُهُ الأَبْطَالُ وَتَخْشَاهُ صَنَادِيدُ الرِّجَالِ، وَيُقَالُ لَهُ: الفَارِسُ المُعَلَّمُ، كَالحَمْزَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الَّذِي

كَانَ يَضَعُ عَلَى رَأْسِهِ يَوْمَ أُحُدٍ رِيشَةً كَعَلاَمَةٍ لَهُ إِشَارَةً إِلَى عَدَمِ خَوْفِهِ مِنْ أَحَدٍ كَأَنَّهُ يَدْعُو لِلنِّزَالِ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُجَرِّبَ رُجُولَتَهُ، وَيَتَحَدَّى أَنْ يَقْتَرِبَ مِنْهُ مَنْ يَدَّعِي الْبُطُولَةَ، وَكَثِيراً مَا تَتَحَاشَى الصَّنَادِيدُ الفَارِسَ الْمُعَلَّمَ، حَيْثُ لَمْ يُعَلِّمْ نَفْسَهُ مِنْ فَرَاغٍ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ أَهْلاً لِذَلِكَ لَمَا تَحَدَّى، وَدَخَلَ المَعْرَكَةَ مُعَلَّماً.

وَلَعَلَّنَا نَذْكُرُ هُنَا الدِّعَايَةَ الوَاسِعَةَ فِي الشَّجَاعَةِ الَّتِي نَالَهَا خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ بَعْدَ إِسْلاَمِهِ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى أَعْدَائِهِ الفُرْسِ وَالرُّومِ فَغَدَوْا يَهَابُونَهُ وَيَخَافُونَ نِزَالَهُ، وَرُبَّمَا كَانَ مِنَ المُفِيدِ أَنْ نَذْكُرَ هُنَا مَا قَالَهُ القَائِدُ الرُّومِيُّ «جَرَجَةَ» فِي اليَرْمُوكِ، وَأَسْلَمَ بَعْدَهَا: «وَخَرَجَ جَرَجَةَ حَتَّى كَانَ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ، وَنَادَى: لِيَخْرُجْ إِلَيَّ خَالِدُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ خَالِدُ، وَأَقَامَ مَكَانَهُ أَبَا عُبَيْدَةَ، فَوَافَقَهُ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ حَتَّى اخْتَلَفَتْ أَعْنَاقُ دَابَّتَيْهِمَا، وَقَدْ أَمَّنَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، فَقَالَ جَرَجَةُ: يَا خَالِدُ اصْدُقْنِي وَلاَ تَكْذِبْنِي فَإِنَّ الحُرَّ لاَ يَكْذِبُ، وَلاَ تُخَادِعْنِي فَإِنَّ الكَرِيمَ لاَ يُخَادِعُ المُسْتَرْسِلَ بِاللَّهِ، هَلْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّكُمْ سَيْفاً مِنَ السَّمَاءِ فَأَعْطَاكَهُ، فَلاَ تَسُلُّهُ عَلَى قَوْمٍ إِلاَّ هَزَمْتَهُمْ؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: فَبِمَ سُمِّيتَ

سَيْفَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ فِينَا نَبِيَّهُ ﷺ، فَدَعَانَا فَنَفَرْنَا عَنْهُ وَنَأَيْنَا عَنْهُ، جَمِيعاً. ثُمَّ إِنَّ بَعْضَنَا صَدَّقَهُ وَتَابَعَهُ، وَبَعْضَنَا بَاعَدَهُ وَكَذَّبَهُ، فَكُنْتُ فِيمَنْ كَذَّبَهُ وَبَاعَدَهُ وَقَاتَلَهُ. ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ أَخَذَ بِقُلُوبِنَا وَنَوَاصِينَا فَهَدَانَا بِهِ، فَتَابَعْنَاهُ. فَقَالَ: أَنْتَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، وَدَعَا لِي بِالنَّصْرِ، فَسُمِّيتُ سَيْفَ اللَّهِ بِذَلِكَ. فَأَنَا أَشَدُّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ. قَالَ: صَدَقْتَنِي، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ جَرَجَةَ: يَا خَالِدُ إِلاَمَ تَدْعُونِي؟ قَالَ: إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَالإِقْرَارِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، قَالَ: فَمَنْ لَمْ يُجِبْكُمْ؟ قَالَ: فَالجِزْيَةُ وَنَمْنَعُهُمْ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ يُعْطِهَا؟ قَالَ: نُؤْذِنُهُ بِحَرْبٍ، ثُمَّ نُقَاتِلُهُ. قَالَ: فَمَا مَنْزِلَةُ الَّذِي يَدْخُلُ فِيكُمْ وَيُجِيبُكُمْ إِلَى هَذَا الأَمْرِ؟ قَالَ: مَنْزِلَتُنَا وَاحِدَةٌ فِيمَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْنَا، شَرِيفُنَا وَوَضِيعُنَا، وَأَوَّلُنَا وَآخِرُنَا. ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ جَرَجَةُ: هَلْ لِمَنْ دَخَلَ فِيكُمُ الْيَوْمَ يَا خَالِدُ مِثْلَ مَا لَكُمْ مِنَ الأَجْرِ وَالذُّخْرِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَأَفْضَلُ، قَالَ: وَكَيْفَ يُسَاوِيكُمْ وَقَدْ سَبَقْتُمُوهُ؟ قَالَ: إِنَّا دَخَلْنَا فِي هَذَا الأَمْرِ، وَبَايَعْنَا، نَبِيَّنَا ﷺ، وَهُوَ حَيٌّ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، تَأْتِيهِ

أَخْبَارُ السَّمَاءِ، وَيُخْبِرُنَا بِالكُتُبِ، وَيُرِينَا الآيَاتِ، وَحُقَّ لِمَنْ رَأَى مَا رَأَيْنَا، وَسَمِعَ مَا سَمِعْنَا أَنْ يُسْلِمَ وَيُبَايِعَ، وَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ لَمْ تَرَوْا مَا رَأَيْنَا، وَلَمْ تَسْمَعُوا مَا سَمِعْنَا مِنَ العَجَائِبِ وَالحُجَجِ، فَمَنْ دَخَلَ فِي هَذَا الأَمْرِ مِنْكُمْ بِحَقِيقَةٍ وَنِيَّةٍ كَانَ أَفْضَلَ مِنَّا. قَالَ جَرَجَةُ: بِاللَّهِ لَقَدْ صَدَقْتَنِي، وَلَمْ تُخَادِعْنِي، وَلَمْ تَأَلَّفْنِي، قَالَ: بِاللَّهِ لَقَدْ صَدَقْتُكَ وَمَا بِي إِلَيْكَ وَلاَ إِلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ حَاجَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ لَوَلِيٌّ مَا سَأَلْتَ عَنْهُ. فَقَالَ: صَدَقْتَنِي، وَقَلَبَ التُّرْسَ وَمَالَ مَعَ خَالِدٍ، وَقَالَ: عَلِّمْنِي الإِسْلاَمَ، فَمَالَ بِهِ خَالِدٌ إِلَى فُسْطَاطِهِ، فَشَنَّ عَلَيْهِ قِرْبَةً مِنْ مَاءٍ، ثُمَّ صَلَّى رُكْعَتَيْنِ، وَحَمَلَتِ الرُّومُ مَعَ انْقِلاَبِهِ إِلَى خَالِدٍ، وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهَا مِنْهُ حَمْلَةٌ، فَأَزَالُوا المُسْلِمِينَ عَنْ مَوَاقِعِهِمْ إِلاَّ المُحَامِيَّةَ، عَلَيْهِمْ عِكْرِمَةُ وَالحَارِثُ بنُ هِشَامٍ، وَرَكِبَ خَالِدُ وَمَعَهُ جَرَجَةُ، وَالرُّومُ خِلاَلَ المُسْلِمِينَ، فَتَنَادَى النَّاسُ فَثَابُوا، وَتَرَاجَعَتِ الرُّومُ إِلَى مَوَاقِفِهِمْ، فَزَحَفَ خَالِدٌ بِالمُسْلِمِينَ حَتَّى تَصَافَحُوا مَعَ الرُّومِ بِالسُّيُوفِ، فَضَرَبَ فِيهِمْ خَالِدٌ وَجَرَجَةُ مِنْ لَدُنِ ارْتِفَاعِ النَّهَارِ إِلَى جُنُوحِ الشَّمْسِ لِلْغُرُوبِ، ثُمَّ أُصِيبَ جَرَجَةُ وَلَمْ يُصَلِّ

صَلاَةً سَجَدَ فِيْهَا إِلاَّ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ أَسْلَمَ عَلَيْهِمَا، وَصَلَّى النَّاسُ الأُولَى وَالعَصْرَ إِيمَاءً، وَتَضَعْضَعَ الرُّومُ[1].

بَلْ وَإِنَّ المُجَاهِدِينَ المُسْلِمِينَ لَيَرْغَبُونَ القِتَالَ تَحْتَ رَايَةِ ابنِ الوَلِيدِ لِسُرْعَةِ حَرَكَتِهِ وَضَرَبَاتِهِ الخَاطِفَةِ، وَرَهْبَةِ الأَعْدَاءِ مِنْهُ. وَإِذَا ادَّعَى بَعْضُهُمْ أَنَّ هَذَا كَانَ لِخَالِدٍ قَبْلَ إِسْلاَمِهِ فَهُوَ ادِّعَاءٌ بَاطِلٌ، صَحِيحٌ أَنَّهُ كَانَ بَطَلاً فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَهُوَ عَلَى خَيْلِ قُرَيْشٍ غَيْرَ أَنَّهُ عَلَى المُشْرِكِينَ دُونَ المُؤْمِنِينَ، وَإِنَّنَا لَنَذْكُرُ كَيْفَ فَرَّ مَعَ عِكْرِمَةَ وَفُرْسَانِهِمَا الأَرْبَعُونَ أَمَامَ الزُّبَيْرِ، وَالمِقْدَادِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. لَقَدْ فَرَّ أَرْبَعُونَ مِنَ المُشْرِكِينَ عَلَيْهِمَا فَارِسَا قُرَيْشٍ أَمَامَ فَارِسَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ. لَقَدْ كَانَ خَالِدٌ فَارِساً فِي الجَاهِلِيَّةِ فَلَمَّا أَسْلَمَ زَادَهُ إِسْلاَمُهُ جُرْأَةً، وَزَادَتْهُ طُمَأْنِينَتُهُ عَلَى نَتَائِجِ قِتَالِهِ بِدُخُولِ الجَنَّةِ حَمَاسَةً وَإِقْدَاماً، وَبِذَا ظَهَرَ، وَزَادَتْ هَيْبَتُهُ وَخَافَهُ الأَعْدَاءُ، وَصَارَتْ لَهُ الدِّعَايَةُ الوَاسِعَةُ. وَالفَرْقُ بَيْنَ قِتَالِ المُشْرِكِ وَجِهَادِ المُسْلِمِ كَالفَرْقِ بَيْنَ المَادَةِ وَالرُّوحِ.

---

(١) تاريخ الطبري.

وَهُنَاكَ أُنْمُوذَجٌ مِنَ الأَبْطَالِ الشُّجْعَانِ الَّذِينَ يَتَحَرَّكُونَ دُونَ مُبَاهَاةٍ وَيُجَنْدِلُونَ الصَّنَادِيدِ، وَيُكَفْكِفُونَ الفِرَقَ وَحَدْهُمْ مِنْ غَيْرِ صَوْتٍ، وَلَكِنْ جِسْمٌ يَتَحَرَّكُ، وَسَيْفٌ يَحْصُدُ، وَجُمُوعٌ تَفِرُّ أَمَامَهُ وَرُبَّمَا كَانَ الزُّبَيْرُ أَحَدَ هَذِهِ النَّمَاذِجِ. وَكَانَ فِيمَنْ شَهِدَ اليَرْمُوكَ، وَهُوَ أَفْضَلُ مَنْ هُنَاكَ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَكَانَ مِنْ فُرْسَانِ النَّاسِ وَشُجْعَانِهِمْ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الأَبْطَالِ يَوْمَئِذٍ، فَقَالُوا: أَلاَ تَحْمِلُ فَنَحْمِلُ مَعَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّكُمْ لاَ تَثْبُتُونَ، فَقَالُوا: بَلَى، فَحَمَلَ وَحَمَلُوا، فَلَمَّا وَاجَهُوا صُفُوفَ الرُّومِ أَحْجَمُوا وَأَقْدَمَ هُوَ فَاخْتَرَقَ صُفُوفَ الرُّومِ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الجَانِبِ الآخَرِ، وَعَادَ إِلَى أَصْحَابِهِ. ثُمَّ جَاؤُوا إِلَيْهِ مَرَّةً ثَانِيَةً، فَفَعَلَ كَمَا فَعَلَ فِي الأُولَى، وَجُرِحَ يَوْمَئِذٍ جُرْحَيْنِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ[١].

هَذِهِ النَّمَاذِجُ مِنَ الأَبْطَالِ هِيَ الَّتِي سُلِّطَتْ عَلَيْهَا الأَضْوَاءُ لِأَنَّ ذَلِكَ يَتَنَاسَبُ مَعَ طَبِيعَةِ الشَّبَابِ فَحَفِظُوهَا حَتَّى لاَ يَكَادُ يُذْكَرُ غَيْرُهَا، وَلاَ يُعْرَفُ سِوَاهَا، وَيَكُونُ

---

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير.

الحَدِيثُ عَنْهَا فِي كُلِّ مَحْفَلٍ تُرْوَى فِيهِ أَحَادِيثُ البُطُولَةِ، وَفِي كُلِّ مَجْمَعٍ يَكُونُ البَحْثُ فِيهِ عَنِ الفِدَاءِ، وَلاَ يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ عَنِ الجِهَادِ إِلاَّ وَتَكُونُ هَذِهِ النَّمَاذِجُ أَمْثِلَةً لَهُ. وَغَطَّتْ بُطُولَةُ هَؤُلاَءِ عَلَى غَيْرِهِمْ نَتِيجَةَ الحَرَكَةِ وَالإِقْدَامِ وَالضَّرَبَاتِ المُوجِعَةِ بِالأَعْدَاءِ، وَكَأَنَّهُ لاَ أَبْطَالَ غَيْرُهُمْ أَوْ نُسِيَ سِوَاهُمْ، وَاسْتَغَلَّ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ، وَالمُرْجِفُونَ، وَالأَعْدَاءُ تَرْكِيزَ الأَضْوَاءِ عَلَى أَشْخَاصٍ لَيْسَ فِيهِمْ عُثْمَانُ فَاتَّهَمُوهُ بِالجُبْنِ، وَأَعْطُوا حَوَادِثَ لاَ تَعْرِفُ العَامَّةُ حَقِيقَتَهَا فَرَكَّزُوا عَلَى ضَعْفِهِ كَنَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّعْنِ فِي سَبِيلِ خَرْقِ الصُّفُوفِ وَالتَّهْدِيمِ، لِذَا كَانَ مِنَ المُفِيدِ الحَدِيثُ عَنْ نَمَاذِجَ أُخْرَى مِنَ الأَبْطَالِ يُعَادِلُونَ الَّذِينَ ذَكَرْنَاهُمْ سَابِقاً أَوْ يَفُوقُونَهُمْ، وَإِنْ كَانَ نِزَالُهُمْ لِلأَبْطَالِ مَفْقُوداً، وَرُبَّمَا كَانَ قَتْلُهُمْ لِلرِّجَالِ مَحْدُوداً أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا يَقِفُونَ بِجَانِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَالجِبَالِ الرَّوَاسِي يُدَافِعُونَ عَنْهُ وَيَصُدُّونَ، وَيَتَصَدَّوْنَ لِمَنْ يَرُومُهُ بِسُوءٍ فَوُقُوفُهُمْ شَجَاعَةٌ، وَصُمُودُهُمْ شَجَاعَةٌ، وَهُمْ هَدَفُ أَسْلِحَةِ العَدُوِّ كُلِّهَا، وَهَدَفُ رِجَالِ الخَصْمِ جَمِيعِهِمْ، لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، هُوَ بُغْيَةُ العَدُوِّ وَمَرْمَاهُ، وَهُمُ الَّذِينَ

يَذُودُونَ عَنْهُ وَيَحْمُونَهُ، وَمِنْهُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَطَلْحَةُ، وَسَعْدٌ، وَعَبَّادُ وأَبِي عُبَيْدَةَ.... يَقِفُونَ فِي مَوَاقِعِهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ خُطْوَةً وَاحِدَةً مَهْمَا عَتَا التَّيَّارُ البَشَرِيُّ، لاَ يَتَحَرَّكُونَ إلاَّ بِأَمْرٍ، وَلاَ يَرْمُونَ إلاَّ بِتَوْجِيهِ، يَتَلَقَّوْنَ بِنُحُورِهِمْ، وَيَسْتَقْبِلُونَ بِصُدُورِهِمْ، وَيَصُدُّون بِأَجْسَادِهِمْ، وَيَرْمُونَ بِأَجْسَامِهِمْ كَيْ يَحْمُونَ نَبِيَّهُمُ الكَرِيمَ، عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ. وَرُبَّمَا كَانَ مَوْقِفُ هَؤُلاَءِ أَكْثَرَ شَجَاعَةً وَأَكْثَرَ بُطُولَةً لِأَنَّ مَوْقِعَهُمْ أَكْثَرُ حَسَاسِيَّةً فَهُوَ مَرْكَزُ ثِقَلِ هُجُومِ العَدُوِّ لِأَنَّ فِيهِ الهَدَفَ الأَسَاسِيَّ وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، هَذَا مِنْ جِهَةٍ وَمِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةٍ فَمَوْقِفُهُمْ فِي مَكَانٍ دُونَ حَرَكَةٍ يَجْعَلُ تَسْدِيدَ العَدُوِّ نَحْوَهُمْ أَكْثَرَ دِقَّةً بِالنِّسْبَةِ لِلسِّهَامِ، وَأَكْثَرَ تَصْوِيباً لِطَعْنِ الرِّمَاحِ، وَأَكْثَرَ تَرْكِيزاً لِضَرْبِ السُّيُوفِ فِي حِينِ يَكُونُ تَحَرُّكُ الهَدَفِ أَقَلَّ احْتِمَالاً لِلإِصَابَةِ، وَأَكْبَرَ تَوَقُّعاً لِلْخَطَأ، إِضَافَةً إِلَى أَنَّ الحَرَكَةَ نَفْسَهَا وَسِيلَةٌ لاتِّقَاءِ الرَّمِي وَحِمَايَةً مِنَ الضَّرْبِ. وَلَكِنَّ الشَّبَابَ يَعْرِفُونَ مَنْ يَضْرِبُ، وَمَنْ يَقْتُلُ، وَمَنْ يُهَدِّدُ، أَمَّا سَدُّ المَوْقِعِ الحَسَّاسِ، وَحِمَايَةُ الهَدَفِ الرَّئِيسِيِّ، وَصَدُّ أَعْنَفِ هَجَمَاتِ الخَصْمِ، وَالوُقُوفُ فِي وَجْهِ تَدَافُعِ الأَبْطَالِ

لِلنَّيْلِ مِنَ الهَدَفِ، وَهَذِهِ مَوَاقِعُ لاَ يُوضَعُ فِيهَا إِلاَّ أَشَدُّ الرِّجَالِ الَّذِينَ يَثْبُتُونَ فِي مَوَاقِعِهِمْ كَالجِبَالِ، وَلاَ يَتَزَحْزَحُونَ مِنْ أَمَاكِنِهِمْ مَهْمَا تَلاَطَمَتِ الأَمْوَاجُ، فَكَانَ بِجَانِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رِجَالٌ مِنْ هَذَا النَّوْعِ أَمْثَالِ: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَطَلْحَةَ، وَسَعْدٍ، وَعَبَّادٍ، وَأَبِي عُبَيْدَةَ فَمَوَاقِعُهُمْ أَشَدُّ المَوَاقِعِ خُطُورَةً، وَهُمْ أَشَدُّ الرِّجَالِ، وَأَبْطَالُ الأَبْطَالِ غَيْرَ أَنَّ الشَّبَابَ وَعَامَّةَ النَّاسِ لاَ يُدْرِكُونَ هَذَا.

كَمَا أَنَّ الَّذِينَ يَخْرُجُونَ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَطْلُبُونَ الشَّهَادَةَ وَيَعُدُّونَهَا أَسْمَى أَمَانِيهِمْ، فَهَؤُلاَءِ لَيْسُوا بِجُبَنَاءِ بَلْ كُلُّهُمْ شُجْعَانُ وَمِنْهُمْ عُثْمَانُ وَسَائِرُ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَمِنْ أَمْثِلَةِ شَجَاعَةِ ذِي النُّورَيْنِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَوَّلاً: خُرُوجُهُ لِلجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَحُضُورُهُ المَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَإِذَا اتُّهِمَ بِتَخَلُّفِهِ عَنْ بَدْرٍ فَقَدْ سَبَقَ أَنْ قُلْنَا أَنَّ ذَلِكَ كَانَ بِأَمْرٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ عَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مِنَ الَّذِينَ

شَهِدُوهَا، وَأَعْطَاهُ سَهْمَهُ مِنْهَا، وَنَالَ أَجْرَهُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - وَلَيْسَ بَعْدَ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ كَلَامٌ.

ثَانِياً: سَفَارَةُ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى قُرَيْشٍ: سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مَعَ أَصْحَابِهِ فِي أَوَاخِرِ السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ المَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ يُرِيدُ زِيَارَةَ البَيْتِ وَتَعْظِيمَهُ إِلاَّ أَنَّ قُرَيْشاً وَقَفَتْ فِي وَجْهِهِ فِي الحُدَيْبِيَّةِ، وَمَنَعَتْهُ مِنْ ذَلِكَ، وَظَنَّتْ أَنَّمَا جَاءَ مُقَاتِلاً، كَمَا خَشِيَتْ أَنْ تَسْمَعَ العَرَبُ بِذَلِكَ فَتَقِلَّ هَيْبَتُهَا، وَتَقْوَى سُمْعَةُ المُسْلِمِينَ، وَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَنْ يَبْعَثَ رَسُولاً إِلَى قُرَيْشٍ يُعْلِمُهَا أَنَّهُ إِنَّمَا جَاءَ زَائِراً لِلبَيْتِ وَمُعَظِّماً لَهُ، وَوَقَعَ اخْتِيَارُهُ عَلَى عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، فَقَال عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَخَافُ قُرَيْشاً عَلَى نَفْسِي، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بنِ كَعْبٍ أَحَدٌ يَمْنَعُنِي، وَقَدْ عَرَفَتْ قُرَيْشٌ عَدَاوَتِي إِيَّاهَا وَغِلْظَتِي عَلَيْهَا، وَلَكِنْ أَدُلُّكَ عَلَى رَجُلٍ أَعَزَّ بِهَا مِنِّي، عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ عُثْمَانَ.

كَانَتْ قُرَيْشٌ تَغْلِي كَالمِرْجَلِ، تَفُورُ وَتُزْبِدُ عَلَى المُسْلِمِينَ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ حِقْداً عَلَيْهِمْ، وَلَوْ ظَفِرَتْ

بِأَحَدِهِمْ لَمَا نَجا مِنْ بَيْنِ مَخَالِبِهَا وَخَاصَّةً أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا يَشْتَدُّونَ عَلَيْهَا كَعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، أَوْ أُولَئِكَ الَّذينَ كَانَ لَهُمْ دَوْرٌ فِي دَعْمِ دَوْلَةِ الإِسْلاَمِ بِالمَالِ كَعُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ، وَقَدْ شَعَرَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ بِذَلِكَ، وَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عِنْدَمَا وَقَعَ اخْتِيَارُهُ عَلَيْهِ لِلسَّفَارَةِ إِلَى قُرَيْشٍ: إِنِّي أَخَافُ قُرَيْشاً عَلَى نَفْسِي. وَاقْتَرَحَ عُثْمَانَ. وَذَهَبَ عُثْمَانُ، وأُشِيعَ أَنَّهُ قُتِلَ حَتَّى صَارَتِ الشَّائِعَةُ تِلْكَ كَالحَقِيقَةِ، فَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ لِقِتَالِ قُرَيْشٍ إِنْ كَانَ قَدْ قُتِلَ عُثْمَانَ، إِذَنْ كَانَ الذَّهَابُ خَطَراً، وَلَكِنَّ عُثْمَانَ امْتَثَلَ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ، وَذَهَبَ، وَهُوَ يَعْرِفُ مَا أَقْدَمَ عَلَيْهِ غَيْرَ أَنَّ رُجُولَتَهُ وَبُطُولَتَهُ قَدْ أَبَتَا عَلَيْهِ إِلاَّ الامْتِثَالَ وَالطَّاعَةَ.

إِنَّ مَنْ يَقْبَلُ السَّفَارَةَ هَذِهِ فِي مِثْلِ تِلْكَ الظُّرُوفِ لِشُجَاعٌ عَظِيمٌ، وَبَطَلٌ مِنَ الأَبْطَالِ النَّوَادِرِ، صَحِيحٌ أَنَّهَا أَمْرٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَكِنَّهَا فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ شَجَاعَةٌ، لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَقْبَلَ بِهَا جَبَانٌ بَلْ رَجُلٌ عَادِيٌّ، وَكَانَ كَلاَمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مَعْرِفَةُ رَأْيِ عُثْمَانَ، وَلَيْسَ أَمْراً لَهُ.

ثَالِثَاً: الفِدَاءُ بِالنَّفْسِ: عِنْدَمَا حُوصِرَ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي دَارِهِ طَلَبَ مِنْهُ المَارِقُونَ التَّنَازُلَ عَنِ الخِلاَفَةِ لاِخْتِيَارِ غَيْرِهِ، أَوِ القَتْلَ، أَوْ عَزْلَ وَلاَتِهِ وَتَسْلِيمَ بَعْضِهِمْ فَأَصَرَّ عَلَى مَوْقِفِهِ، مُضَحِّيَاً بِنَفْسِهِ مِنْ أَنْ تُصْبِحَ الخِلاَفَةُ بِيَدِ ثُلَّةٍ تُزِيحُ مَنْ تَرْغَبُ، وَتُعَيِّنُ مَنْ تَرَى، أَوْ تَنْزِعَ الخِلاَفَةَ مِنْ صَاحِبِهَا الَّذِي اخْتَارَتْهُ الأُمَّةُ، وَيُصْبِحُ ذَلِكَ قَاعِدَةً، وَالخِلاَفَةُ ثَوْبٌ يُلْبِسُهُ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ فَلَنْ يَنْزَعَهُ إِلاَّ مَنْ أَلْبَسَهُ. وَاسْتُشْهِدَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي سَبِيلِ ذَلِكَ.

إِنَّ مَنْ يَقِفُ هَذَا المَوْقِفَ لَهُوَ الشُّجَاعُ، وَإِنَّهُ لَصَاحِبُ حَقٍّ، وَلَنْ يَقِفَ هَذَا المَوْقِفَ رَجُلٌ جَبَانٌ أَوْ مُحِبٌّ لِلدُّنْيَا أَبَداً، فَالحَيَاةُ عِنْدَ هَؤُلاَءِ الجُبَنَاءِ أَفْضَلُ مِنَ المَكَانَةِ وَمِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا كُلِّهَا. لَكِنَّهُ الصَّحَابِيُّ الجَلِيلُ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

رَابِعَاً: المَالُ: إِنَّ المَالَ لَيُعَادِلُ النَّفْسَ، لِذَا اقْتَرَنَ الجِهَادُ بِالنَّفْسِ مَعَ الجِهَادِ بالمَالِ، وَرُبَّمَا قُدِّمَ عَلَيْهِ. قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ

وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾[1] وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾[2].

وقال عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾[3].

---

(١) سورة النساء: الآية ٩٥.

(٢) سورة التوبة: الآية ١١١.

(٣) سورة الصف: الآية ١٠ ـ ١٣.

وَهُنَاكَ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ تَقْرِنُ المَالَ بِالنَّفْسِ، وَإِنَّ الَّذِي يُنْفِقُ المَالَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِسَخَاءٍ إِنَّمَا هُوَ مُجَاهِدٌ وَشُجَاعٌ. وَقَدْ أَنْفَقَ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الكَثِيرَ، حَتَّى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ، مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ).

عُثْمَانُ رَجُلٌ شُجَاعٌ، سَخِيٌّ بِنَفْسِهِ سَخِيٌّ بِمَالِهِ، وَحَقٌّ لِمِثْلِهِ أَنْ يُقَالَ لَهُ بَطَلٌ شُجَاعٌ وَلَوْ كَرِهَ الظَّالِمُونَ.

الفصل الحادي عشر

المُجْتَمَعُ الإِسْلاَمِيُّ أَيَّامَ ذِي النُّورَيْنِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

كَانَ المُجْتَمَعُ الإِسْلاَمِيُّ فِي صَدْرِ الإِسْلاَم مُجْتَمَعاً فَاضِلاً مُتَمَاسِكاً وَلَمْ يَخْتَلِفْ فِي أَيَّام عُثْمَانَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ فِي الأَيَّام الَّتِي سَبَقَتْهُ، إِنْ لَمْ نَقُلْ إِنَّ الرِّضَا كَانَ فِي عَهْدِ عُثْمَانَ أَكْثَرَ، وَذَلِكَ لِلْخَيْرِ الَّذِي تَدَفَّقَ إِثْرَ الفُتُوحَاتِ الكُبْرَى الَّتِي تَمَّتْ فِي عَهْدِ الفَارُوقِ وَمَا قَبْلَهُ إِلاَّ أَنَّ خَيْرَهَا قَدْ جَاءَ أَيَّامَ ذِي النُّورَيْنِ، كَمَا أَنَّ زَوَالَ دَوْلَةِ الفُرْسِ، وَاقْتِطَاعَ أَجْزَاءٍ وَاسِعَةٍ مِنْ دَوْلَةِ الرُّومِ، وَإِنْهَاكَ سُلْطَانِهَا، وَكَثْرَةَ عَدَدِ المُسْلِمِينَ الَّذِي أَصْبَحُوا فِيهِ كُلُّ ذَلِكَ قَلَّلَ مِنْ حَالَةِ الاسْتِنْفَارِ لِلْجِهَادِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا المُسْلِمُونَ مِنْ قَبْلُ. وَشَعَرَ النَّاسُ نَتِيجَةَ ذَلِكَ بِالرَّاحَةِ، وَأَحَسُّوا بالطُّمَأْنِينَةِ فَلَيْسَ هُنَاكَ مِنْ قُوَّةٍ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ

يَخْشَوْنَ بَأْسَهَا بَلِ الآخَرُونَ هُمُ الَّذِينَ يَرْهَبُونَ المُسْلِمِينَ، وَمِنْ ثَمَّ جَاء المَالُ الوَفِيرُ، وَالسَّبْيُ الكَثِيرُ، فَأَخْلَدَ بَعْضُهُمْ إِلَى الرَّاحَةِ بَعْدِ جِهَادٍ، وَإِلَى المَالِ بَعْدَ ضِيقٍ.

وَجَاءَتْ طَبِيعَةُ عُثْمَانَ وَمَا فِيهَا مِنْ لِينٍ وَرِفْقٍ، وَبَذْلٍ وَعَطَاءٍ تَتَنَاسَبُ مَعَ الوَضْعِ الجَدِيدِ، كَمَا كَانَتْ طَبِيعَةُ الفَارُوقِ وَمَا فِيهَا مِنْ حَزْمٍ وَشِدَّةٍ تَتَلاَءَمُ مَعَ طَبِيعَةِ الاسْتِنْفَارِ لِلْجِهَادِ، وَهَذَا مَا زَادَ بِالمْيلِ إِلَى الهُدُوءِ وَالرَّاحَةِ.

هَذِهِ الأُمُورُ الَّتِي جَدَّتْ وَإِنْ كَانَتْ هَامِشِيَّةً إِلاَّ أَنَّهَا أَوْجَدَتْ بَعْضَ الخَلَلِ لَدَى فِئَةٍ قَلِيلَةٍ فَتَغَيَّرَتِ النُّفُوسُ بَعْدَمَا أُبْطِرَتْ. وَمَعَ أَنَّ هَذِهِ الفِئَةَ كَانَتْ قَلِيلَةً إِلاَّ أَنَّهَا أَثَّرَت نِسْبِيّاً كَكُلِّ شَاذٍّ يَحْدُثُ، فَالبُقْعَةُ السَّوْدَاءُ مَهْمَا كَانَتْ صَغِيرَةً تُلْفِتُ الانْتِبَاهَ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَبْيَضِ أَوِ الثَّوْبِ النَّظِيفِ النَّاصِعِ البَيَاضِ.

سُلِّطَتِ الأَضْوَاءُ عَلَى هَذِهِ النُّتَفِ الصَّغِيرَةِ السَّوْدَاءِ فِي ذَلِكَ المُجْتَمَعِ الطَّاهِرِ النَّظِيفِ فَبَدَتْ وَاسِعَةً فِي المُجْتَمَعِ، وَأَخَذَ الطَّعْنُ مِنْ خِلاَلِهَا حَتَّى غَدَتْ كَأَنَّهَا تُغَطِّي عَهْدَ ذِي

النُّورَيْنِ كُلِّهُ رَغْمَ أَنَّهَا لَمْ تَظْهَرْ إلاَّ فِي مَرْحَلَةٍ قَلِيلَةٍ فِي أَوَاخِرِ عَهْدِهِ، وَرُبَّمَا كَانَتْ تَمُرُّ دُونَ أَنْ يَكُونَ لَهَا أَثَرٌ.

وَلَمَّا كَانَ تَسْلِيطُ الأَضْوَاءِ عَلَى هَذِهِ النُّتَفِ السَّوْدَاءِ مِنْ قِبَلِ الأَعْدَاءِ لِذَا كَانَتْ لَهُمْ أَهْدَافٌ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ، وَمِنْهَا إِعْطَاءُ الفَوْضَى لِأَيَّامِ عُثْمَانَ كُلِّهَا لِيُقَالَ: إِنَّ الإِسْلاَمَ لاَ يَصْلُحُ لِلْحَضَارَةِ وَالتَّطَوُّرِ حَيْثُ أُنْزِلَ لِلأَعْرَابِ، فَمَا أَنِ احْتَكَّ المُسْلِمُون بِأَهْلِ الحَضَارَاتِ حَتَّى ظَهَرَ عُوَارُ عَقِيدَتِهِمْ فَوَقَعَتْ الفِتَنُ وَعَمَّتِ الفَوْضَى، وَعِنْدَ هَؤلاَءِ أَنَّ الإِسْلاَمَ لَمْ يُطَبَّقْ إلاَّ أَيَّامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالخَلِفَتَيْنِ مِنْ بَعْدِهِ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ وَقَدْ تَأَثَّرَ بِهَذَا الكَلاَمَ ـ مَعَ الأَسَفِ ـ بَعْضُ المُسْلِمِينَ، لِكَثْرَةِ مَا أُشِيعَ ذَلِكَ، وَمَا دُوِّنَ فِيهِ مِنْ كُتُبٍ. وَتَأْكِيداً لِهَذَا الطَّعْنِ يَأْتِي الطَّعْنُ بِصَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِشَارَةً إِلَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ لم يُحْسِنْ تَرْبِيَةَ أَصْحَابِهِ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ حَمْلَهُمْ عَلَى تَمَثُّلِ الإِسْلاَمِ ـ حَسْبَ تَصَوُّرِهِمْ ـ. وَرُبَّمَا كَانَ مِنَ المُفِيدِ التَّعَرُّضُ لِبَعْضِ هَذِهِ النِّقَاطِ الَّتِي كَثُرَتِ الافْتِرَاءَاتُ حَوْلَهَا، وَتِبْيَانُ الوَاقِعِ.

١ ـ الشُّورَى:

لَمْ يَكُنْ لِلشُّورَى الَّتِي أَوْصَلَتْ عُثْمَانَ إِلَى الخِلاَفَةِ

أَيُّ أَثَرٍ في المُجْتَمَعِ مِنْ خِلاَفٍ أَوْ غَيْرِهِ، إِذْ تَمَّتْ بِشَكْلٍ طَبِيعِيٍّ، وَدُونَ أَنْ يُحَاوِلَ أَحَدُ رِجَالِهَا أَنْ يَسْعَى لِلْحُكْمِ أَوْ يَعْمَلَ لَهُ. فَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ ـ كَمَا نَعْلَمُ ـ سَلَخَ نَفْسَهُ مِنْهَا. وَالزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ رَشَّحَ غَيْرَهُ، وَكَذَا فَعَلَ سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَكَانَ طَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ غَائِباً، وَقَدْ وَافَقَ عَلَى مَا تَمَّ عَلَيْهِ دُونَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ سِوَى الدُّعَاءِ بِالتَّوْفِيقِ لِلخَلِيفَةِ الجَدِيدِ، وَلَمْ يَبْقَ سِوَى عَلِيٍّ، وَهُوَ رَجُلٌ زَاهِدٌ فِيهَا مِنَ البِدَايَةِ إِلَى النِّهَايَةِ، وَبَايَعَ عُثْمَانَ كَمَا بَايَعَ غَيْرُهُ، وَلَمْ يَخْتَلِفْ أَحَدُ مِنَ المُسْلِمِينَ. هَذَا رَغْمَ مَا نَسَجَ خَيَالُ المُغْرِضِينَ مِنِ افْتِرَاءَاتٍ حَوْلَ هَذَا المَوْضُوعِ.

٢ ـ قَتْلُ الهُرْمُزَانِ:

كَانَتْ أَوَّلُ قَضِيَّةٍ أُثِيرَتْ بَعْدَ تَسَلُّمِ ذِي النُّورَيْنِ الخِلاَفَةَ قَتْلَ الهُرْمُزَانِ، حَيْثُ قَتَلَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، قَتَلَهُ مَعَ جُفَيْنَةَ وَمَعَ ابْنَةٍ لِأَبِي لُؤْلُؤَةَ فَيْرُوزَ، وَكَانَ لِلْهُرْمُزَانَ وَجُفَيْنَةَ ضِلْعٌ فِي قَتْلِ الخَلِيفَةِ الفَارُوقِ، بَلْ فِي المُؤَامَرَةِ الَّتِي أَدَّتْ إِلَى ذَلِكَ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عُمَرَ لَيْسَ هُوَ وَلِيُّ الأَمْرِ، وَلاَ يَحِقُّ لَهُ إِقَامَةُ الحَدِّ، لِذَا فَهُوَ قَدْ

تَعَدَّى حَقَّهُ، وَحُكْمُهُ القَتْلُ عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّ الهُرْمُزَانَ مُسْلِمٌ، وَقَدْ قَضَى عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ بِذَلِكَ، إلاَّ أَنَّ النَّاسَ قَدْ صَعُبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَرَوْا خَلِيفَتَهُمْ بِالأَمْسِ قَتِيلاً، وَقَدْ قَتَلَتْهُ فِئَةٌ يَجْمَعُ بَيْنَهَا الكُفْرُ وَالحِقْدُ عَلَى الإِسْلاَمِ، وَيُقْتَلُ وَلَدُهُ اليَوْمَ بِثُلَّةٍ كَافِرَةٍ مُتَآمِرَةٍ نَاقِضَةٍ لِلْعَهْدِ غَيْرَ أَنَّ الإِسْلاَمَ لاَ يُطَبَّقُ حَسَبَ الأَهْوَاءِ وَالعَوَاطِفِ. وَإِقَامَةَ الحَدِّ لِلَّهِ لِذَا فَإِنَّهُ مِنْ حَقِّ الخَلِيفَةِ أَوْ لِمَنْ يُوكِلُ إِلَيْهِ هَذِهِ المُهِمَّةَ مِنْ أُمَرَاءِ الأَمْصَارِ أَوِ القُضَاةِ.

إِنَّ العَمَلَ الَّذِي قَامَ بِهِ عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عُمَرَ تَعَدٍّ عَلَى صَلاَحِيَّاتِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، إِضَافَةً إِلَى أَنَّ عَمَلَهُ يَجْعَلُ زِمَامَ الأَمْرِ يَفْلِتُ إِذَا عَمِلَ كُلُّ فَرْدٍ عَلَى تَنْفِيذِ الأَحْكَامِ حَسَبَ رَأْيِهِ وَهَوَاهُ بِاسْمِ إِقَامَةِ الحُدُودِ، وَلَمَّا كَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عُمَرَ قَدْ قَامَ بِالأَمْرِ مِنْ نَفْسِهِ لِذَا كَانَ لاَ بُدَّ مِنْ حِسَابِهِ وَالقِصَاصِ مِنْهُ. وَالخَلِيفَةُ هُوَ الَّذِي يُحَاسِبُهُ.

أَقَادَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ قَاتِلَ الهُرْمُزَانِ وَهُوَ عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عُمَرَ، فَسَلَّمَهُ إِلَى ابنِ الهُرْمُزَانِ، وَهُوَ القَمَاذْبَانُ لِيَقْتُلَهُ بِأَبِيهِ غَيْرَ أَنَّهُ عَفَا عَنْهُ، وَدَفَعَ الخَلِيفَةُ الدِّيَةَ

مِنْ مَالِهِ الخَاصِّ إِلَى ابنِ الهُرْمُزَانِ. أَمَّا جفَيْنَةُ، وَابْنَةُ أَبِي لُؤْلُؤَةَ فَقَدْ دَفَعَ دِيَتَهُمَا مِنْ بَيْتِ المَالِ، وَلَمَّا كَانَ الخَلِيفَةُ هُوَ وَلِيُّ أَمْرِهِمَا لِذَا فَقَدِ اسْتَلَمَهَا، وَأَعَادَهَا إِلَى بَيْتِ المَالِ، وَانْتَهَتِ المُشْكِلَةُ الَّتِي شَغَلَتْ مُجْتَمَعَ المَدِينَةِ، وَانْقَطَعَ الحَدِيثُ فِيهَا. وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ المُشْكِلَةُ مُحَلِيَّةً خَاصَّةً بِمُجْتَمَعِ المَدِينَةِ وَمَا حَوْلَهَا إِلاَّ أَنَّ لَهَا صَدَاهَا الوَاسِعَ الَّذِي كَانَ قَدْ شَمِلَ دِيَارِ الإِسْلاَمِ كُلَّهَا، لِأَنَّ ضَحِيَّتَهَا كَانَ خَلِيفَةَ المُسْلِمِينَ عَامَّةً.

٣ ـ المَالُ:

زَادَ المَالُ كَثِيراً فِي عَهْدِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ وَذَلِكَ لِـ:

أ ـ اتِّسَاعِ أَرْجَاءِ دِيَارِ الإِسْلاَمِ الَّتِي امْتَدَّتْ مِنْ بِلاَدِ المَغْرِبِ إِلَى مَقْرَبَةٍ من بِلاَدِ السِّنْدِ والصِّينِ. وَمِنْ جَنُوبِ جَزِيرَةِ العَرَبِ إِلَى أَوَاسِطِ بِلادِ الأَنَاضُولِ، وَفِيهَا أَجْزَاءٌ وَاسِعَةٌ ذَاتُ إِمْكَانَاتٍ مَادِيَّةٍ ضَخْمَةٍ.

ب ـ كَثْرَةِ مَا يَدُرُّ عَلَى بَيْتِ المَالِ مِنَ الغَنَائِمِ وَوَارِدَاتِ الخَرَاجِ.

جـ - قِلَّةِ نَفَقَاتِ الجِهَادِ لِقِلَّةِ تَسْيِيرِ الجُيُوشِ بِزَوَالِ الفُرْسِ، وَإِنْهَاكِ دَوْلَةِ الرُّومِ.

وَكَمَا زَادَتْ وَارِدَاتُ بَيْتِ المَالِ كَذَلِكَ زَادَ دَخْلُ الأَفْرَادِ وَذَلِكَ لِـ:

أ - زِيَادَةِ عَطَاءِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ مَعَ كَثْرَةِ الوَارِدَاتِ.

ب - اتِّسَاعِ أُفُقِ التِّجارَةِ مَعَ اتسَاعِ مَجَالِهَا، وَالعَرَبُ شَعْبٌ مُتَاجِرٌ، وَمِنْ هُنَا كَانَتِ الزِّيَادَةُ بِالنِّسْبَةِ لِلْعَرَبِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ. وَكَانَتِ الزِّيَادَةُ تَخُصُّ التُّجَارَ بِالدَّرَجَةِ الأُولَى، وَمِنْهُمْ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ نَفْسُهُ الَّذِي كَانَتْ تِجَارَتُهُ رَائِجَةً مُنْذُ الجَاهِلِيَّةِ، وَكَثُرَتِ الأَمْوَالُ عِنْدَهُ، وَإِذَا كَانَ مِنْ قَبْلُ يُنْفِقُ المَالَ الكَثِيرَ، فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ وَتَجْهِيزِ جُيُوشِهَا، فَهُوَ الآنَ لاَ يَجِدُ مَجَالاً لِهَذَا الإِنْفَاقِ لِغِنَى بَيْتِ المَالَ، وَهُوَ رَجُلٌ كَرِيمٌ سَخِيٌّ مَعْرُوفٌ، فَأَصْبَحَ يَصِلُ رَحِمَهُ بِالْعَطَاءِ، وَيُنْفِقُ عَلَى أَقَارِبِهِ بِسَخَاءٍ. وَإِذَا كَانَ يَفْعَلُ هَذَا مِنْ قَبْلُ إِلاَّ أَنَّهُ الآنَ قَدْ زَادَ فِي عَطَائِهِ وَإِنْفَاقِهِ عَلَى أَهْلِهِ.

وَهَذَا جَانِبٌ، اسْتَغَلَّهُ الأَعْدَاءُ عِنْدَمَا بَدَؤُوا بِبَثِّ الشَّائِعَاتِ وَالقِيَامِ بِالفِتْنَةِ فَادَّعُوا أَنَّهُ يَدْفَعُ مِنْ بَيْتِ المَالِ. وَمَا يَعْلَمُ النَّاسُ، وهُمْ بَعِيدُونَ فِي الأَمْصَارِ وَاقِعَ الخَلِيفَةِ، وَثَرَاءَهُ، وَسَخَاءَهُ.

وَالمَالُ نِقْمَةٌ عَلَى صَاحِبِهِ إِنْ لَمْ يَأْخُذْهُ بِحَقِّهِ، وَيُؤَدِّ حَقَّهُ، وَيَعْلَمْ أَنَّ المَالَ مَالُ اللَّهِ يَسْتَخْلِفُ عَلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، فَيَرْزُقُهُ مِنْهُ بِقَدَرِ مَا يَشَاءُ، وَفِي الوَقْتِ نَفْسِهِ فَالمَالُ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ إِذَا أَدَّى المَرْءُ حَقَّهُ، وَوَضَعَهُ فِي وَجْهِهِ المَشْرُوعِ، وَأَنْفَقَ مِنْهُ عَلَى مَا أَبَاحَ اللَّهُ، وَهَذَا مَا كَانَ عَلَيْهِ المُجْتَمَعُ المُسْلِمُ، غَيْرَ أَنَّ هُنَاكَ نُفُوساً لَئِيمَةً تُبْطِرُهَا النِّعْمَةُ، مَا أَنْ تَأْتِيَهَا حَتَّى تَعْبَثَ، وَتَشْمَخَ بِأَنْفِهَا وَتَتَطَاوَلَ، وَتَتَلَقَّى الشَّائِعَاتِ وَتَبْدَأَ بِبَثِّهَا دُونَ أَنْ تَتَحَقَّقَ مِنْهَا كَيْ تَنْتَقِدَ تُرِيدُ الرِّفْعَةَ وَهِي لَيْسَتْ لَهَا أَهْلاً، وَتَعْمَلُ عَلَى وَضْعِ الآخَرِينَ وَإِنْزَالِهِمْ مِنْ مَكَانَتِهِمْ، وَهَذِهِ طَبِيعَةُ الأَعْرَابِ الَّذِينَ تُبْطِرُهُمُ النِّعْمَةُ وَيُرِيدُونَ الاسْتِعْلاَءَ، وَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَسْتَغْنُونَ بَعْدَ فَقْرٍ إِنْ لَمْ يَكُونُوا مِنَ المُؤْمِنِينَ، وَلَعَلَّنَا نَذْكُرُ هُنَا مَا دَعَتْ بِهِ سَفَّانَةُ بِنْتُ حَاتِمٍ الطَّائِيِّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَعْدَ أَنْ أَطْلَقَ سَرَاحَهَا:

«شَكَرَتْكَ يَدٌ افْتَقَرَتْ بَعْدَ غِنَىً، وَلاَ مَلَكَتْكَ يَدٌ اسْتَغْنَتْ بَعْدَ فَقْرٍ، وَأَصَابَ اللَّهُ بِمَعْرُوفِكَ مَوَاضِعَهُ، وَلاَ جَعَلَ لَكَ إِلَى لَئِيمٍ حَاجَةً، وَلاَ سَلَبَ نِعْمَةَ كَرِيمٍ إِلاَّ وَجَعَلَكَ سَبَباً لِرَدِّهَا عَلَيْهِ». فَالمَالُ نِقْمَةٌ عَلَى مَنْ كَانَ لَئِيماً، وَافْتَقَرَ بَعْدَ غِنَىً.

إِنَّ المُجْتَمَعَ الإِسْلاَمِيَّ لَمْ يَعُدْ وَاحِداً بَعْدَ أَنْ دَخَلَتْ فِيهِ فِئَاتٌ كَثِيرَةٌ شَمِلَتْ إِضَافَةً إِلَى الأَعْرَابِ سُكَانَ البِلاَدِ المَفْتُوحَةِ، وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ جَمِيعُهَا قَدْ فَهِمَتِ الإِسْلاَمَ فِي هَذِهِ المُدَّةِ القَصِيرَةِ بِمُسْتَوَىً وَاحِدٍ، وَلاَ بُدَّ مِنْ أَنْ يُوجَدَ بَيْنَهَا مَنْ يَتَأَثَّرُ بِالشَّائِعَاتِ أَوْ يَسْتَمِعُ إِلَيْهَا وَلاَ يُمْكِنُهُ الرَّدَّ عَلَيْهَا لَعَدَمِ مَعْرِفَتِهِ بِالتَّعَالِيمِ الإِسْلاَمِيَّةِ أَوْ لِجَهْلِهِ بِالوَاقِعِ. كَمَا أَنَّ عِنْدَ الأَعْرَابِ اسْتِعْدَادٌ لِذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أَبْطَرَتْهُمُ النِّعْمَةُ، نِعْمَةُ المَالِ، وَنِعْمَةُ الطَّمَأْنِينَةِ وَالاسْتِقْرَارِ ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾[1].

إِذَنْ وُجِدَ أَفْرَادٌ فِي المُجْتَمَعِ الإِسْلاَمِيِّ يُمْكِنُهُمْ أَنْ

---

(١) سورة التوبة: الآية ٩٧.

يَسْتَمِعُوا إِلَى شَائِعَاتِ المُغْرِضِينَ أَوْ دِعَايَاتِ الأَعْدَاءِ عِنْدَمَا تُطْرَحُ عَلَى سَاحَةِ المُجْتَمَعِ، وَهَذَا إِمَّا نَتِيجَةَ الجَهْلِ وَعَدَمِ المَعْرِفَةِ، أَوْ لِطَبِيعَةِ بَعْضِ النُّفُوسِ وَمَا تَحْمِلُهُ مِنْ لُؤْمٍ، وَغِلٍّ، وَحَسَدٍ إِذْ تَحْسُدُ غَيْرَهَا عَلَى مَا آتَاهَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ...﴾[1]. وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ وُجِدَ خَلَلٌ بَسِيطٌ فِي المُجْتَمَعِ الإِسْلَامِيِّ بِسَبَبِ دُخُولِ عَنَاصِرَ جَدِيدَةٍ فِي الإِسْلَامِ لَمْ تَعْرِفْ بَعْدُ تَعَالِيمَهُ لِحَدَاثَتِهَا وَبِسَبَبِ كَثْرَةِ المَالِ الَّذِي أَبْطَرَ بَعْضَ النَّاسِ اللِّئَامِ أَوِ الأَعْرَابِ فَأَصْبَحُوا يَقْبَلُونَ نَقْدَ مَنْ هُوَ أَعْلَى مِنْهُمْ حَسَدًا وَبَطَرًا، وَيَظُنُّونَ بِأَنْفُسِهِمْ إِمْكَانِيَّةَ ارْتِفَاعِ مَنْزِلَتِهِمْ مَا دَامُوا يَمْلِكُونَ المَالَ، وَمَا دَامَتْ لَدَيْهِمُ القُدْرَةُ عَلَى ذَلِكَ - حَسْبَ تَصَوُّرِهِمْ وَغُرُورِهِمْ -.

٤ ـ الإِمْرَةُ:

لِلْإِمْرَةِ مُؤَهِّلَاتٌ لاَ يَصْلُحُ لَهَا كُلُّ فَرْدٍ، وَلاَ يُمْكِنُ لِكُلِّ امْرِئٍ أَنْ يَقُومَ بِأَعْبَائِهَا.

---

(١) سورة النساء: الآيتان ٥٣ ـ ٥٤.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن عَمْرٍو قَالَ: سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (مَا أَقَلَّتِ الغَبْرَاءُ وَلاَ أَظَلَّتِ الخَضْرَاءُ مِنْ رَجُلٍ أَصْدَقَ لَهْجَةً مِنْ أَبِي ذَرّ)[1]. وَمَعَ هَذَا الوَصْفِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِنَّهُ لَمْ يَعْهَدْ إِلَيْهِ بِولاَيَةٍ عِنْدَمَا طَلَبَ ذَلِكَ مِنْهُ. قَالَ أَبُو ذَرٍّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَلاَ تَسْتَعْمِلُنِي، قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مِنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: (يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ القِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا)[2]. وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِأَبِي ذَرٍّ: (يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفاً، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لاَ تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلاَ تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ)[3].

وَلَيْسَ الضَّعْفُ هُنَا بِنَقْصٍ فِي القُوَّةِ أَوِ الشَّجَاعَةِ، إِذْ عُرِفَ أَبُو ذَرٍّ بِالقُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَإِنَّمَا القَصْدُ هُنَا عَدَمِ الحِلْمِ وَالأَنَاةِ إِذْ عُرِفَ أَبُو ذَرٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِحِدَّةٍ فِي طَبْعِهِ. وَالحِلْمُ وَالأَنَاةُ يَجِبُ أَنْ تَتَوَفَّرَ فِي الوَالِي، وَلَمَّا

---

(١) رواه الترمذي ٣٨٠١، وزابن ماجه ١٥٦، والحاكم ٣/ ٣٤٢.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

كَانَتْ غَيْرُ مُتَوَفِّرَةٍ، فِي أَبِي ذَرٍّ فَهُوَ لاَ يَصْلُحُ لِلْوِلاَيَةِ.

إِنَّ مَنْ تَتَوفَّرُ فِيهِ شُرُوطُ الإِمْرَةِ يُكَلَّفُ بِهَا دُونَ النَّظَرِ إِلَى عَشِيرَتِهِ أَوْ أُسْرَتِهِ أَوْ سَابِقَتِهِ أَوْ كَثْرَةِ عِبَادَتِهِ بَلِ المُهِمُّ الإِسْلاَمُ، وَالوَعْيُ، وَالحِلْمُ وَالأَنَاةُ وَكُلُّ مَا يُؤَهِّلُهُ لِحُسْنِ قِيَادَةِ رَعِيَّتِهِ.

لَمْ يَمْضِ عَلَى إِسْلاَمِ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ أَكْثَرُ مِنْ شَهْرَيْنِ حَتَّى آلَتْ إِلَيْهِ القِيَادَةُ فِي مُؤْتَةَ بَعْدَ اسْتِشْهَادِ الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ عَيَّنَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُمْ: زَيْدُ بنُ حَارِثَةَ، وَجَعْفَرُ بنُ أَبِي طَالِبٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَبَعْدَ شَهْرَيْنِ آخَرَيْنِ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ، وَكَانَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ عَلَى مَيْمَنَةِ الجَيْشِ الإِسْلاَمِيِّ الَّذِي دَخَلَ مَكَّةَ، وَبَعْدَ أَنْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مَكَّةَ، وَحَطَّمَ الأَصْنَامَ فِيهَا، وَأَمَّنَ النَّاسَ، أَرْسَلَ السَّرَايَا إِلَى الجِهَاتِ الَّتِي حَوْلَ مَكَّةَ، تَنْشُرُ الإِسْلاَمُ وَتَدْعُو إِلَى اللَّهِ، وَكَانَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ مِمَّنْ بَعَثَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِلَى أَسْفَلِ تِهَامَةَ إِلَى بَنِي جُذَيْمَةَ مِنْ كِنَانَةَ.

وَعَقَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، لِعَمْرِو بنِ العَاصِ لِوَاءَ

أَبْيَضَ، وَجَعَلَ مَعَهُ رَايَةً سَوْدَاءَ، وَبَعَثَهُ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ مِنْ سَرَاةِ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَمَعَهُمْ ثَلَاثُونَ فَرَساً، وَأَمَرَهُ بِالسَّيْرِ إِلَى قُضَاعَةَ، ثُمَّ أَمَدَّهُ بِأَبِي عُبَيْدَةَ بنِ الجَرَّاحِ فِي مِائَتَيْنِ مِنْ سَرَاةِ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. هَذَا وَلَمْ يَكُنْ قَدْ مَضَى عَلَى إِسْلَامِ عَمْرِو بنِ العَاصِ أَكْثَرَ مِنْ سَنَةٍ.

كَانَ خَالِدٌ، وَعَمْرُو حَدِيثِي العَهْدِ بِالإِسْلَامِ، وَلَم يَكُونَا أَفْضَلَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ، وَعَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ وَغَيْرِهِمَا مِنَ أَصْحَابِ السَّابِقَةِ، غَيْرَ أَنَّ كَفَاءَتَهُمَا القِتَالِيَّةَ هِيَ الَّتِي خَوَّلَتْهُمَا القِيَادَةَ وَقَدْ أَسْلَمَا، وَالإِسْلَامُ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ، حَيْثُ قَبْلَ مُدَّةٍ كَانَا مِنْ أَلَدِّ أَعْدَاءِ الإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ. وَلَمْ يَكُنِ اخْتِيَارُهُمَا عَلَى أَنَّ خَالِداً مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ، وَعَمْراً مِنْ بَنِي سَهْمٍ.

وَأَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ صَخْرُ بنُ حَرْبٍ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَلَمْ يُغَادِرْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مَكَّةَ حَتَّى بَعَثَ أَبَا سُفْيَانَ وَالِياً عَلَى نَجْرَانَ، وَهُوَ حَدِيثُ العَهْدِ بِالإِسْلَامِ، وَقَبْلَ مُدَّةٍ وَجِيزَةٍ كَانَ مِنْ أَعْدَائِهِ، إِنَّهُ قَدْ أَسْلَمَ، وَيَمْلِكُ الكَفَاءَةَ

الَّتِي تُؤَهِّلُهُ لِلْإِمْرَةِ. وَتُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَبُو سُفْيَانَ عَلَى نَجْرَانَ.

إِذَنْ لَيْسَ النَّسَبُ الَّذِي يُؤَهِّلُ المَرْءَ لِلْإِمْرَةِ، كَمَا أَنَّهُ لاَ يَحُولُ دُونَهَا. وَلِذَا لاَ يُمْكِنُنَا نَقْدَ تَعْيينِ أَحَدٍ لِقَرَابَةٍ أَوْ سَابِقَةٍ أَوْ نَمْنَعُهُ العَمَلَ لِلسَببِ نَفْسِهِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ اخْتِيَارُ الوُلاَةِ عَلَى أَسَاسِ القُدْرَةِ وَالكَفَاءَةِ، وَهَذَا مَا فَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كَانَ بَنُو أُمَيَّةَ أَصْحَابَ إِمْكَانَاتٍ وَكَفَاءَاتٍ، وَلِهَذَا كَانَتْ قُرَيْشٌ قَدْ جَعَلَتْ رَايَتَهَا بِأَيْدِيهِمْ. وَكَذَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَمَا أَنْ أَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ حَتَّى اسْتَعْمَلَهُ، عَلَى نَجْرَانَ - كَمَا رَأَيْنَا -. وَسَارَ عَلَى الخَطِّ نَفْسِهِ الصِّدِّيقُ، إِذْ أَعْطَى قِيَادَةَ بَعْضِ الجُيُوشِ لِيَزِيدَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَبَعْضَها لِخَالِدِ بنِ سَعِيدِ بنِ العَاصِ، كَمَا كَانَ لِمُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ دَوْرٌ فِي قِيَادَاتِ الشَّامِ، وَاسْتَعْمَلَ الفَارُوقُ مُعَاوِيَةَ عَلَى الشَّامِ، وَالوَلِيدَ بنَ عُقْبَةَ عَلَى عَرَبِ الجَزِيرَةِ الفُرَاتِيَّةِ.

وَلَمَّا تَسَلَّمَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ الخِلاَفَةَ كَانَ عُمَّالُهُ عُمَّالَ

الفَارُوقِ، مَا زَادَ عَلَيْهِمْ، إِلاَّ سَعِيدَ بنَ العَاصِ بَعْدَ مُدَّةٍ. وَلَكِنِ اتُّهِمَ أَنَّهُ يُعْطِي الوِلاَيَةَ لِأَقْرِبَائِهِ. غَيْرَ أَنَّ التَّدْقِيقَ فِي الأَمْرِ يُبَيِّنُ أَنَّهُمْ كَانُوا وُلاَةً قَبْلَ إِمْرَتِهِ فَهُوَ بَرِيْءٌ إِذَنْ مِنْ هَذِهِ التُّهْمَةِ، ثُمَّ هَلْ مِنَ الحِكْمَةِ إِبْعَادُ الأَقْرِبَاءِ عَنِ العَمَلِ وَلَوْ كَانُوا أَهْلاً لَهُ، وَحِرْمَانُهُمْ بَلْ حِرْمَانُ الأُمَّةِ مِنْ إِمْكَانَاتِهِمْ وَكَفَاءَاتِهِمْ؟ إِنَّ هَذَا لاَ يَقُولُ بِهِ أَحَدٌ. وَلَوْ كَانَ يَصِحُّ ذَلِكَ لَمَا كَانَ المَسْؤُولُونَ إِلاَّ مِنْ ذَوِي الإِمْكَانَاتِ الضَّعِيفَةِ. وَلَكِنَّ الأَعْدَاءَ يُرَوِّجُونَ مَا تَسْمَعُهُ آذَانُهُمْ مِنْ قُلُوبِهِمْ الحَاقِدَةِ فَأَخَذُوا يُشِيعُونَ أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ أَعْطَى الوِلاَيَاتِ لِأَقْرِبَائِهِ، وَقَدْ وَجَدُوا مَنْ يَسْتَمِعُ لَهُمْ مِنْ أَهْلِ الأَمْصَارِ، وَمَنْ أَبْطَرَتْهُمُ النِّعْمَةُ، وَأَصْحَابِ الأَهْوَاءِ وَالعَصَبِيَّاتِ الجَاهِلِيَّةِ.

٥ ـ لِينُ ذِي النُّورَيْنِ:

لاَ يُسَاسُ النَّاسُ عَادَةً بِعَصا وَاحِدَةٍ، فَهُنَاكَ المُؤْمِنُ الَّذِي يُحَافِظُ عَلَى سَلاَمَةِ المُجْتَمَعِ وَعَلَى النِّظَامِ، وَيَحْتَرِمُ الآخَرِينَ، وَيَبْذِلُ جَهْدَهُ فِي سَبِيلِ رَاحَةِ المُجْتَمَعِ، وَذَلِكَ مَا تَقْضِي بِهِ تَعَالِيم دِينِهِ، وَقَدْ يُخْطِىءُ، وَهَذَا أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ، وَلَكِنْ لاَ يَلْبَثُ أَنْ يَعُودَ إِلَى صَوَابِهِ تِلْقَائِيّاً حَيْثُ يَعْرِفُ

خَطَأَهُ مِنْ نَفْسِهِ، أَوْ تَكْفِيهِ الإِشَارَةُ، وَهَذَا سَوَاءٌ عِنْدَهُ أَكَانَتْ شِدَّةٌ أَمْ كَانَ لِينٌ. وَهَذَا مَا كَانَ عَلَيْهِ المُجْتَمَعُ الإِسْلاَمِيُّ، أَمَا وَقَدْ دَخَلَتْ عَنَاصِرُ حَدِيثَةُ العَهْدِ بِإِسْلاَمِهَا وَأُخْرَى غَرِيبةٌ عَنْهُ فَقَدْ وُجِدَ هُنَاكَ أَفْرَادٌ لاَ يَتَقَيَّدُونَ إِلاَّ بِالشِّدَّةِ، وَلاَ يَخْضَعُونَ إِلاَّ بِضَرْبِ العَصَا وَعِنْدَهَا يَرْهَبُونَ، وَيَسْتَقِيمُ مَعَهُمُ الأَمْرُ مَا دَامَتِ الشِّدَّةُ تُلاَحِقُهُمْ.

وَكَانَ الفَارُوقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، شَدِيداً، لِذَا اسْتَقَامَ الوَضْعُ تَمَاماً، فَالمُسْتَقِيمُ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ الشِّدَّةُ إِذْ لَيْسَ بِحَاجَةٍ إِلَيْهَا لاِسْتِقَامَتِهِ مِنَ البِدْءِ، وَتَلْزَمُ الشِّدَّةُ غَيْرَهُ فَيَتَبَعُ سَبِيلَ الاسْتِقَامَةِ، وَيُحَافِظُ عَلَيْهَا خَوْفاً حَتَّى تُصْبِحَ مِنْ طَبْعِهِ، وَلِهَذَا وُجِدَتِ الحُدُودُ لِتَأْخُذَ النَّاسَ عَلَى الجَادَّةِ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[1].

فَلَمَّا جَاءَ ذُو النُّورَيْنِ، وَكَانَ فِي طَبْعِهِ اللِّينُ، وَفِي نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ بَقِيَ المُسْتَقِيمُ عَلَى وَضْعِهِ لَمْ يَتَغَيَّرْ عِنْدَهُ شَيْءٌ بَلْ شَعَرَ بِالطُّمَأْنِينَةِ حَيْثُ رَأَى أَنَّ المُجْتَمَعَ سَلِيماً لاَ

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٩.

يَحْتَاجُ إِلَى شِدَّةٍ. غَيْرَ أَنَّ الشَّوَاذَ وَجَدُوا لَهُمْ فُرْصَةً لِلسَّمَاعِ مِنَ الأَعْدَاءِ، وَلِتَرْوِيجِ مَا يُرِيدُهُ أُولَئِكَ الخُصُومُ، وَكَانَ أَوَّلُ نَفْثِ سُمُومِهِمْ اتِّهَامُ الخَلِيفَةِ بالضَّعْفِ لِلِينِهِ مَعَهُمْ، وَإِعْطَائِهِمْ مَجَالاً لِطَلَبِ مَا يُرِيدُونَ وَالتَّغْبِيرِ عَمَّا يَرْغَبُونَ.

وَمِنْ نَاحِيَةٍ ثَانِيَةٍ فَقَدِ اقْتَضَتْ شِدَّةُ الفَارُوقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنْ يَمْنَعَ أَوَائِلَ الصَّحَابَةِ مِنْ مُغَادَرَةِ مَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لِيَقْتَدِيَ النَّاسُ بِهِمْ، وَلِيَنْهَلُوا مِنْ عَلْمِهِمْ، وَلِتَبْقَى المَدِينَةُ مَرْكَزَ الثِّقَلِ، لاَ يُقْضَى أَمْرٌ دُونَ رَأْيِ أُولَئِكَ الصَّحَابَةُ. وَقَدْ مَنَعَهُمُ الفَارُوقُ حَتَّى مِنَ الجِهَادِ، وَقَالَ لَهُمْ: جِهَادُكُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَكْفِيكُمْ. فَقَدْ كَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَرَى الرَّحْمَةَ فِي الشِّدَّةِ لِضَمَانِ سَلاَمَةِ المُجْتَمَعِ. وَيَرَى عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ الرَّحْمَةَ فِي الرِّفْقِ وَاللِّينِ وَخَاصَّةً في مُجْتَمَعِ المَدِينَةِ مَا دَامَ عُمَّالُهُ فِي الأَمْصَارِ يَأْخُذُونَ النَّاسَ بِالشِّدَّةِ، فَعُمَرُ بِطَبْعِهِ حَازِمَاً، وَعُثْمَانُ بِطَبْعِهِ لَيِّناً. وَهَذَا اللِّينُ الَّذِي سَارَ عَلَيْهِ ذُو النُّورَيْنِ جَعَلَ لِئَامَ النَّاسِ يَتَطَاوَلُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ بَلْ وَيَتَّهِمُونَ عُثْمَانَ بالضَّعْفِ.

سَمَحَ ذُو النُّورَيْنِ لِلصَّحَابَةِ بِالخُرُوجِ مِنَ المَدِينَةِ فَسَارَ الزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ إِلى البَصْرَةِ وَابْتَنَى لَهُ دَاراً فِيهَا، وَفِي الكُوفَةِ، وَفِي مِصْرَ، وَسَارَ طَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ إِلَى الكُوفَةِ وَبَنَى لَهُ دَاراً فِيهَا، وَانْسَاحَ الصَّحَابَةُ فِي الأَمْصَارِ، وَكَانَتْ لَهُمْ أَمْلَاكٌ وَضِيَاعٌ، واجْتَمَعَ النَّاسُ عِنْدَهُمْ عَلَى أَنَّهُمْ صَحَابَةُ سَيِّدِ الخَلْقِ، صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَصَارَتْ هُنَاكَ مَرَاكِزُ أُخْرَى لِلصَّحَابَةِ غَيْرَ مَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ.

وَكَانَ الفَارُوقَ شَدِيداً عَلَى أَهْلِهِ، فَكَانَ إِذَا نَهَى عَنْ شَيْءٍ جَمَعَ أَهْلَهُ فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي نَهَيْتُ النَّاسَ عَنْ كَذَا وَكَذَا، وَإِنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ إِلَيْكُمْ كَمَا يَنْظُرُ الطَّيْرُ إِلَى اللَّحْمِ، فَإِنْ وَقَعْتُمْ وَقَعُوا، وَإِنْ هِبْتُمْ هَابُوا، إِنِّي وَاللَّهِ لاَ أُوتَى بِرَجُلٍ مِنْكُمْ وَقَعَ فِيمَا نَهَيْتُ النَّاسَ عَنْهُ إِلاَّ أَضْعَفْتُ لَهُ العَذَابَ لِمَكَانِهِ مِنِّي فَمَنْ شَاءَ فَلْيَتَقَدَّمْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَتَأَخَّرْ. أَمَّا ذُو النُّورَيْنِ فَكَانَ رَفِيقاً بِأَهْلِهِ، يُقَدِّمُ لَهُمْ مِنْ مَالِهِ الخَاصِّ، وَيَصِلُهُمْ بِعَطَائِهِ صِلَةً لِلرَّحِمِ، وَبِرّاً بِهِمْ، وَلاَ يَرَى أَنْ يَقَعُوا بَعْدَ صِلَتِهِ لَهُمْ وَأُعْطِيَاتِهِ.

وُجِدَ فِي عَهْدِ عُثْمَانَ عَنَاصِرُ أَبْطَرَتْهُمُ النِّعْمَةُ، وَأَغْرَاهُمْ لِينُ الخَلِيفَةِ فَأَصْغَوْا بِآذَانِهِمْ إِلَى شَائِعَاتِ أَعْدَاءِ الإِسْلَامِ الَّتِي تَحُومُ حَوْلَ ضَعْفِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ، وَمُحَابَاتِهِ لِأَهْلِ بَيْتِهِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَتَفْضِيلِهِمْ بِالأُعْطِيَاتِ، وَتَسْلِيمِهِمُ الوَلَايَاتِ. وَهَذِهِ أَهَم الافْتِرَاءَاتِ الَّتِي حَاوَلَ تَرْوِيجِهَا الأَعْدَاءُ. وَقَدْ بَيْنَا أَنَّ الخَلِيفَةَ مِنْ طَبْعِهِ اللِّينُ، وَلَمْ يَكُنْ ضَعِيفاً، وَأَنَّهُ يُعْطِي أَقْرِبَاءَهُ مِنْ مَالِهِ الخَاصِّ صِلَةً لِلرَّحِمِ، وَأَنَّهُ يُسَلِّمُ الوِلَايَةَ الَّذِي هُوَ أَهْلٌ لَهَا، مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ عُمَّالِهِ كَانُوا مِنْ عَهْدِ سَلَفِهِ الفَارُوقِ.

الفصل الثاني عشر

الفِتْنَةُ أَيَّامَ ذِي النُّورَيْنِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

بَعْدَ أَنْ زَالَتْ دَوْلَةُ فَارِسَ، وَدَخَلَ أَكْثَرُ إِبْنَائِهَا فِي الإِسْلَامِ، وَتَركُوا دِيَانَتَهُمُ المَجُوسِيَّةَ السَّابِقَةَ، بَقِيَ أَفْرَادٌ قَلَائِلُ عَلَى مَجُوسِيَّتِهِمْ يَعِيشُونَ ضِمْنَ المُجْتَمَعِ الإِسْلَامِيِّ عَلَى أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ إِذْ أُلْحِقَ المَجُوسُ بِأَهْلِ الكِتَابِ، وَرُبَّمَا أَظْهَرَ بَعْضُهُمْ الإِسْلَامَ لِيَتَمَكَّنَ مِنَ العَمَلِ بِحُرِّيَّةٍ بِشَكْلٍ أَوْسعَ لِصَالِحِ مَجُوسِيَّتِهِ خِفْيَةً، وَكَانَ حِقْدُهُمْ مُنْصَبّاً عَلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ الَّذِي أَزَالَ دَوْلَةَ الفُرْسِ مِنْ جُذُورِهَا، وَاقْتَلَعَ مَعَهَا المَجُوسِيَّةَ مِنْ أَصْلِهَا، حَتَّى كَانَ قَائِلُهُمْ يَقُولُ: أَكَلَ عُمَرُ كَبِدِي، وَهُوَ مَا قَالَهُ أَبُو لُؤْلُؤَةَ فَيْرُوزُ الَّذِي قَتَلَ عُمَرَ.

وَلَمْ يَكُنْ أَصْحَابُ الدِّيَانَاتِ الأُخْرَى بِأَقَلَّ حِقْداً مِنَ

الـمَـجُـوسِ عَـلَـى عُـمَـرَ، إِذْ أَزَالَ الإِسْـلاَمُ أَرْكَـانَ يَـهُـودَ وَقَوَاعِدَهُمْ مِنَ المَدِينَةِ، وَأَبْقَاهُمْ فِي جُيُوبٍ مُعَاهِدِينَ فِي خَيْبَرَ، وَفَدَكَ، وَوَادِي القُرَى حَتَّى إِذَا نَقَضُوا مَا عَاهَدُوا عَلَيْهِ أَخْرَجَهُمْ مِنْ مَوَاقِعِهِمُ الَّتِي كَانُوا قَدْ بَقُوا فِيهَا. وَكَذَلِكَ أَخَرَجَ الفَارُوقُ نَصَارَى نَجْرَانَ لَمَّا خَانُوا العَهْدَ، وَتَكَسَّرَتْ رُؤوسُ الرُّومِ النَّصَارَى عَلَى سَاحَاتِ الشَّامِ، وَمِصْرَ، وَشَمَالِي إِفْرِيقِيَّةَ، وَبَعْضِ جِهَاتِ الأَنَاضُولِ، حَتَّى بَقِيَتْ دَوْلَتُهُمْ مَحْصُورَةً فِي مَنَاطِقَ مَحْدُودَةٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى سَابِقِ عَهْدِهَا، وَتَرْتَعِدُ فَرَائِصُ سُكَّانِهَا مِنْ سَمَاعِ كَلِمَةِ «مُسْلِمِينَ». وَهَذَا مَا جَعَلَ المَجُوسَ، وَاليَهُودَ، وَالنَّصَارَى يَتَعَاوَنُونَ بِشَكْلٍ غَيْرِ رَسْمِيٍ لِضَرْبِ المُسْلِمِينَ، وَكَانَ المَجُوسُ أَكْثَرَهُمْ تَخْطِيطاً وَإِقْدَاماً، وَكَانَتْ مُؤَامَرَةُ قَتْلِ الفَارُوقِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الَّذِي دَكَّ عُرُوشَ طُغْيَانِ الكُفْرِ وَهَدَّ أَرْكَانَهُ فَأَثَارَ أَعْوَانَهُ.

● ظَنَّ الأَعْدَاءُ أَنَّهُمْ قَدْ حَصَلُوا عَلَى مُبْتَغَاهُمْ، وَقَدْ أَصَابُوا الهَدَفَ، وَتَوَقَّعُوا أَنْ يَحْدُثَ خِلاَفٌ فِي مَوْضُوعِ الشُّورَى غَيْرَ أَنَّ ظَنَّهُمْ قَدْ خَابَ، وَتَمَّ اخْتِيَارُ عُثْمَانَ أَمِيراً لِلْمُؤْمِنِينَ، وَلَمْ يَقَعْ أَيُّ حَادِثٍ غَرِيبٍ.

● تَوَقَّعَ الأَعْدَاءُ ثَانِيَةً أَنْ تَقَعَ فِتْنَةٌ بَعْدَ إِقَامَةِ الحدِّ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، أَوْ يَقَعَ خِلَافٌ حَوْلَ مُعَالَجَةِ المُشْكِلَةِ لِمَكَانَةِ وَالِدِهِ، وَلِأَنَّ الَّذِينَ انْتَقَمَ مِنْهُمْ لَيْسُوا مِنَ المُسْلِمِينَ، وَلَكِنَّ القَضِيَّةَ انْتَهَتْ بِشَكْلٍ سَلِيمٍ ـ كَمَا رَأَيْنَا ـ وَلَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ، وَخَابَ ظَنُّ الأَعْدَاءِ مَرَّةً أُخْرَى.

● حَسِبَ الأَعْدَاءُ أَنَّ أُسْلُوبَ عُثْمَانَ سَيَخْتَلِفُ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَسَيَجِدُونَ عَنْدَهَا ثَغْرَةً يُحَاوِلُونَ التَّسَلُّلَ مِنْهَا، وَلَكِنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَمْ يُغَيِّرْ، وَلَمْ يُبَدِّلْ، وَلَمْ يُحْدِثْ جَدِيداً، وَلَمْ يَبْتَعِدْ عَنْ سِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلاَ عَنْ نَهْجِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهِ عَنْهُمَا.

كَمَا أَنَّ المُجْتَمَعَ قَدْ بَقِيَ عَلَى تَمَاسُكِهِ، وَزَادَ تَدَفُّقُ الخَيْرِ عَلَيْهِ، وَشَعَرَ النَّاسُ بِالرَّاحَةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ، وَأَحَسُّوا بِالاسْتِعْلَاءِ عَلَى خُصُومِهِمْ وَقَدْ نَصَرَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ. وَهَذَا مَا زَادَ مِنْ حِقْدِ الأَعْدَاءِ، وَكَلَّمَا رَأَوْا الخَيْرَ فِي دِيَارِ الإِسْلَامِ شَعَرُوا بِنَارِ الحِقْدِ تَغْلِي فِي قُلُوبِهِمْ، وَخَابَ ظَنُّهُمْ ثَالِثَةً ـ وَلِلَّهِ الحَمْد ـ.

● أَثَارَ أَصْحَابُ العَصَبِيَّاتِ الجَاهِلِيَّةِ مِنَ المَجُوسِ مَا اسْتَطَاعُوا إِثَارَتَهُ مِنْ مَنَاطِقَ فِي الشَّرقِ، فَنَقَضَ سَكَّانُ تِلْكَ المَنَاطِقِ عُهُودَهُمْ، غَيْرَ أَنَّ جُنْدَ الإِسْلاَمِ سَارُوا إِلَيْهِمْ وَأَلْزَمُوهُمْ عَلَى الصُّلْحِ مِنْ جَدِيدٍ. وَأَيْقَنَ المَجُوسُ أَنَّهُ لاَ أَمَلَ لَهُمْ فِي الحَرَكَاتِ وَنَقْضِ العُهُودِ.

وَأَثَارَ الرُّومُ النَّصَارَى أَهْلَ الاسْكَنْدَرِيَّةِ عَلَى نَقْضِ عَهْدِ المُسْلِمِينَ، غَيْرَ أَنَّهُمْ أُجْبِرُوا عَلَى طَلَبِ الصُّلْحِ مِنْ جَدِيدٍ، وَخَنَعُوا. وَأَثَارَ الرّومُ أَيْضاً الأَرْمَنَ فَخَانُوا، وَنَقَضُوا عَهْدَهُمْ، وَلَكِنْ لَمْ يَلْبَثُوا أَنْ طَلَبُوا صَاغِرِينَ الصُّلْحَ، وَخَضَعُوا.

وَرَغْمَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ جَرَتْ فُتُوحَاتٌ جَدِيدَةٌ، وَتَوَسَّعَتْ دِيَارُ الإِسْلاَمِ، فَخَابَ أَمَلَ الأَعْدَاءِ بِضَعْفِ المُسْلِمِين، وَزَادَ حِقْدُهُمْ. وَكَانَ فَشَلُ المَجُوسِ وَالنَّصَارَى كَبِيرَاً، فَتَحَرَّكَ مَكْرُ يَهُودَ، وَرَأَوْا أَنَّ الهَدْمَ مِنَ الدَّاخِلِ أَنْجَعُ الوَسَائِلِ. وَفِعْلاً كَانَتِ الفِتْنَةُ.

الفِتْنَةُ:

وَكَانَ رَأْسُ الفِتْنَةِ، وَالمُحَرِّكَ لَهَا رَجُلٌ يُدْعَى

«عَبْدُ اللَّهِ بنُ سَبَأٍ» مِنْ يَهُودِ صَنْعَاءَ، جَعَلَ هَدَفَهُ إِفْسَادَ عَقِيدَةِ المُسْلِمِينَ الَّتِي هِيَ سَبَبُ قُوَّتِهِمْ وَدِعَامَةُ تَمَاسُكِهِمْ، وَعَمِلَ عَلَى رَمْيِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، فَأَخَذَ بِالتَّخْطِيطِ لِذَلِكَ، وَبَدَأَ بِدِرَاسَةِ المَوْضُوعَاتِ الَّتِي يُمْكِنُ طَرْحُهَا لِتَحْقِيقِ هَدَفِهِ، وَاسْتَمَرَّ فِي ذَلِكَ عِدَّةَ سَنَوَاتٍ لِلتَّهْيِئَةِ، فَلَمَّا تَمَّ لَهُ مَا أَرَادَ، وَأَصْبَحَتِ الأَفْكَارُ الخَبِيثَةُ وَاضِحَةً لَدَيْهِ أَظْهَرَ الإِسْلَامَ، وَبَرَزَ فِي ثِيَابِ أَهْلِ الفِكْرِ، وَمَشَى فِي الأَرْضِ يَطْرَحُ أَفْكَارَهُ عَلَى العَامَّةِ، وَالأَعْرَابِ، وَيُلْقِيهَا عَلَى حَدِيثِي العَهْدِ بِالإِسْلَامِ، وَيَتَّصِلُ بِالأَفْرَادِ، وَيَتَحَدَّثُ إِلَيْهِمْ، وَيُبْدِي مَعْرِفَتَهُ بِالإِسْلَامِ، وَيُظْهِرُ تَفَهُّمَهُ، وَيَقِفُ مَوْقِفَ المُتَعَالِمِ. وَمِمَّا كَانَ يُلْقِيهِ فِي سَبِيلِ إِفْسَادِ عَقِيدَةِ المُسْلِمِينَ: عَجِيبٌ مَنْ يَزْعُمُ أَنْ عِيسَى يَرْجِعُ، وَيُكَذِّبُ بِأَنَّ مُحَمَّداً يَرْجِعُ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[1]. فَمُحَمَّدٌ أَحَقُّ بِالعَوْدَةِ وَالرُّجُوعِ مِنْ عِيسَى، وَهَكَذا بَدَأَ بِالتَّشْكِيكِ فِي العَقِيدَةِ، وَالنَّاسُ عَلَى فِطْرَتِهِمْ حَدِيثُو العَهْدِ بِالإِسْلَامِ فِي

---

(١) سورة القصص: الآية ٨٥.

الأَمْصَارِ لاَ يَعْرِفُونَ الفَلْسَفَاتِ وَالمُنَاقَشَاتِ، وَالبَدْوُ الَّذِينَ يَعَيشُونَ مَعَهُمْ أَكْثَرُ جلاَفَةً، وَإِذَا اقْتَنَعُوا بِشَيْءٍ، صَعُبَ اسْتِخْلاَصُهُ مِنْ نُفُوسِهِمْ بِالأَمْرِ السَّهْلِ، وَفِي الوَقْتِ نَفْسِهِ لاَ يَعْرِفُونَ التَّفْسِيرَ، وَهَذَا اليَهُودِيُّ مَاكِرٌ خَبِيثٌ، يُغَيِّرُ تَفْسِيرَ الآيَاتِ، وَيَفْتَرِي الكَذِبَ.

اتَّخَذَ هَذَا اليَهُودِيُّ مِنْ عَلِيٍّ دَرِيئَةً لَهُ يَقِي نَفْسَهُ بِهَا حَتَّى لاَ يَظْهَرَ عَلَى حَقِيقَتِهِ فَيُقَالُ: إِنَّهُ يُهَدِّمُ، بَلْ لِيُقَالُ: إِنَّهُ يُرِيدُ الخَيْرَ فَهُوَ يَدْعُو لِصَحَابِيٍّ جَلِيلٍ لاَ شُبْهَةَ فِيهِ، فَإِذَنْ لاَ شبهَةَ بِمَا يَقُولُ هَذَا الدَّعِيُّ. وَالصَّحَابِيُّ هُوَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَكِنَّ عَلِيّاً لاَ يَعْرِفُ ابنَ سَبَأٍ، وَلاَ يُقِرُّهُ عَلَى فِعْلِهِ، وَلاَ يُؤَيِّدُهُ فِي قَوْلٍ. وَحَتَّى يَكُونَ فَسَادٌ فِي عَقِيدَةِ المُسْلِمِينَ الَّذِينَ يُؤَيِّدُونَهُ فَقَدْ أَثْنَى عَلَى عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ ثَنَاءً كَبِيراً جِدّاً رَفَعَهُ فَوْقَ مُسْتَوَى بَقِيَّةِ الصَّحَابَةِ إِذْ جَعَلَهُ الوَصِيَّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَذَلِكَ بِالنَّصِّ، وَأَنَّ مِنْ قَامَ مَكَانَهُ بِالأَمْرِ فَقَدْ ظَلَمَهُ، وَتَعَدَّى، وَخَانَ العَهْدَ، وَيَقْصِدُ بِذَلِكَ الخُلَفَاءَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ. ثُمَّ تَجَاوزَ اليَهُودِيُّ ذَلِكَ الثَّنَاءَ، فَعَدَّ عَلِيّاً الصَّحَابِيَّ الوَحِيدَ الَّذِي يَعْرِفُ كِتَابَ اللَّهِ

كَامِلاً، وَأَنَّ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِي المُسْلِمِينَ لاَ يُعَادِلُ إِلاَّ ثُلُثَ الكِتَابِ المُنَزَلِ، ـ وَهُنَا بَدَأَتْ مَرْحَلَةُ الكُفرِ والخُرُوجِ مِنَ الدِّينِ، وَالبُعْدِ عَنِ العَقِيدَةِ.

ثُمَّ زَادَ بِالكُفر فَعَدَّ عَلِيّاً هُوَ الرَّسُولُ الخَاتَمُ، وَلَكِنَّ الأَمِينَ (جِبْرَائِيلَ) قَدْ تَاهَ فَنَزَل عَلَى مُحَمَّدٍ، وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَنزِلَ عَلَى عَلِيٍّ. ثُمَّ تَمَادَى فِي الكُفْرِ والضَّلاَلِ فَجَعَلَ عَلِيّاً فَوْقَ مُسْتَوى البَشَرِ. هَذِهِ المُغَالاَةُ قَدْ أَفْسَدَتْ عَقِيدَةَ كُلِّ مَنْ وَافَقَ عَلَيْهَا أَوْ أَخذَ بِهَا، وَأَخْرَجَتْ أَصْحَابَهَا مِنَ المِلَّةِ، وَفِي الوَقْتِ نَفْسِهِ فَقَدْ زَرَعَتْ بُذُورَ الشِّقَاقِ بَيْنَ المُسْلِمِينَ مَا دَامَتْ هَذِهِ الأَفْكَارُ أَوْ بَعْضُهَا قَائِمَاً يَقُولُ بِهِ بَعْضُ النَّاسِ. وَرُبَّمَا لَمْ يَقْبَلْ بَعْضُهُمْ هَذِهِ الآرَاءَ كَامِلَةً وَإِنَّمَا أَخَذَ بَعْضَهَا، وَأَنْكَرَ بَعْضاً، وَلَكِنَّ الخِلاَفَ نَتِيجَةَ ذَلِكَ قَدْ وَقَعَ، وَأَخَذَتْ زَاوِيَةُ الافْتِرَاقِ تَتَّسِعُ مَعَ مُحَاوَلَةِ الدِّفَاعِ عَنِ الرَّأْيِ وَالتَّعَصُّبِ وَالرَّغْبَةِ فِي إِيجَادِ البَرَاهِينِ الَّتِي تُدْعِمُ رَأْيَهُ وَتُؤَيِّدُهُ. وَوَصَلَ الأَمْرَ بِهَذَا المَاكِرِ إِلَى أَنْ يَقُولَ: إِنَّ عَلِيّاً فِي السَّحَابِ فَإِذَا غَضِبَ صَدَرَ عَنْهُ صَوْتٌ هُوَ الرَّعْدُ.

انْتَقَلَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ سَبَأٍ الَّذِي عُرِفَ بِـ «ابنِ السَّوْدَاءِ» نِسْبَةً إِلَى أُمِّهِ مِنَ اليَمَنِ إِلَى الحِجَازِ، وَلَكِنْ لَمْ يَجِدْ ضَالَّتَهُ لِكَثْرَةِ الصَّحَابَةِ وَأَبْنَائِهِمْ، وَوَعْيِهِمُ الإِسْلاَمِيِّ، وَثَبَاتِ عَقِيدَتِهِمْ، لِأَنَّ هَذِهِ المَنْطِقَةِ مَهْدُ الإِسْلاَمِ، وَفِيهَا حَمَلَتُهُ. فَسَارَ إِلَى البَصْرَةِ، وَمِنْهَا انْتَقَلَ إِلَى الكُوفَةِ، ثُمَّ اتَّجَهَ إِلَى الشَّامِ، وَلَكِنْ لَمْ يَجِدْ مُبْتَغَاهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ التَّأْثِيرَ عَلَى أَحَدٍ فِي الشَّامِ، بَلْ طَرَدُوهُ مِنْ بَلَدِهِمْ، فَخَرَجَ إِلَى مِصْرَ حَيْثُ اسْتَقَرَّ هُنَاكَ، وَاسْتَمَرَّ يَتَّصِلُ مِنْ مِصْرَ بِمَنْ وَجَدَ عِنْدَهُمْ شَيْئاً مِنَ التَّجَاوُبِ فِي الأَمْصَارِ الأُخْرَى. وَكَانَ يُرَكِّزُ عَلَى إِفْسَادِ العَقِيدَةِ، وَإِضَافَةً إِلَى نَفْثِ سُمُومِهِ فِي ذَلِكَ كَانَ يُحَاوِلُ الثَّنَاءَ عَلَى بَعْضِ الصَّحَابَةِ الَّذِين لَهُمْ مَكَانَةٌ خَاصَّةٌ فِي مِصْرَ مِنَ الأَمْصَارِ فَكَانَ مَثَلاً يَثْنِي عَلَى الزُّبَيْرِ بنِ العَوَّامِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي البَصْرَةِ، وَعَلَى طَلْحَةَ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي الكُوفَةِ، وَعَلَى عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ فِي مِصْرَ خَاصَّةً وَذَلِكَ لِزَرْعِ بُذُورِ الفِتْنَةِ. وَكَانَ نَقْدُ الخَلِيفَةِ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَنَقْدُ الخَلِيفَةِ إِنَّمَا هُوَ نَقْدُ مَنْ يُمَثِّلُ الخَلِيفَةُ سَوَاءٌ أَكَانَ الإِسْلاَمُ أَمِ المُسْلِمِينَ. وَقَدْ قُلْنَا: إِنَّ مَا يُدَّعَى أَنَّهُ يُؤْخَذُ

عَلَيْهِ هُوَ: الضَّعْفُ (اللِّينُ)، وَتَقْدِيمُ أَقْرِبَائِهِ لِلْوِلاَيَاتِ، وَمَنْحِهِمُ الأُعْطِيَاتِ، وَكُلُّ مَا يَدُورُ حَوْلَ هَذِهِ النُّقَاطِ الثَّلاَثِ، وَقَدْ بَيَّنَا كَذِبَ هَذِهِ الادِّعَاءَاتِ، فَقَدْ كَانَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ حَلِيماً وَلَمْ يَكُنْ ضَعِيفاً، وَأَنَّ الوُلاَةَ كَانُوا عُمَّالاً قَبْلَ إِمْرَتِهِ، وَأَنَّ الأُعْطِيَاتِ كَانَتْ مِنْ مَالِهِ الخَاصِّ صِلَةً لِلرَّحْمِ، وَقَدْ كَانَ ذَا مَالٍ وَفِيرٍ، وَتِجَارَتُهُ الرَّائِجَةُ تَمُدُّ ذَاكَ المَالَ بِمَزِيدٍ مِنْهُ.

نُمو بُذُورِ الشَّرِّ:

بَدَأَتْ بُذُورُ الشَّرِّ تَنْمُو، وَأَخَذَتْ تَظْهَرُ عَلَى السَّطْحِ حَسَبَ خُصُوبَةِ التُّرْبَةِ الَّتِي زُرِعَتْ فِيهَا، وَأَوَّلُ مَا ظَهَرَتْ فِي الكُوفَةِ، وَبَدَأَ الحَدِيثُ عَنْ وَالِيهَا سَعِيدِ بنِ العَاصِ، ثُمَّ انْتَقَلَ المَوْضُوعُ إِلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ وَذَلِكَ عَلَى أَلْسِنَةِ العَامَّةِ مِنَ النَّاسِ وَالأَعْرَابِ، وَأَصْحَابِ الأَهْوَاءِ، وَمَنْ كَانَ حَدِيثَ عَهْدٍ بِالإِسْلَامِ. وَمَا أَجْمَلَ الحَدِيثَ بِالسُّوءِ مِنْ أَصْحَابِ المَصَالِحِ عَنِ السُّلْطَةِ إِذَا فُسِحَ المَجَالُ. وَكَانَ مِنَ المُتَحَدِّثِينَ: مَالِكُ بنُ الحَارِثِ الأَشْتَرُ النَّخَعِيُّ، وَثَابِتُ بنُ قَيْسٍ النَّخَعِيُّ، وَكُمَيْلُ بنُ زِيَادٍ النَّخَعِيُّ، وَزِيَادُ بنُ صَوْحَانَ العَبْدِيُّ، وَجُنْدُبُ بنُ زُهَيْرٍ

الغَامِدِيُّ، وَجُنْدُبُ بنُ كَعْبٍ الأَزْدِيُّ، وَعُرْوَةُ بنُ الجَعْدِ، وَعَمْرُو بنُ الحَمِقِ الخُزَاعِيُّ، وَأَمْثَالُهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ. وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ عَهْدِ خِلاَفَةِ عُثْمَانَ وَبَعْدَ مُرُورِ عَشْرِ سُنَوَاتٍ عَلَى إِمْرَتِهِ.

وَتَفَادِياً لِلشَّرِ سُيِّرَ هَؤُلاَءِ المُنْحَرِفُونَ مِن الكُوفَةِ إِلَى الشَّامِ كَنَوْعٍ مِن إِبْعَادِ المُنْحَرِفِ عِنْ مَعَارِفِهِ، غَيْرَ أَنَّهُمْ رُدُّوا ثَانِيَةً إِلَى الكُوفَةِ، فَلَمْ يَطِبْ لَهُمْ المُقَامَ فِيهَا بَعْدَ عُقُوبَةِ الإِبْعَادِ، فَقَالُوا: إِنَّ الشَّامَ وَالكُوفَةَ لَيْسَتَا لَنَا بِدَارٍ، فَاتَّجَهُوا إِلَى الجَزِيرَةِ الفُرَاتِيَّةِ، فَشَدَّدَ عَلَيْهِمْ وَالِيهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ، وَسَيَّرَ الأَشْتَرَ النَّخْعِيَّ إِلَى المَدِينَةِ، فَخَيَّرَهُ الخَلِيفَةُ فِي المَكَانِ الَّذِي يَرْغَبُ سُكْنَاهُ، فَاخْتَارَ مَنْطِقَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ خَالِدٍ فِي الجَزِيرَةِ، وَسَارَ إِلَيْهَا. وَكَانَ ابنُ السَّوْدَاءِ فِي مِصْرَ يُرَاسِلُ المُنْحَرِفِينَ فِي الأَمْصَارِ، وَيَزِيدُ فِي إِضْرَامِ نَارِ الفِتْنَةِ.

جَمَعَ الخَلِيفَةُ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ عُمَّالَهُ عَلَى الأَمْصَارِ فِي مَوْسِمِ الحَجِّ عَامَ ٣٤ هـ، وَهُمْ: مُعَاوِيَةُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ سَعْدِ بنِ أَبِي سَرْحٍ، وَسَعِيدُ بنُ

العَاصِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ عَامِرٍ، وَدَعَا عَمْرَو بنَ العَاصِ، وَاسْتَشَارَهُمْ فِي أَمْرِ هَؤْلاَءِ المُنْحَرِفِينَ وَمَا يَتَكَلَّمُونَ بِهِ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ لِكُلِّ امْرِىءٍ وَزُرَاءَ وَنُصَحَاءَ، وَإِنَّكُمْ وَزُرَائِي وَنُصَحَائِي وَأَهْلُ ثِقَتِي، وَقَدْ صَنَعَ النَّاسُ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ، وَطَلَبُوا إِلَيَّ أَنْ أَعْزِلَ عُمَّالِي، وَأَنْ أَرْجِعَ عَنْ جَمِيعِ مَا يَكْرَهُونَ إِلَى مَا يُحِبُّونَ، فَاجْتَهِدُوا رَأْيَكُمْ وَأَشِيرُوا عَلَيَّ.

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَامِرٍ: رَأْيِي لَكَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ أَنْ تَأْمُرَهُمْ بِجِهَادٍ يُشْغِلُهُمْ عِنكَ، وَأَنْ تُجَمِّرَهُمْ فِي المَغَازِي حَتَّى يَذِلُّوا لَكَ، فَلاَ يَكُونُ هِمَّةُ أَحَدِهِمْ، إِلاَّ نَفْسَهُ، وَمَا هُوَ فِيهِ مِنْ دَبَرَةِ دَابَّتِهِ، وَقَمْلِ فَرْوِهِ. ثُمَّ أَقْبَلَ عُثْمَانَ عَلَى سَعِيدِ بنِ العَاصِ، فَقَالَ لَهُ: مَا رَأْيُكَ؟ قَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنْ كُنتَ تَرَى رَأْيَنَا فَاحْسُمْ عَنَكَ الدَّاءَ، وَاقْطَعْ عَنْكَ الَّذِي تَخَافُ، وَاعْمَلْ بِرَأْيِي تُصِبْ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ قَادَةً مَتَى تَهْلِكْ يَتَفَرَّقُوا، وَلاَ يَجْتَمِعْ لَهُمْ أَمْرٌ. فَقَالَ عُثْمَانُ: إِنَّ هَذَا الرَّأْيَ لَوْلاَ مَا فِيهِ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: مَا رَأْيُكَ؟ أَرَى لَكَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ أَنْ تَرُدَّ عُمَّالَكَ عَلَى الكِفَايَةِ لِمَا قِبَلَهُمْ، وَأَنَا ضَامِنٌ لَكَ قِبَلِي.

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بنِ سَعْدٍ، فَقَالَ: مَا رَأْيُكَ؟ قَالَ: أَرَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ النَّاسَ أَهْلُ طَمَعٍ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ هَذَا المَالِ تَعْطِفْ عَلَيْكَ قُلُوبُهُمْ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عُمْرٍو بنِ العَاصِ، فَقَالَ لَهُ: مَا رَأْيُكَ؟ قَالَ: أَرَى أَنَّكَ قَدْ رَكِبْتَ النَّاسَ بِمَا يَكْرَهُونَ، فَاعْتَزِمْ أَنْ تَعْتَدِلَ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَاعْتَزِمْ أَنْ تَعْتَزِلَ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَاعْتَزِمْ عَزْماً، وَامْضِ قُدُماً، فَقَالَ عُثْمَانُ: مَالَكَ قَمِلَ فَرْوُكَ؟ أَهَذَا الجِدُّ مِنْكَ! فَأَسْكَتَ عَنْهُ دَهْرَاً، حَتَّى إِذَا تَفَرَّقَ القَوْمُ، قَالَ عَمْرُو: لاَ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، لأَنْتَ أَعزُّ عَلَيَّ مِنْ ذَلِكَ، وَلَكِنْ قَدْ عَلِمْتُ أَنْ سَيَبْلُغَ النَّاسَ قَوْلُ كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا، فَأَرَدْتُ أَنْ يَبْلُغَهُمْ قَوْلِي، فَيَثِقُوا بِي، فَأَقُودَ إِلَيْكَ خَيْرَاً أَوْ أَدْفَعَ عَنْكَ شَرّاً[١].

وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ عُثْمَانَ جَمَعَ أُمَرَاءَ الأَجْنَادِ: مُعَاوِيَةَ بنَ أَبِي سُفْيَانَ، وَسَعِيدَ بنَ العَاصِ، وَعَبْدَ اللَّهِ بنَ عَامِرٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بنَ سَعْدِ بنِ أَبِي سَرْحٍ، وَعُمْرَو بنَ العَاصِ، فَقَالَ: أَشِيرُوا عَلَيَّ فَإِنَّ النَّاسَ تَنَمَّرُوا لِي، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ:

---

(١) تاريخ الطبري.

أُشِيرُ عَلَيْكَ أَنْ تَأْمُرَ أُمَرَاءَ أَجْنَادِكَ فَيَكْفِيكَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَا قِبَلَهُ، وَأَكْفِيكَ أَنَا أَهْلَ الشَّامِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَامِرٍ: أَرَى أَنْ تُجَمِّرَهُمْ فِي هَذِهِ البُعُوثِ حَتَّى يَهِمَّ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ دَبَرُ دَابَّتِهِ، وَتُشْغِلَهُمْ عَنِ الإِرْجَافِ بِكَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ سَعْدٍ: أُشِيرُ عَلَيْكَ أَنْ تَنْظُرَ مَا أَسْخَطَهُمْ فَتُرْضِيَهُمْ، ثُمَّ تُخْرِجُ لَهُمْ هَذَا المَالَ فَيُقْسَمُ بَيْنَهُمْ.

ثُمَّ قَامَ عَمْرُو بنُ العَاصِ، فَقَالَ: يَا عُثْمَانُ إِنَّكَ قَدْ رَكِبْتَ النَّاسَ بِمِثْلِ بَنِي أُمَيَّةَ، فَقُلْتَ، وَقَالُوا، وَزِغْتَ وَزَاغُوا، فَاعْتَدِلْ أَوِ اعْتَزِلْ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَاعْتَزِمْ عَزْماً، وَامْضِ قُدُماً، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: مَالَكَ قَمِلَ فَرْوُكَ! أَهَذَا الجِدُّ مِنْكَ! فَأَسْكَتَ عَمْرَاً، حَتَّى إِذَا تَفَرَّقُوا، قَالَ: لاَ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، لأَنْتَ أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْ ذَلِكَ، وَلَكِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ بِالبَابِ قَوْماً قَدْ عَلِمُوا أَنَّكَ جَمَعْتَنَا لِنُشِيرَ عَلَيْكَ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَبْلُغَهُمْ قَوْلِي فَأَقُودَ لَكَ خَيْرَاً، أَوْ أَدْفَعَ عَنْكَ شَرّاً. فَرَدَّ عُثْمَانُ عُمَّالَهُ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَأَمَرَهُمْ بِالتَّضْيِيقِ عَلَى مَنْ قِبَلَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ بِتَجْمِيرِ النَّاسِ فِي البُعُوثِ، وَعَزَم عَلَى تَحْرِيمِ أُعْطِيَاتِهِمْ لِيُطِيعُوهُ وَيَحْتَاجُوا

إِلَيْهِ، وَرَدَّ سَعِيدَ بنَ العَاصِ أمِيرَاً عَلى الكُوفَةِ، فَخَرَجَ أَهْلُ الكُوفَةِ عَلَيْهِ بِالسِّلاَحِ، فَتَلَقَّوْهُ فَرَدُّوهُ، وَقَالُوا: لاَ وَاللَّهِ لاَ يَلِي عَلَيْنَا حُكْمَاً مَا حَمَلْنَا سُيُوفَنَا[1]. وَذَلِكَ يَوْمَ الجَرَعَةِ، وَالجَرَعَةُ مَكَانٌ مُشْرِفٌ قُرْبَ القَادِسِيَّةِ، وَهُنَاكَ تَلَقَّاهُ أَهْلُ الكُوفَةِ.

وَرَجَعَ سَعِيدُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَخْبَرَهُ الخَبَرَ، فَقَالَ: مَا يُرِيدُونَ؟ أَخَلَعُوا يَدَاً مِنْ طَاعَةٍ؟ قَالَ: أَظْهَرُوا أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ البَدَلَ. قَالَ: فَمَنْ يُرِيدُونَ؟ قَالَ: أَبَا مُوسَى، قَالَ: قَدْ أَثْبَتْنَا أَبَا مُوسَى عَلَيْهِمْ، وَوَاللَّهِ لاَ نَجْعَلُ لِأَحَدٍ عُذْرَاً. وَلاَ نَتْرُكُ لَهُمْ حُجَّةً، وَلَنَصْبِرَنَّ كَمَا أُمِرْنَا حَتَّى نَبْلُغَ مَا يُرِيدُونَ.

وَقَامَ أَبُو مُوسَى، فَتَكَلَّمَ بِالكُوفَةِ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، لاَ تَنْفِرُوا فِي مِثْلِ هَذَا، وَلاَ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ، الزَمُوا جَمَاعَتَكُمْ وَالطَّاعَةَ، وَإِيَّاكُمْ وَالعَجَلَةَ، اصْبِرُوا، فَكَأَنَّكُمْ بِأَمِيرٍ. قَالُوا: فَصَلِّ بِنَا، قَالَ: لاَ إِلاَّ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ

(١) المصدر السابق نفسه.

لِعُثْمَانَ بنِ عَفَّان؛ قَالُوا: عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِعُثْمَانَ.

وَكَانَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ قَدْ كَتَبَ إِلَى أَهْلِ الكُوفَةِ مَعَ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ وَقَدْ وَلاَّهُ عَلَيْهِمْ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَمَّرْتُ عَلَيْكُمْ مَنِ اخْتَرْتُمْ، وَأَعْفَيْتُكُمْ مِنْ سَعِيدٍ، وَاللَّهِ لأَفْرُشَنَّكُمْ عِرْضِي، وَلأَبْذِلَنَّ لَكُمْ صَبْرِي، وَلأَسْتَصْلِحَنَّكُمْ بِجُهْدِي، فَلاَ تَدَعُوا شَيْئاً أَحْبَبْتُمُوهُ لاَ يُعْصَى اللَّهُ فِيهِ إِلاَّ سَأَلْتُمُوهُ، وَلاَ شَيْئاً كَرِهْتُمُوهُ لاَ يُعْصَى اللَّهُ فِيهِ إِلاَّ اسْتَعْفَيْتُمْ مِنْهُ، أَنْزِلُ فِيهِ عِنْدَ مَا أَحْبَبْتُمْ، حَتَّى لاَ يَكُونَ لَكُمْ عَلَيَّ حُجَّةٌ.

عَطْفُ ذِي النُّورَيْنِ:

وَكَانَ مُعَاوِيَةُ قَدْ قَالَ لِعُثْمَانَ غَدَاةَ وَدَّعَهُ وَخَرَجَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ انْطَلِقْ مَعِي إِلَى الشَّامِ قَبْلَ أَنْ يَهْجُمَ عَلَيْكَ مَنْ لاَ قِبَلَ لَكَ بِهِ، فَإِنَّ أَهْلَ الشَّامِ عَلَى الأَمْرِ لَمْ يَزَالُوا. فَقَالَ: لاَ أَبِيعُ جِوَارَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بِشَيْءٍ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ قَطْعُ خَيْطِ عُنُقِي. قَالَ: فَأَبْعَثُ إِلَيْكَ جُنْداً مِنْهُمْ يُقِيمُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَهْلِ المَدِينَةِ لِنَائِبَةٍ إِنْ نَابَتِ المَدِينَةَ أَوْ إِيَّاكَ. قَالَ: أَنَا أُقَتِّرُ عَلَى جِيرَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، الأَرْزَاقَ بِجُنْدٍ

تُسَاكِنُهُمْ، وَأُضَيِّقُ عَلَى أَهْلِ دَارِ الهِجْرَةِ وَالنُّصْرَةِ! قَالَ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ لَتُغْتَالَنَّ أَوْ لَتُغْزَيَنَّ، قَالَ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلِ.

الحَرَكَةُ:

لَمَّا بَلَغَ عَبْدَ اللَّهِ بنَ سَبَأٍ خَبَرُ عَزْلِ سَعِيدِ بنِ العَاصِ عَنِ الكُوفَةِ وَتَوْلِيَةِ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ كَمَا طَلَبَ الكُوفِيُّونَ رَأَى أَنَّ جُهْدَهُ قَدْ أَثْمَرَ، وَقَدْ حَانَ القِطَافُ، فَكَاتَبَ أَشْيَاعَهُ مِنْ أَهْلِ الأَمْصَارِ أَنْ يَتَوَافَوْا بِالمَدِينَةِ لِيَنْظُرُوا فِيمَا يُرِيدُونَ، وَأَظْهَرُوا أَنَّهُمْ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ، وَيَسْأَلُونَ عُثْمَانَ عَنْ أَشْيَاءَ لِتَطِيرَ فِي النَّاسِ، وَلِتُحَقَّقَ عَلَيْهِ، فَتَوَافَوْا بِالمَدِينَةِ. وَأَرْسَلَ عُثْمَانُ رَجُلَيْنِ مَخْزُومِيّاً وَزُهْرِيّاً، فَقَالَ: انْظُرُوا مَا يُرِيدُونَ، وَاعْلَمَا عِلْمَهُمْ ـ وَكَانَا مِمَّنْ قَدْ نَالَهُ مِنْ عُثْمَانَ أَدَبٌ، فَاصْطَبَرَا لِلْحَقِّ وَلَمْ يَضْطَغِنَا ـ فَلَمَّا رَأَوهُمَا بَاثُوهُمَا وَأَخْبَرُوهُمَا بِمَا يُرِيدُونَ، فَقَالاَ: مَنْ مَعَكُمْ عَلَى هَذَا مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ؟ قَالُوا: ثَلاَثَةُ نَفَرٍ، فَقَالاَ: هَلْ إِلاَّ؟ قَالُوا: لاَ! قَالاَ: فَكَيْفَ تُرِيدُونَ أَنْ تَصْنَعُوا؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ نَذْكُرَ لَهُ أَشْيَاءَ قَدْ زَرَعْنَاهَا فِي قُلُوبِ النَّاسِ، ثُمَّ نَرْجِعَ إِلَيْهِمْ فَنَزْعُمُ لَهُمْ أَنَّا قَرَّرْنَاهُ بِهَا،

فَلَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا، وَلَمْ يَتُبْ، ثُمَّ نَخْرُجُ كَأَنَّنَا حُجَّاجٌ حَتَّى نَقْدَمَ فَنُحِيطَ بِهِ فَنَخْلَعَهُ، فَإِنْ أَبَى قَتَلْنَاهُ. وَكَانَتْ إِيَّاهَا فَرَجِعَا إِلَى عُثْمَان بِالخَبَرِ، فَضَحِكَ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ هَؤُلاَءِ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُسَلِّمْهُمْ شَقُوا.

وَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى الكُوفِيِينَ وَالبَصْرِيِينَ، وَنَادَى الصَّلاَةُ جَامِعَةٌ! وَهُمْ عِنْدَهُ فِي أَصْلِ المِنْبَرِ، فَأَقْبَلَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى أَحَاطُوا بِهِمْ. فَحَمِدَ اللَّهِ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَأَخْبَرَهُمْ خَبَرَ القَوْمِ، وَقَامَ الرَّجُلاَنِ، فَقَالُوا جَمِيعَاً اقْتُلْهُمْ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (مَنْ دَعَا إِلَى نَفْسِهِ أَوْ إِلَى أَحَدٍ، وَعَلَى النَّاسِ إِمَامٌ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ، فَاقْتُلُوهُ). وَقَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِي الله عَنْهُ: «لاَ أُحِلُّ لَكُمْ إلاَّ مَا قَتَلْتُمُوهُ وَأَنَا شَرِيكُكُمْ».

فَقَالَ عُثْمَانُ: بَلْ نَعْفُو، وَنَقْبَلُ، وَنُبَصِّرُهُمْ بِجُهْدِنَا، وَلاَ نُحَادُّ أَحَدَاً حَتَّى يَرْكَبَ حَدَّاً، أَوْ يُبْدِيَ كُفْرَاً. إِنَّ هَؤُلاَءِ قَدْ ذَكَرُوا أُمُوراً قَدْ عَلِمُوا مِنْهَا مِثْلَ الَّذِي عَلِمْتُمْ، إِلاَّ أَنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّهُمْ يُذَاكِرُونِيهَا لِيُوجِبُوهَا عَلَيَّ عِنْدَ مَنْ لاَ يَعْلَمُ.

وَقَالُوا: أَتَمَّ الصَّلاَةَ فِي السَّفَرِ، وَكَانَتْ لاَ تُتَمّ، أَلاَ وَإِنِّي قَدِمْتُ بَلَدَاً فِيهِ أَهْلِي، فَأَتْمَمْتُ لِهَذِينَ الأَمْرَيْنِ، أَوَ كَذَلِكَ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

وَقَالُوا: وَحَمَيْتَ حِمَىً، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا حَمَيْتُ، حُمِيَ قَبْلِي، وَاللَّهِ مَا حَمُوا شَيْئَاً لِأَحَدٍ مَا حَمُوا إِلاَّ غَلَبَ عَلَيْهِ أَهْلُ المَدِينَةِ، ثُمَّ لَمْ يَمْنَعُوا مِنْ رَعِيَةٍ أَحَدَاً وَاقْتَصَرُوا لِصَدَقَاتِ المُسْلِمِينَ يَحْمُونَهَا لِئَلاَّ يَكُونَ بَيْنَ مَنْ يَلِيهَا وَبَيْنَ أَحَدٍ تَنَازُعٌ، ثُمَّ مَا مَنَعُوا وَلاَ نَحُّوا مِنْهَا أَحَدَاً إِلاَّ مَنْ سَاقَ دِرْهَمَاً. وَمَالِي مِنْ بَعِيرٍ غَيْرُ رَاحِلَتَيْنِ، وَمَالِي ثَاغِيَةٌ وَلاَ رَاغِيَةٌ، وَإِنِّي قَدْ وُلِّيتُ، وَإِنِّي أَكْثَرُ العَرَبِ بَعِيرَاً وَشَاءً، فَمَالِي اليَوْمَ شَاةٌ وَلاَ بَعِيرٌ غَيْرَ بَعِيرَيْنِ لِحَجِّي، أَكَذَلِكَ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

وَقَالُوا: كَانَ القُرْآنُ كُتُبَاً، فَتَرَكْتَهَا إِلاَّ وَاحِدَاً، أَلاَ وَإِنَّ القُرْآنَ وَاحِدٌ، جَاءَ مِنْ عِنْدِ وَاحِدٍ، وَإِنَّمَا أَنَا فِي ذَلِكَ تَابِعٌ لِهَؤُلاَءِ، أَكَذَلِكَ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. وَسَأَلُوهُ أَنْ يُقِيلَهُمْ.

وَقَالُوا: إِنِّي رَدَدْتُ الحَكَمَ، وَقَدْ سَيَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَالحكمُ مَكِّيٌ، سَيَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،

مِنْ مَكَّةَ إِلَى الطَّائِفَ، ثُمَّ رَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ، سَيَّرَهُ، وَرسُولُ الله ﷺ رَدَّهُ، أَكَذَلِكَ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

وَقَالُوا: اسْتَعْمَلْتَ الأَحْدَاثَ، وَلَمْ أَسْتَعْمِلْ إِلاَّ مُجْتَمِعَاً مُحْتَلِماً مَرْضِيَاً، وَهَؤُلاَءِ أَهْلُ عَمَلِهِمْ، فَسَلُوهُمْ عَنْهُ، وَهَؤُلاَءِ أَهْلُ بَلَدِهِ، وَقَدْ وَلَّى مَنْ قَبْلِي أَحْدَثَ مِنْهُمْ، وَقِيلَ فِي ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَشَدُّ مِمَّا قِيلَ لِي فِي اسْتَعْمَالِهِ أُسَامَةَ، أَكَذَاكَ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. يَعِيبُونَ لِلنَّاسِ مَا لاَ يُفَسِّرُونَ.

وَقَالُوا: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابنَ أَبِي سَرْحٍ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَإِنِّي إِنَّمَا نَفَلْتُهُ خُمْسَ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الخُمْسِ، فَكَانَ مِائَةَ أَلْفٍ، وَقَدْ أَنفَذَ مِثْلَ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَزَعَمَ الجُنْدُ أَنَّهُمْ يَكْرَهُونَ ذَلِكَ، فَرَدَدْتُهُ عَلَيْهِمْ، وَلَيْسَ ذَاكَ لَهُمْ، أَكَذَاكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ.

وَقَالُوا: إِنِّي أُحِبُّ أَهْلَ بَيْتِي وَأُعْطِيهِمْ، فَأَمَّا حُبِّي فَإِنَّهُ لَمْ يَمِلْ مَعَهُمْ عَلَى جَوْرٍ، بَلْ أَحْمِلُ الحُقُوقَ عَلَيْهِمْ، وَأَمَّا إِعْطَاؤُهُمْ فَإِنِّي مَا أُعْطِيهِمْ إِلاَّ مِنْ مَالِي، وَلاَ أَسْتَحِلُّ أَمْوَالَ

المُسْلِمِينَ لِنَفْسِي، وَلاَ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، وَلَقَدْ كُنْتُ أُعْطِي العَطِيَّةَ الكَبِيرَةَ الرَّغِيبَةَ مِنْ صُلْبِ مَالِي أَزْمَانَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ شَحِيحٌ حَرِيصٌ، أَفَحِينَ أَتَيْتُ عَلَى أَسْنَانِ أَهْلِ بَيْتِي، وَفَنِيَ عُمْرِي، وَوَدَّعْتُ الَّذِي لِي فِي أَهْلِي، قَالَ المُلْحِدُونَ مَا قَالُوا! وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا حَمَلْتُ عَلَى مِصْرٍ مِنَ الأَمْصَارِ فَضْلاً فَيَجُوزُ ذَلِكَ لِمَنْ قَالَهُ، وَلَقَدْ رَدَدْتُهُ عَلَيْهِمْ، وَمَا قَدِمَ عَلَيَّ إِلاَّ الأَخْمَاسِ، وَلاَ يَحِلُّ لِي مِنْهَا شَيْءٌ، فَوَلِي المُسْلِمُونَ وَضْعَهَا فِي أَهْلِهَا دُونِي، وَلاَ يُتَلَفَّتُ مِنْ مَالِ اللَّهِ بِفِلْسٍ فَمَا فَوْقَهُ، وَمَا أَتَبَلَّغُ مِنْهُ، مَا آكُلُ إِلاَّ مَالِي.

وَقَالُوا: أَعْطَيْتَ الأَرْضَ رِجَالاً، وَإِنَّ هَذِهِ الأَرْضِينَ شَارَكَهُمْ فِيهَا المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ أَيَّامَ افْتُتِحَتْ، فَمَنْ أَقَامَ بِمَكَانٍ مِنْ هَذِهِ الفُتُوحِ فَهُوَ أُسْوَةُ أَهْلِهِ، وَمَنْ رَجِعَ إِلَى أَهْلِهِ لَمْ يُذْهِبْ ذَلِكَ مَا حَوَى اللَّهُ لَهُ، فَنَظَرْتُ فِي الَّذِي يُصِيبُهُمْ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَبَعْتُهُ لَهُمْ بِأَمْرِهِمْ مِنْ رِجَالِ أَهْلِ عِقَارٍ بِبِلاَدِ العَرَبِ، فَنَقَلْتُ إِلَيْهِمْ نَصِيبَهُمْ، فَهُوَ فِي أَيْدِيهِمْ دُونِي.

وَكَانَ عُثْمَانُ قَدْ قَسَمَ مَالَهُ وَأَرْضَهُ فِي بَنِي أُمَيَّةَ،

وَجَعَلَ وَلَدَهُ كَبَعْضِ مَنْ يُعْطِي، فَبَدَأَ بِبَنِي أَبِي العَاصِ، فَأَعْطَى آلَ الحَكَمِ رِجَالَهُمْ عَشَرَةَ آلاَفٍ عَشَرَةَ آلاَفٍ، فَأَخَذُوا مِائَةَ أَلْفٍ، وَأَعْطَى بَنِي عُثْمَانَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَقَسَمَ فِي بَنِي العَاصِ، وَفِي بَنِي العِيصِ، وَفِي بَنِي حَرْبٍ. وَلاَنَتْ حَاشِيَةُ عُثْمَانَ لِأُولَئِكَ الطَّوَائِفِ مِنَ المُشَاغِبِينَ، وَأَبَى المُسْلِمُونَ إِلاَّ قَتْلَهُمْ، وَأَبَى إِلاَّ تَرْكَهُمْ. فَذَهَبُوا وَرَجَعُوا إِلَى بِلاَدِهِمْ عَلَى أَنْ يَغْزُوهُ مَعَ الحُجَّاجِ كَالْحُجَّاجِ، فَتَكَاتَبُوا وَقَالُوا: مَوْعِدُكُمْ ضَوَاحِيَ المَدِينَةِ فِي شَوَّالَ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ شَوَّالُ مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ[1]، ضَرَبُوا كَالحُجَّاجِ فَنَزَلُوا قُرْبَ المَدِينَةِ[2].

إِنَّ أَهْلَ البَاطِلِ لاَ يَسْمَعُونَ الحَقَّ وَإِنْ سَمِعَتْهُ آذَانُهُمْ رَفَضَهُ وَاقِعُهُمْ، فَقَبْلَ أَنْ يَنْصَرِفُوا تَوَاعَدُوا إِلَى الرُّجُوعِ قُبَيْلَ المَوْسِمِ، إِذْ لَمْ تُفْدِهُمْ أَعْمَالُ الخَلِيفَةِ وَلِينُهُ، بَلِ اسْتَمَرُّوا فِي تَصَرُّفَاتِهِمْ وَكَلاَمِهِمْ، فَأَرْسَلَ الخَلِيفَةُ بَعْضَ الصَّحَابَةِ إِلَى الأَمْصَارِ يَسْتَطْلِعُونَ آرَاءَ النَّاسِ، وَيَعْرِفُونَ

---

(١) من خلافة عثمان.

(٢) تاريخ الطبري.

أَخْبَارَ المُسْلِمِينَ وَمَوْقِفَهُمْ. فَقَدْ بَعَثَ مُحَمَّدَ بنَ مَسْلَمَةَ إِلَى الكُوفَةِ، وَأُسَامَةَ بنَ زَيْدٍ إِلَى البَصْرَةِ، وَعَبْدَ اللَّهِ بنَ عُمَرَ إِلَى الشَّامِ، وَعَمَّارَ بنَ يَاسِرٍ إِلَى مِصْرَ، وَفَرَّقَ رِجَالاً سِوَاهُمْ، فَرَجَعُوا جَمِيعاً قَبْلَ عَمَّارَ، فَقَالُوا: أَيُّهَا النَّاسُ، مَا أَنْكَرْنَا شَيْئاً، وَلاَ أَنْكَرَهُ أَعْلاَمُ المُسْلِمِينَ، وَلاَ عَوَامُّهُمْ، وَقَالُوا جَمِيعاً: الأَمْرُ أَمْرُ المُسْلِمِينَ، أَلاَ إِنَّ أَمَرَاءَهُمْ يُقْسِطُونَ بَيْنَهُمْ، وَيَقُومُونَ عَلَيْهِمْ.

وَاسْتَبْطَأَ النَّاسُ عَمَّاراً حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهُ قَدِ اغْتِيلَ فَلَمْ يَفْجَأْهُمْ إِلاَّ كِتَابٌ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ سَعْدِ بنِ أَبِي سَرْحٍ يُخْبِرُهُمْ أَنَّ عَمَّاراً قَدِ اسْتَمَعَ إِلَى قَوْمٍ بِمِصْرَ، وَقَدِ انْقَطَعُوا إِلَيْهِ، مِنْهُمْ: عَبْدُ اللَّهِ بنُ سَبَأٍ، وَخَالِدُ بنُ مُلْجَمٍ، وَسُودَانُ بنُ حُمْرَانَ، وَكِنَانَةُ بنُ بِشْرٍ.

المُسَابَقَةُ:

رَأَى عَبْدُ اللَّهِ بنُ سَبَأٍ أَنَّ النَّتَائِجَ قَرِيبَةٌ، وَأَنَّ التَّخْطِيطَ أَثْمَرَ، وَأَنَّ الحَصَادَ قَدِ اقْتَرَبَ، وَخَافَ أَنْ يَكُونَ بَعِيداً عَنِ الأَحْدَاثِ أَثْنَاءَ وُقُوعِهَا، وَاليَهُودُ لاَ يَثِقُونَ بِأَحَدٍ مَهْمَا كَانَ ارْتِبَاطُهُ بِهِمْ، وَتَعَاوُنُهُ مَعَهُمْ إِلاَّ إِنْ كَانَ عَلَى دِينِهِمْ، وَقَدْ

جرَتْ أَحْدَاثٌ بِالمَدِينَةِ وَهُوَ بَعِيدٌ عَنْهَا ـ كَمَا ذَكَرْنَا ـ بَلْ لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ عِلى مَقْرُبَةٍ مِنْهُ لِذَا سَعَى بِمَسِيرِ وَفْدٍ مِنْ مِصْرَ حَيْثُ يُقِيمُ هُوَ فِي شَهْرِ رَجَبَ عَامَ ٣٥ هـ إِلَى الحِجَازِ، يُظْهِرُونَ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ العُمْرَةَ، وَفِي نِيَّتِهِمْ مُنَاظَرَةُ الخَلِيفَةِ وَمُنَاقَشَتُهُ فِي المَدِينَةِ وَذَلِكَ لِبَلْبَلَةِ الآرَاءِ، وَإِشْعَالِ نَارِ الفِتْنَةِ، وَتَمَّتْ مُقَابَلَةُ الخَلِيفَةِ، وَأَبْدَى رَأْيَهُ، وَأَقْنَعَ الوَفْدَ بِنَفْسِهِ، وَعَنْ طَرِيقِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَمِنْهُمْ: عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، وَمُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ. وَدَخَلَ بَعْضُ الوَفْدِ المَدِينَةَ، وَحَضَرُوا خُطْبَةً لِلْخَلِيفَةِ، أَثْنَى فِيهَا عَلَى الوَفْدِ، وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ، وَبَكَى وَأَبْكَى النَّاسَ، وَانْصَرَفَ المِصْرِيُونَ رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ.

لَمْ يَرُقِ المَوْضُوعُ لِعَبْدِ اللَّهِ بنِ سَبَأ. وَلَمْ يَرْضَ عَمَّا قَامَ بِهِ المِصْرِيُونَ بَلْ عَدَّهُمْ أَصْحَابَ عَاطِفَةٍ وَلِينٍ، وَقَدْ أَثَّرَ بِهِمُ المَوْقِفُ. وَرَأَى أَنَّ العِرَاقِيِينَ أَكْثَرَ شِدَّةً، وَأَنَّ المُشَاغِبِينَ أَوِ المُنَاقِشِينَ يَجِبُ أَنْ يَكُونُوا مِنْ مُخْتَلَفِ الأَمْصَارِ لِزِيَادَةِ العَدَدِ، وَكَثْرَةِ الفَوْضَى، وَبَلْبَلَةِ الأَفْكَارِ، لِذَا رَجَعَ يُؤَكِّدُ عَلَى اللِّقَاءِ فِي ضَوَاحِي المَدِينَةِ الَّذِي تَمَّ الاتِّفَاقُ عَلَيْهِ، وَأَخَذَ يُرَاسِلُ رِجَالَهُ لَتَثْبِيتِ ذَلِكَ.

الفصل الثالث عشر

مَقْتَلُ أَمِيرِ المؤْمِنِينَ ذِي النُّورَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

لَمّا كَانَ شَوَّالُ سَنَةَ ٣٥ هـ خَرَجَ أَهْلُ مِصْرَ فِي أَرْبَعِ رِفَاقٍ، عَلَى أَرْبَعَةِ أُمَرَاءِ، المُقَلِّلُ يَقُولُ: سِتُّمِائَةٍ، وَالمُكَثِّرُ يَقُولُ: أَلْفٌ. عَلَى الرِّفَاقِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِنُ عُدَيْسٍ البَلَوِيُّ، وَكِنَانَةُ بنُ بَشِرٍ التُّجِيبِيُّ، وَعُرْوَةُ بنُ شُيَيْمٍ اللَّيْثِيُّ، وَأَبُو عَمْرِو بنُ بُدَيْلِ بنِ وَرَقَاءَ الخُزَاعِيُّ، وَسَوَادُ بنُ رُومَانَ الأَصْبَحِيُّ، وَزَرَعُ بنُ يَشْكُرِ اليَافِعِيُّ، وَسُودَانُ بنُ حُمْرَانَ السَّكُونِيُّ، وَقُتَيْرَةُ بنُ حُمْرَانَ السَّكُونِيُّ، وَعَلَى القَوْمِ جَمِيعَاً الغَافِقِيُّ بنُ حَرْبِ العَكِّيُّ. وَلَمْ يَجْتَرِئُوا أَنْ يُعْلِمُوا النَّاسَ بِخُرُوجِهِمْ إِلَى الحَرْبِ، وَإِنَّمَا خَرَجُوا كَالحُجَّاجِ، وَمَعَهُمُ ابنُ السَّوْدَاءِ. وَخَرَجَ أَهْلُ الكُوفَةِ فِي أَرْبَعِ رِفَاقٍ، وَعَلَى الرِّفَاقِ زَيْدُ بنُ صَوْحَانَ العَبْدِيُّ،

وَالأشْتَرُ النَّخْعِيُّ، وَزِيَادُ بنُ النَّضْرِ الحَارِثِيُّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ الأَصَمِّ، أَحَدُ بَنِي عَامِرِ بنِ صَعْصَعَةَ وَعَدَدُهُمْ كَعَدَدِ أَهْلِ مِصْرَ، وَعَلَيْهِمْ جَمِيعاً عَمْرُو بنُ الأَصَمِّ. وَخَرَجَ أَهْلُ البَصْرَةِ فِي أَرْبَعِ رِفَاقٍ، وَعَلَى الرِّفَاقِ حُكَيْمُ بنُ جَبَلَةَ العَبْدِيُّ، وَذَرِيحُ بنُ عبَّادٍ العَبْدِيُّ، وَبِشْرُ بنُ شُرَيحِ الحُطَمِ بنِ ضُبَيْعَةَ القَيْسِيُّ، وَابْنُ المُحَرِّشِ بنِ عَبْدِ بنِ عَمْرٍو الحَنَفِيُّ[1]، وَعَدَدُهُم كَعَدَدِ أَهْلِ مِصْرَ، وَأَمِيرُهُمْ جَمِيعاً حُرْقُوصُ بنُ زُهَيْرٍ السَّعْدِيُّ، سِوَى مَنْ تَلاحَقَ بِهِمْ مِنَ النَّاسِ. فَأَمَّا أَهْلُ مِصْرَ فَكَانُوا يُرِيدُونَ عَلِيّاً، وَأَهْلُ البَصْرةَ طَلْحَةَ، وَأَهْلُ الكُوفَةِ الزُّبَيْرَ[2].

لَمْ يَعْلَمْ أُمَرَاءُ الأَمْصَارِ عَدَدَ النَّاقِمِينَ، وَلَمْ يَتَصَوَّرُوا أَنَّ هَذِهِ الشُّرْذُمَةَ قَادِرَةٌ أَوْ تُفَكِّرُ بِقَتْلِ الخَلِيفَةِ أَوْ تَجْرُؤُ عَلَى القِيَامِ بِمِثْلِ هَذَا العَمَلِ فِي دَارِ الهِجْرَةِ، لِذَا لَمْ يَبْذُلُوا جَهْدَاً بِإرْسَالِ قُوَّةٍ تَحُولُ دُونَ خُرُوجِهِمْ، أَوْ تَسِيرُ

---

(١) يلاحظ أن هؤلاء جميعاً مناكير، لم يعرف واحد منهم في موقف إلا في الفتنة.

(٢) تاريخ الطبري.

إِلَى المَدِينَةِ لِتَمْنَعَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ مِنْ هَذِهِ الفِئَةِ المَارِقَةِ.

وَصَلَ الْمُنْحَرِفُونَ إِلَى مَقْرُبَةٍ مِنَ المَدِينَةِ، وَعَلَى ثَلاَثِ مَرَاحِلَ مِنْهَا، فَنَزَلَ المِصْرِيُّونَ بِذِي المَرْوَةِ، وَالكُوفِيُّونَ بِالأَعْوَصِ، وَالبَصْرِيُّونَ بِذِي خُشُبٍ. وَلاَ تَشُكُّ أَيَّةُ مَجْمُوعَةٍ عَلَى أَنَّ الظَّفَرَ سَيَكُونُ إِلَى جَانِبِهَا، وَسَيَتَوَلَّى الخِلاَفَةَ مَنْ تَرْغَبُهُ هِيَ دُونَ سِوَاهَا.

مَشَى فِيمَا بَيْنَ أَهْلِ مِصْرَ وَأَهْلِ البَصْرَةِ زِيَادُ بنُ النَّضرِ وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ الأَصَمِّ، وَقَالاَ: لاَ تَعْجَلُوا وَلاَ تَعْجِلُونَا حَتَّى نَدْخُلَ لَكُمْ المَدِينَةَ وَنَرْتَادَ، فَإِنَّهُ بَلَغَنَا أَنَّهُمْ قَدْ عَسْكَرُوا لَنَا، فَوَاللَّهِ إِنْ كَانَ أَهْلُ المَدِينَةِ قَدْ خَافُونَا وَاسْتَحَلُّوا قِتَالَنَا، وَلَمْ يَعْلَمُوا عِلْمَنَا، فَهُمْ إِذَا عَلِمُوا عِلْمَنَا أَشَدُّ، وَإِنَّ أَمْرَنَا هَذَا لَبَاطِلٌ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَحِلُّوا قِتَالَنَا وَوَجَدْنَا الَّذِي بَلَغَنَا بَاطِلاً لَنَرْجِعَنَّ إِلَيْكُمْ بِالخَبَرِ.

قَالُوا: اذْهَبَا، فَدَخَلَ الرَّجُلاَنِ المَدِينَةِ، فَلَقِيَا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَلِيّاً، وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ، وَقَالاَ: إِنَّمَا نَأْتَمُّ هَذَا البَيْتَ، وَنَسْتَعْفِي هَذَا الوَالِي مِنْ بَعْضِ عُمَّالِنَا، مَا جِئْنَا إِلاَّ لِذَلِكَ، وَاسْتَأْذَنَاهُمْ لِلنَّاسِ بِالدُّخُولِ، فَكُلُّهُمْ أَبَى،

وَنَهى، وَقَالَ: بَيْضٌ مَا يُفرِخَنَّ، فَرَجَعَا إِلَيْهِمْ.

سَمِعَ أَهْلُ المَدِينَةِ بِمَا يَحْدُثُ، وَأَبَوْا أَنْ تُقْتَحَمَ عَلَيْهِمْ المَدِينَةُ، وَتَكَلَّمُوا فِي الأَمْرِ، وَحَدَّثَ الخَلِيفَةُ عَلِيّاً فِي أَنْ يَرْكَبَ وَيَرْكَبَ مَعَهُ المُسْلِمُونَ لِيَمْنَعُوا المُنْحَرِفِينَ مِنْ دُخُولِ المَدِينَةِ عَنْوَةً، فَفَعَلَ، وَخَرَجَ مَعَهُ طَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَمُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ، وَكِبَارُ الصَّحَابَةِ، وَمِنْهُمْ: سَعِيدُ بنُ زَيْدٍ، وَجُبَيْرُ بنُ مُطْعِمٍ، وَحَكِيمُ بنُ حِزَامٍ، وَسَعِيدُ بنُ العَاصِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَتَّابِ بنِ أُسَيْدٍ، وَزَيْدُ بنُ ثَابِتٍ، وَحَسَّانُ بنُ ثَابِتٍ، وَكَعْبُ بنُ مَالِكٍ. وَلَمَّا رَأَى المُنْحَرِفُونَ اسْتِعْدَادَ الصَّحَابَةِ لِلدِفَاعِ عَنِ المَدِينَةِ وَقَعَ الخَوْفُ فِي نُفُوسِهِمْ.

فَاجْتَمَعَ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ فَأَتَوْا عَلِيّاً، وَمِنْ أَهْلِ البَصْرَةِ نَفَرٌ فَأَتَوْا طَلْحَةَ، وَمِنْ أَهْلِ الكُوفَةِ نَفَرٌ فَأَتَوْا الزُّبَيْرَ، وَقَالَ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ: إِنْ بَايَعُوا صَاحِبَنَا وَإِلاَّ كِدْنَاهُمْ وَفَرَّقْنَا جَمَاعَتَهُمْ، ثُمَّ كَرَرْنَا حَتَّى نَبْغِتَهُمْ. فَأَتَى المِصْرِيُّونَ عَلِيّاً، وَهُوَ فِي عَسْكَرٍ عِنْدَ أَحْجَارِ الزَّيْتِ، عَلَيْهِ حُلَّةُ أَفْوَاقٍ، مُعْتَمٌّ بِشَقِيقَةٍ حَمْرَاءَ يَمَانِيَّةٍ، مُتَقَلِّدٌ

السَّيْفَ، لَيْسَ عَلَيْهِ قَمِيصٌ، وَقَدْ سَرَّح ابنَهُ الحَسَنَ إِلَى عُثْمَانَ فِيمَنِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ. فَالْحَسَنُ جَالِسٌ عِنْدَ عُثْمَانَ، وَعَلِيٌّ عِنْدَ أَحْجَارِ الزَّيْتِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ المِصْرِيُّونَ، وَعَرَّضُوا لَهُ، فَصَاحَ بِهِمْ، وَاطَّرَدَهُمْ، وَقَالَ: لَقَدْ عَلِمَ الصَّالِحُونَ أَنَّ جَيْشَ ذِي المُرْوَةِ، وَذِي خُشُبٍ، وَالأَعْوَصِ مَلْعُونُونَ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَارْجِعُوا لاَ صَحِبَكُمُ اللَّهُ. قَالُوا: نَعَمْ. فَانْصَرَفُوا: مِنْ عِنْدِهِ عَلَى ذَلِكَ.

وَأَتَى البَصْرِيُّونَ طَلْحَةَ، وَهُوَ فِي جَمَاعَةٍ أُخْرَى إِلَى جَنْبِ عَلِيٍّ، وَقَدْ أَرْسَلَ ابْنَيْهِ إِلَى عُثْمَانَ فَسَلَّمَ البَصْرِيُّونَ عَلَيْهِ، وَعَرَّضُوا لَهُ، فَصَاحَ بِهِمْ، وَاطَّرَدَهُمْ، وَقَالَ: لَقَدْ عَلِمَ المُؤْمِنُونَ أَنَّ جَيْشَ ذِي المُرْوَةِ، وَذِي خُشُبٍ، وَالأَعْوَصِ مَلْعُونُونَ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَأَتَى الكُوفِيُّونَ الزُّبَيْرَ، وَهُوَ فِي جَمَاعَةٍ أُخْرَى، وَقَدْ سَرَّحَ ابنَهُ عَبْدَ اللَّهِ إِلَى عُثْمَانَ، فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ، وَعَرَّضُوا لَهُ، فَصَاحَ بِهِمْ، وَاطَّرَدَهُمْ، وَقَالَ: لَقَدْ عَلِمَ المُسْلِمُونَ أَنَّ جَيْشَ ذِي المَرْوَةِ، وَذِي خُشُبٍ، وَالأَعْوَصِ مَلْعُونُونَ

عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَخَرَجَ القَوْمُ وَأَرَوْهُمْ أَنَّهُمْ يَرْجِعُونَ، فَانْفَشُّوا عَنْ ذِي خَشُبٍ وَالأَعْوَصِ، حَتَّى انتَهَوْا إِلَى عَسَاكِرِهِمْ، وَهِيَ ثَلاَثُ مَرَاحِلَ، كَيْ يَفْتَرِقَ أَهْلُ المَدِينَةِ، ثُمَّ يَكِرُّوا رَاجِعِينَ. فَافْتَرَقَ أَهْلُ المَدِينَةِ لِخُرُوجِهِمْ.

فَلَمَّا بَلَغَ القَوْمُ عَسَاكِرَهُمْ كَرُّوا بِهِمْ، فَبَغَتُوهُمْ، فَلَمْ يَفْجَأْ أَهْلَ المَدِينَةِ إِلاَّ وَالتَّكْبِيرُ فِي نَوَاحِي المَدِينَةِ، فَنَزَلُوا فِي مَواضِعَ عَسَاكِرِهِمْ، وَأَحَاطُوا بِعُثْمَانَ، وَقَالُوا: مَنْ كَفَّ يَدَهُ فَهُو آمِنٌ.

وَصَلَّى عُثْمَانُ بِالنَّاسِ أَيَّاماً، وَلَزِمَ النَّاسُ بُيُوتَهُمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا أَحَداً مِنْ كَلاَمٍ، فَأَتَاهُمْ النَّاسُ فَكَلَّمُوهُمْ، وَفِيهِمْ عَلِيٌّ، فَقَالَ: مَا رَدَّكُمْ بَعْدَ ذَهَابِكُمْ وَرَجُوعِكُمْ عَنْ رَأْيِكُمْ؟ قَالُوا: أَخَذْنَا مَعَ بَرِيدٍ كِتَاباً بِقَتْلِنَا، وَأَتَاهُمْ طَلْحَةُ، فَقَالَ البَصْرِيُّونَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَتَاهُمْ الزُّبَيْرُ فَقَالَ الكُوفِيُّونَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَقَالَ البَصْرِيُّونَ وَالكُوفِيُّونَ: فَنَحْنُ نَنْصُرُ إِخْوَانَنَا وَنَمْنَعُهُمْ جَمِيعاً، كَأَنَّمَا كَانُوا عَلَى مِيعَادٍ. فَقَالَ لَهُمْ عَلِيٌّ: كَيْفَ عَلِمْتُمْ يَا أَهْلَ الكُوفَةِ وَيَا أَهْلَ البَصْرَةِ

بِمَا لَقِيَ أَهْلُ مِصْرَ، وَقَدْ سِرْتُمْ مَرَاحِلَ ثُمَّ طَوَيْتُمْ نَحْوَنَا؟ هَذَا وَاللَّهِ أَمْرٌ أُبْرِمَ بِالمَدِينَةِ. قَالُوا: فَضَعُوهُ عَلَى مَا شِئْتُمْ، لاَ حَاجَةَ لَنَا فِي هَذَا الرَّجُلِ، لِيَعْتَزِلَنَا، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يُصَلِّي بِهِمْ، وَهُمْ يُصَلُّونَ خَلْفَهُ، وَيَغْشَى مِنْ شَاءَ عُثْمَانَ، وَهُمْ فِي عَيْنِهِ أَدَقُّ مِنَ التُّرَابِ، وَكَانُوا لاَ يَمْنَعُونَ أَحَدَاً مِنَ الكَلاَمِ، وَكَانُوا زُمَرَاً بِالمَدِينَةِ، يَمْنَعُونَ النَّاسَ مِنَ الاجْتِمَاعِ[1].

وَأَمَّا الأَمْرُ الَّذِي أُبْرِمَ بِالمَدِينَةِ فَهُو دَعْوَى يَدَّعِيهَا الوَفْدُ المَصْرِيُّ فَيَعُودُ إِلَى المَدِينَةِ، كَمَا يَعُودُ الآخَرُونَ، وَيَعْرِفُونَ المَوْضُوعَ لأَنَّ الجَمِيعَ قَدْ أَبْرَمُوهُ مَعَاً وَيَعُودُونَ بِنَاءً عَلَى عِلْمِهِمْ بِمَا جَرَى. ادَّعَى الوَفْدُ المِصْرِيُّ أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ فِي الطَّرِيقِ أَثْنَاءَ عَوْدَتِهِمْ إِلَى بِلاَدِهِمْ رَاضِينَ إِذْ هُمْ بِرَاكِبٍ يَتَعَرَّضُ لَهُمْ، ثُمَّ يُفَارِقُهُمْ وَيَتَبَيَّنُهُمْ، قَالُوا لَهُ: مَالَكَ؟ إِنَّ لَكَ لأَمْرَاً، مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: أَنَا رَسُولُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ إِلَى عَامِلِهِ بِمِصْرَ. فَفَتَّشُوهُ فَإِذَا هُمْ بِكِتَابٍ عَلَى لِسَانِ الخَلِيفَةِ، عَلَيْهِ خَاتَمُهُ، إِلَى عَامِلِهِ بِمِصْرَ أَنْ يُصَلِّبَهُمْ

---

(١) تاريخ الطبري.

أَوْ يُقَتِّلَهُمْ أَوْ يُقَطِّعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ مِنْ خِلاَفٍ. فَرَجَعُوا إِلَى المَدِينَةِ بِالكِتَابِ، وَلَمْ يَأْتُوا بِالرَّجُلِ لِيَجْرِيَ مَعَهُ التَّحْقِيقُ، بَلْ لَمْ يَذْكُرُوهُ وَإِنَّمَا اكْتَفَوْا بِذِكْرِ الحَادِثَةِ وَتَمْثِيلِهَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى كَذِبِهِمْ وَافْتِرَائِهِمْ.

انْطَلَقَ المُنْحَرِفُونَ بِالكِتَابِ الَّذِي كَتَبَتْهُ أَيْدِيهِمْ إِلَى عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالُوا: انْظُرْ إِلَى مَا كَتَبَهُ الخَلِيفَةُ فِينَا، قُمْ مَعَنَا إِلَيْهِ، فَأَبَى حَتَّى لاَ تَكُونَ مُشَادَّةٌ بَيْنَ هَؤُلاَءِ المُفْتَرِينَ وَأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، وَتَضِجُّ المَدِينَةُ بِذَلِكَ، وَتَتَنَاقَلَ الأَلْسُنُ مَا يَقُولُهُ المُفْتَرُونَ.

ذَهَبَ المنحَرِفُونَ إِلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ، فَاسْتَقْبَلَهُمْ، فَقَالُوا: لِمَ كَتَبْتَ فِينَا، قَالَ: وَاللَّهِ مَا كَتَبْتُ فِيكُمْ كِتَاباً قَطُّ.

انْطَلَقَ عَلِيٌّ إِلَى قَرْيَةٍ لِعُثْمَانَ خَارِجَ المَدِينَةِ لِلابْتِعَادِ عَنْ جَوِّ دَارِ الهِجْرَةِ، وَكَانَ عُثْمَانُ قَدْ خَرَجَ إِلَيْهَا، وَسَارَ بَعْدَئِذٍ المُنْحَرِفُونَ نَحْوَهَا حَتَّى دَخَلُوا عَلَى عُثْمَانَ، فَقَالُوا: كَتَبْتَ فِينَا بِكَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: إِنَّمَا هُمَا اثْنَتَانِ: أَنْ تُقِيمُوا عَلَيَّ رَجُلَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ، أَوْ يَمِينِي بِاللَّهِ الَّذِي لاَ

إِلَهَ إِلاَّ هُوَ مَا كَتَبْتُ وَلاَ أَمْلَلْتُ وَلاَ عَلِمْتُ. قَالَ: وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الكِتَابَ يُكْتَبُ عَلَى لِسَانِ الرَّجُلِ، وَقَدْ يُنْقَشُ الخَاتِمُ عَلَى الخَاتِمِ. فَأُقِيمَتْ عَلَيْهُمْ الحُجَّةُ، وَلَكِنَّ أَهْلَ البَاطِلِ يُصِرُّونَ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَيُحَاوِلُونَ المُرَاوَغَةَ فَأَتَهَمُوا مَرْوَانَ بنَ الحَكَمِ مِنْ غَيْرِ بَيِّنَةٍ وَلاَ دَلِيلٍ، وَطَالَبُوهُ بِه. وَعَادُوا إِلَى اتِّهَامِ الخَلِيفَةِ، وَقَالُوا: نَقَضْتَ العَهْدَ وَالمِيثَاقَ، فَأَحَلَّ دَمَكَ. فَصَرَخَ بِهِمْ عَلَيٌّ، وَوَبَّخَهُمْ، وَطَرَدَهُمْ، فَخَرَجُوا إِلَى جَمَاعَتِهِمْ، وَحَاصَرُوا عُثْمَانَ فِي دَارِهِ، وَكَانَ قَدْ عَادَ إِلَيْهَا.

النَّجْدَةُ:

وَكَتَبَ عُثْمَانُ إِلَى الأَمْصَارِ يَسْتَمِدُّهُمْ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؛ أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ مُحَمَّداً بِالحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً، فَبَلَّغَ عَنِ اللَّهِ مَا أَمَرَهُ بِهِ، ثُمَّ مَضَى وَقَدْ قَضَى الَّذِي عَلَيْهِ، وَخَلَّفَ فِينَا كِتَابَهُ، فِيهِ حَلاَلُهُ وَحَرَامُهُ، وَبَيَانُ الأُمُورِ الَّتِي قَدَّرَ، فَأَمْضَاهَا عَلَى مَا أَحَبَّ العِبَادُ وَكَرِهُوا، فَكَانَ الخُلِيفَةُ أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَعُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ أُدْخِلْتُ فِي الشُّورَى عَنْ غَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ مَسْأَلَةٍ عَنْ مَلَإٍ مِنَ الأُمَّةِ ثُمَّ اجْتَمَعَ أَهْلُ

الشُّورَى عَنْ مَلَإٍ مِنهُمْ وَمِنَ النَّاسِ عَلَيَّ، عَلَى غَيْرِ طَلِبٍ مِنِّي وَلاَ مَحَبَّةٍ فَعَمِلْتُ فِيهِمْ مَا يَعْرِفُونَ وَلاَ يُنْكِرُونَ تَابِعَاً غَيْرَ مُسْتَتْبِعٍ، مُتَّبِعَاً غَيْرَ مُبْتَدِعٍ، مُقْتَدِياً غَيْرَ مُتَكَلِّفٍ. فَلَمَّا انْتَهَتِ الأُمُورُ، وَانْتَكَثَ الشَّرُّ بِأَهْلِهِ، بَدَتْ ضَغَائِنُ وَأَهْوَاءُ عَلَى غَيْرِ إِجْرَامٍ وَلاَ تِرَةٍ فِيمَا مَضَى إِلاَّ إِمْضَاءَ الكِتَابِ، فَطَلَبُوا أَمْرَاً وَأَعْلَنُوا غَيْرَهُ بِغَيْرِ حُجَّةٍ وَلاَ عُذْرٍ، فَعَابُوا عَلَيَّ أَشْيَاءَ كَانُوا يَرْضَوْنَ بِهَا، وَأَشْيَاءَ عَلَى مَلَإٍ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ لاَ يَصْلُحُ غَيْرُهَا، فَصَبَرْتُ لَهُمْ نَفْسِي وَكَفَفْتُهَا عَنْهُمْ مُنْذُ سَنَتَيْنِ، وَأَنَا أَرَى وَأَسْمَعُ، فَازْدَادُوا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ جُرْأَةً، حَتَّى أَغَارُوا عَلَيْنَا فِي جِوَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَحَرَمِهِ، وَأَرْضِ الهِجْرَةِ، وَثَابَتْ إِلَيْهِمُ الأَعْرَابُ، فَهُمْ كَالأَحْزَابِ أَيَّامَ الأَحْزَابِ، أَوْ مَنْ غَزَانَا بِأُحُدٍ، إِلاَّ مَا يُظْهِرُونَ، فَمَنْ قَدِرَ عَلَى اللَّحَاقِ بِنَا فَلْيَلْحَقْ.

فَأَتَى الكِتَابُ أَهْلَ الأَمْصَارِ فَخَرَجُوا عَلَى الصَّعْبِ وَالذَّلُولِ فَبَعَثَ أَمِيرُ الشَّامِ مُعَاوِيَةُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ القَائِدَ حَبِيبَ بنَ مَسْلَمَةَ الفِهْرِيَّ، وَبَعَثَ أَمِيرُ مِصْرَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ سَعْدِ بنِ أَبِي سَرْحٍ القَائِدَ مُعَاوِيَةَ بنَ حُدَيْجٍ السَّكُونِيَّ، وَخَرَجَ مِنْ أَهْلِ الكُوفَةِ القَعْقَاعُ بنُ عَمْرٍو

التَّمِيمِيُّ، وَخَرَجَ مُجَاشِعٌ السَّلمِيُّ مِنَ البَصْرَةِ.

الحِصَارُ:

كَانَ حِصَارُ دَارِ عُثْمَانَ يَسِيرًا حَيْثُ كَانَ يَخْرُجُ الخَلِيفَةُ، وَيُصَلِّي بِالنَّاسِ، وَيَأْتِي الصَّحَابَةُ إِلَيْهِ، وَيَأْتِي إِلَيْهِمْ، وَلَكِنْ لَمَّا عَلِمَ المَارِقُونَ بِخَبَرِ قُدُومِ النَّجْدَةِ مِنَ الأَمْصَارِ تَغَيَّرَ مَوْقِفُهُمْ، وَوَقَعَ فِي نُفُوسِهِمْ الخَوْفُ، وَشَدَّدُوا حِصَارَهُمْ. وَكَانَ أَوَّلَ مَنِ اجْتَرَأَ عَلَى عُثْمَانَ بِالمَنْطِقِ السَّيْءِ جَبَلَةُ بنُ عَمْرٍو السَّاعِدِيُّ، وَخَرَجَ الخَلِيفَةُ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَعَادَتِهِ إِلَى الصَّلاَةِ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ، ثُمَّ قَامَ عَلَى المِنْبَرِ بَعْدَهَا فَقَالَ: يَا هَؤُلاَءِ العِدَى، اللَّهَ اللَّهَ، فَوَاللَّهِ إِنَّ أَهْلَ المَدِينَةِ لَيَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ مَلْعُونُونَ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَامْحُوا الخَطَايَا بِالصَّوَابِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لاَ يَمْحُو السَّيْءَ إِلاَّ بِالحَسَنِ. فَقَامَ مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ، فَقَالَ: أَنَا أَشْهَدُ بِذَلِكَ، فَأَخَذَهُ حُكَيْمُ بنُ جَبَلَةَ فَأَقْعَدَهُ، فَقَامَ زَيْدُ بنُ ثَابِتٍ، فَقَالَ: ابْغِنِي الكِتَابَ[1]، فَثَارَ إِلَيْهِ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى مُحَمَّدُ بنُ أَبِي قُتَيْرَةَ

---

(١) ابغني الكتاب: احضره لي. وكان موضوع الكتاب فرية، عرض=

فَأَقْعَدَهُ، وَقَالَ فَأَقْطَعَ، وَثَارَ القَوْمُ بِأَجْمَعِهِمْ، فَحَصَبُوا النَّاسَ حَتَّى أَخْرَجُوهُمْ مِنَ المَسْجِدِ، وَحَصَبُوا عُثْمَانَ حَتَّى صُرِعَ عَنِ المِنْبَرِ مُغْشِياً عَلَيْهِ، فاحْتُمِلَ فَأُدْخِلَ دَارَهُ. وَثَارَ الصَّحَابَةُ وَأَبْنَاؤُهُمْ، وَمِنْهُمْ: الحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ، وَسَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، وَزَيْدُ بنُ ثَابِتٍ وَغَيْرُهُمْ، وَأَرَادُوا قِتَالَ المُنْحَرِفِينَ، إلاَّ أَنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ قَدْ مَنَعَهُمْ، وَأَرَادَ أَلاَّ يَحْدُثَ شَيْءٌ بِسَبَبِهِ. وَزَارَهُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، والزُّبَيْرُ، وَعِدَّةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ. وَقَدْ أَشْرَفَ عُثْمَانُ يَوْمَذَاكَ عَلَى مَنْ فِي الدَّارِ، المُحَارِبِ الطَّارِىءِ، وَالمُسَالِمِ المُقِيمِ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ المَدِينَةِ إِنِّي اسْتَوْدِعُكُمُ اللَّهُ، وَأَسْأَلَهُ أَنْ يُحْسِنَ عَلَيْكُمْ الخِلاَفَةَ مِنْ بَعْدِي، وَإِنِّي وَاللَّهِ لاَ أَدْخُلُ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيَّ قَضَاءَهُ، وَلأَدَعَنَّ هَؤُلاَءِ وَمَا وَرَاءَ بَابِي غَيْرُ مُعْطِيهِمْ شَيْئاً يَتَّخِذُونَهُ عَلَيْكُمْ دَخَلاً فِي دِينِ اللَّهِ أَوْ دُنْيَا، حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الصَّانِعَ فِي ذَلِكَ، مَا

= على عليّ عرضاً، ثم أخفي حتى لا ينظر في كاتبه، ولا يجري أي تحقيق عنه، وبقي حديثاً يتكلم عنه المارقون دون أصلٍ له.

أَحَبَّ. وَأَمَرَ أَهْلَ الـمَدِينَةِ بِالرُّجُوعِ، وَأَقْسَمَ عَلَيْهِمْ، فَرَجَعُوا إِلاَّ الـحَسَنَ بنَ عَلِيٍّ، وَمُحَمَّدَ بنَ طَلْحَةَ، وَعَبْدَ اللَّهِ بنَ الزُّبَيْرِ وَأَمْثَالَهُمْ، وَجَلَسُوا بِالبَابِ عَنْ أَمْرِ آبَائِهِمْ، وَثَابَ إِلَيْهِمْ نَاسٌ كَثِيرٌ، وَلَزِمَ عُثْمَانُ الدَّارَ، فَلَمْ يَعُدْ يَخْرُجُ أَبَدَاً حَتَّى كَانَ يَوْمُ اسْتِشْهَادِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كَانَ عُثْمَانُ فِي دَارِهِ يُصَلِّي فَإِذَا أَعْيَاهُ الوُقُوفُ جَلَسَ يَقْرَأُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ المُصْحَفِ، رَغْمَ حِفْظِهِ، إِذْ يَعُدُّونَ القِرَاءَةَ مِنَ المُصْحَفِ عِبَادَةً.

كَانَ حِصَارُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ أَرْبَعِينَ يَوْمَاً، وَقَبْلَهُ بِشَهْرٍ كَانَ المَارِقُونَ قَدْ نَزَلُوا المَدِينَةَ، فَلَمَّا مَضَى مِنَ الحِصَارِ ثَمَانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً قَدِمَ رُكْبَانٌ مِنَ الوُجُوهِ فَأَخْبَرُوا خَبَرَ مَنْ قَدْ تَهَيَّأَ لَهُمْ مِنَ الآفَاقِ فَعِنْدَهَا حَالُوا بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَ عُثْمَانَ، وَمَنَعُوهُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى المَاءَ.

أَقَامَ المُنْحَرِفون رَجُلاً مِنْهُمْ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، وَهُوَ زَعِيمُ المِصْرِيينِ الغَافِقِيُّ بنُ حَرْبٍ العَكِّيُّ، وَإِذَا وُجِدَ عَلِيٌّ أَوْ طَلْحَةَ صَلَّى أَحَدُهُمَا بِالنَّاسِ. وَقَدْ طَلَبَ الخَلِيفَةُ مِنْ عَلِيٍّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرِ، وَأُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ إِسْعَافَهُ

بِالمَاءِ، فَاسْعَفَهُ عَلِيٌّ، وَأُمُّ المُؤْمِنِينَ أُمُّ حَبِيبَةَ رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ، وَزَجَرَ عَلِيٌّ المَارِقِينَ فَلَمْ يَرْعَوُوا، وَكَانَ الخَلِيفَةُ يُطِلُّ بِنَفْسِهِ بَيْنَ الحِينِ وَالآخَرِ عَلَى أُولَئِكَ المُنْحَرِفِينَ المُحَاصِرِينَ لَهُ فَيَعِظُهُمْ، وَلَكِنْ لاَ يَأْبَهُونَ لِأَحَدٍ.

وَطَلَبَ المُنْحَرِفُونَ العِلَلَ لِلْهُجُومِ عَلَى الخَلِيفَةِ فَلَمْ يَجِدُوا عِلَّةً، فَعَثَرُوا فِي دَارِهِ بِالحِجَارَةِ لِيُرْمَوْا فَيَقُولُوا: قُوتِلْنَا - وَذَلِكَ لَيْلاً - فَنَادَاهُمْ: أَلاَ تَتَّقُونَ اللَّهَ، أَلاَ تَعْلَمُونَ أَنَّ فِي الدَّارِ غَيْرِي، قَالُوا: لاَ وَاللَّهِ مَا رَمَيْنَاكَ. قَالَ: فَمَنْ رَمَانَا؟ قَالُوا: اللَّهُ، قَالَ: كَذَبْتُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَوْ رَمَانَا لَمْ يُخْطِئْنَا، وَأَنْتُمْ تُخْطِئُونَنَا.

وَجَاءَ عَلِيٌّ فِي الغَلَسِ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الَّذِي تَصْنَعُونَ لاَ يُشْبِهُ أَمْرَ المُؤْمِنِينَ وَلاَ أَمْرَ الكَافِرِينَ، لاَ تَقْطَعُوا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ المَادَّةَ، فَإِنَّ الرُّومَ وَفَارِسَ لَتَأْسِرُ فَتُطعِمُ وَتَسْقِي، وَمَا تَعَرَّضَ لَكُمْ هَذَا الرَّجُلُ، فَبِمَ تَسْتَحِلُّونَ حَصْرَهُ وَقَتْلَهُ، قَالُوا لاَ وَاللَّهِ وَلاَ نَعْمَةَ عَيْنٍ، لاَ نَتْرُكُهُ يَأْكُلُ وَلاَ يَشْرَبُ، فَرَمَى بِعِمَامَتِهِ فِي

الدَّارِ، وَقَالَ: قَدْ نَهَضْتُ فِيمَا أَنْهَضْتَنِي فَرَجَعَ.

وَجَاءَتْ أُمُّ المُؤْمِنِينَ أُمُّ حَبِيبَةَ عَلَى بَغْلَةٍ لَهَا بِرِحَالَةٍ مُشْتَمِلَةٍ عَلَى إِدَاوَةٍ، فَقِيلَ: أُمُّ المُؤْمِنِينَ، أُمُّ حَبِيبَةَ، فَضَرَبُوا وَجْهَ بَغْلَتِهَا، فَقَالَتْ: إِنَّ وَصَايَا بَنِي أُمَيَّةَ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَلْقَاهُ فَأَسْأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ كَيْ لاَ تَهْلِكَ أَمْوَالُ أَيْتَامٍ وَأَرَامِلَ، قَالُوا: كَاذِبَةٌ، وَأَهْوَوا لَهَا، وَقَطَعُوا حَبْلَ البَغْلَةِ بِالسَّيْفِ، فَنَدَّتْ بِأُمِّ حَبِيبَةَ، فَتَلَقَّاهَا النَّاسُ، وَقَدْ مَالَتْ رِحَالَتُهَا، فَتَعَلَّقُوا بِهَا وَأَخَذُوهَا، وَقَدْ كَادَتْ تُقْتَلُ، فَذَهَبُوا بِهَا إِلَى بَيْتِهَا.

فَبَلَغَ السَّفَهُ عِنْدَ هَؤُلاَءِ المَارِقِينَ حَدّاً كَبِيراً أَبْعَدَهُمْ عَنْ مُرُوءَتِهِمْ وَدِينِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً، وَلِيَخْتَبِرَ اللَّهُ عِبَادَهُ فَيَعْلَمَ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْهُمْ شُهَدَاءَ، وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ، وَلِيُمَحِّصَ الَّذِين آمَنُوا وَيَمْحَقَ الكَافِرِينَ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ.

سَارَتْ أُمُّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ إِلَى الحَجِّ، وَطَلَبَ الخَلِيفَةُ عُثْمَانُ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَبَّاسٍ أَنْ يَحُجَّ

بِالنَّاسِ هَذَا العَامِ، وَكَانَ عَلَى بَابِ دَارِ الخَلِيفَةِ مَعَ أَبْنَاءِ الصَّحَابَةِ يُدَافِعُونَ عَنْ أَمِيرِهِمْ، فَأَرَادَ ابنُ عَبَّاسٍ أَنْ يَبْقَى مُجَاهِداً، إلاَّ أَنَّ عُثْمَانَ أَصَرَّ عَلَيْهِ فَخَرَجَ إِلَى الحَجِّ.

وَصَلَتْ الأَخْبَارُ إِلَى المَدِينَةِ بِأَنَّ المَدَدَ قَدْ دَنَا مِنَ المَدِينَةِ، وَأَنَّ مَنْ جَاءَ مِنْهَا مِنَ الشَّامِ قَدْ وَصَلَ إِلَى وَادِي القُرَى، فَخَافَ المُنْحَرِفُونَ، وَأَرَادُوا اقْتِحَامَ الدَّارِ عَلَى عُثْمَانَ، وَأَنْ يَقْضُوا عَلَيْهِ وَيُنَفِّذُوا مُخَطَطَهُمْ، قَبْلَ وَصُولِ قَوَّاتِ الأَمْصَارِ، فَمَنَعَهُمْ مَنْ فِيهَا، وَكَانَ مِنْهُمْ: الحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيْرِ، وَمُحَمَّدُ بنُ طَلْحَةَ، وَسَعِيدُ بنُ العَاصِ، وَمَرْوَانُ بنُ الحَكَمِ و. . . . . فَتَسَوَّرُوا الدَّارَ مِنْ خُوخَةٍ بَيْنَهَا وَبيْنَ دَارِ عُمَرَ بنِ حَزْمٍ، ثُمَّ أَحْرَقُوا بَابَ الدَّارِ، وَأَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ يُقْسِمُ عَلَى أَبْنَاءِ الصَّحَابَةِ المُدَافِعِينَ عَنْهُ أَنْ يُلْقُوا سُيُوفَهُمْ حَتَّى أَلْقَاهَا بَعْضُهُمْ. وَهَجَمَ المُنْحَرِفُونَ عَلَى الخَلِيفَةِ، فَضَرَبَهُ الغَافِقِيُّ بنُ حَرْبٍ العَكِّيُّ، ثُمَّ ضَرَبَ قُتَيْرَةُ بنُ حُمْرَانَ زَوْجَ الخَلِيفَةِ نَائِلَةَ الَّتِي رَفَعَتْ يَدَهَا تُدَافِعُ عَنْ زَوْجِهَا فَقَطَعَ أَصَابِعَهَا. ثُمَّ ضَرَبَ أَخُوهُ سُودَانُ بنُ حُمْرَانَ السَّكُونِيُّ الخَلِيفَةَ، وَكَذَلِكَ ضَرَبَهُ كِنَانَةُ بنُ بِشْرِ بنِ عَتَّابِ

التُّجَيْبِيُّ، فَقُتِلَ الخَلِيفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ. وَقِيلَ: بَلْ قَتَلَهُ عَمْرُو بنُ الحَمِقِ. وَقَتَلَ غُلاَمٌ لِعُثْمَانَ سُودَانَ بنَ حُمْرَانَ فَقَتَلَ قُتَيْرَةُ بنُ حُمْرَانَ الغُلاَمَ، ثُمَّ قَتَلَ غُلاَمٌ آخَرُ لِعُثْمَان قُتَيْرَةَ. وَنُهِبَتِ الدَّارُ، كَمَا نُهِبَ بَيْتُ المَالِ. وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً.

كَانَ قَتْلُ الخَلِيفَةِ الرَّاشِدِيِّ الثَّالِثِ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، في ١٨ ذِي الحِجَّةِ مِنْ عَامِ ٣٥ هـ، وَبِذَا تَكُونُ مُدَّةُ خِلاَفَتِهِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً إلاَّ اثْنَيْ عَشَرَ يَوْماً. وَكَانَ عُمْرُهُ إِذْ ذَاكَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَقَدْ وُلِدَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بِسِتِّ سَنَوَاتٍ، وَعَاشَ بَعْدَهُ أَرْبَعاً وَعِشْرِينَ سَنَةً.

وَعَادَ الحُجَّاجُ مِنْ حَجِّهِمْ فَوَجَدُوا خَلِيفَتَهُمْ، رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، مَقْتُولاً، وَالأَمْنَ غَيْرَ مُسْتَتِبٍّ.

رَحَى المَعْرَكَةِ:

لَمَّا بَلَغَ المَارِقِينَ خَبَرُ نُفُورِ أَهْلِ الأَمْصَارِ أَغْلَقَهُمُ الشَّيْطَانُ، وَقَالُوا: لاَ يُخْرِجُنَا مِمَّا وَقَعْنَا فِيهِ إلاَّ قَتْلُ هَذَا الرَّجُلِ، فَيَشْتَغِلُ بِذَلِكَ النَّاسُ عَنَّا، وَلَمْ يَبْقَ خَصْلَةٌ

يَرْجُونَ بِهَا النَّجَاةَ إلاَّ قَتْلَهُ ـ هَكَذَا وَسْوَسَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ ـ فَرَامُوا بِالبَابِ، فَمَنَعَهُمْ مِنْ ذَلِكَ الحَسَنُ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ، وَمُحَمَّدُ بنُ طَلْحَةَ، وَمَرْوَانُ بنُ الحَكَمِ، وَسَعِيدُ بنُ العَاصِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَبْنَاءِ الصَّحَابَةِ أَقَامَ مَعَهُمْ، وَاجْتَلَدُوا، فَنَادَاهُمْ عُثْمَانُ: اللَّهَ اللَّهَ! أَنْتُمْ فِي حِلٍّ مِنْ نُصْرَتِي، فَأَبَوْا، فَفَتَحَ البَابَ، وَخَرَجَ وَمَعَهُ السَّيْفُ وَالتُّرْسُ لِيُنَهْنِهَهُمْ؛ فَلَمَّا رَأَوْهُ أَدْبَرَ المِصْرِيُّونَ، وَرَكِبَهُمْ هَؤُلاَءِ وَنَهْنَهَهُمْ فَتَرَاجَعُوا فَعَظُمَ عَلَى الفَرِيقَيْنِ، وَأَقْسَمَ عَلَى الصَّحَابَةِ لَيَدْخُلُنَّ، فَأَبَوْا أَنْ يَنْصَرِفُوا، فَدَخَلُوا فَأَغْلَقَ البَابَ دُونَ المِصْرِيينَ، وَقَدْ كَانَ المُغِيرَةُ بنُ الأَخْنَسِ بنِ شُرَيقٍ فِيمَنْ حَجَّ، ثُمَّ تَعَجَّلَ فِي نَفَرٍ حَجُّوا مَعَهُ، فَأَدْرَكَ عُثْمَانَ قَبْلَ أَنْ يُقْتَلَ، وَشَهِدَ المُنَاوَشَةَ، وَدَخَلَ الدَّارَ فِيمَنْ دَخَلَ، وَجَلَسَ عَلَى البَابِ مِنْ دَاخِلٍ، وَقَالَ: مَا عُذْرُنَا عِنْدَ اللَّهِ إنْ تَرَكْنَاكَ، وَنَحْنُ نَسْتَطِيعُ أَلاَّ نَدَعَهُمْ حَتَّى نَمُوتَ، فَاتَّخَذَ عُثْمَانُ تِلْكَ الأَيَّامَ القُرْآنَ نَحْباً[1]، يُصَلِّي وَعِنْدَهُ المُصْحَفُ، فَإِذَا أَعْيَا جَلَسَ فَقَرَأَ فِيهِ ـ وَكَانُوا يَرَوْنَ

---

(١) نحباً: عادته وهمّه.

القِرَاءَةَ فِي المُصْحَفِ مِنَ العِبَادَةِ ـ وَكَانَ القَوْمُ الَّذِينَ كَفْكَفَهُمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ البَابِ، فَلَمَّا بَقِيَ المِصْرِيُّونَ لاَ يَمْنَعُهُمْ أَحَدٌ مِنَ البَابَ، وَلاَ يَقْدِرُونَ عَلَى الدُّخُولِ جَاءُوا بِنَارٍ، فَأَحْرَقُوا البَابَ وَالسَّقِيفَةَ، فَتَأَجَّجَ البَابُ وَالسَّقِيفَةُ حَتَّى إِذَا احْتَرَقَ الخَشَبُ خَرَّتِ السَّقِيفَةِ عَلَى البَابِ، فَثَارَ أَهْلُ الدَّارِ، وَعُثْمَانُ يُصَلِّي، حَتَّى مَنَعُوهُمُ الدُّخُولَ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ بَرَزَ لَهُمُ المُغِيرَةُ بنُ الأَخْنَسِ، وَهُوَ يَرْتَجِزُ:

قَدْ عَلِمَتْ جَارِيَةٌ عُطْبُولُ ذَاتُ وِشَاحٍ وَلَهَا جَدِيلُ

أَنِّي بِنَصْلِ السَّيْفِ خَنْشَلِيلُ لَأَمْنَعَنَّ مِنْكُمْ خَلِيلِي

بِصَارِمٍ لَيْسَ بِذِي فُلُولِ

وَخَرَجَ الحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ وَهُوَ يَقُولُ:

لاَ دِينُهُمْ دِينِي وَلاَ أَنَا مِنْهُمُ

حَتَّى أَسِيرَ إِلَى طَمَارِ شَمَامِ

وَخَرَجَ مُحَمَّدُ بنُ طَلْحَةَ وَهُوَ يَقُولُ:

أَنَا ابنُ مَنْ حَامَى عَلَيْهِ بِأُحُدْ

وَرَدَّ أَحْزَاباً عَلَى رَغْمِ مَعَدّ

وَخَرَجَ سَعِيدُ بنُ العَاصِ وَهُوَ يَقُولُ:

صَبَرْنَا غَدَاةَ الدَّارِ وَالمَوْتُ وَاقِبُ
بِأَسْيَافِنَا دُونَ ابنِ أَرْوَى نُضَارِبُ
وَكُنَّا غَدَاةَ الرَّوْعِ فِي الدَّارِ نُصْرَةً
نُشَافِهُهُمْ بِالضَّرْبِ وَالمَوْتُ ثَاقِبُ

فَكَانَ آخِرَ مَنْ خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيْرِ، وَأَمَرَهُ عُثْمَانُ أَنْ يَصِيرَ إِلَى أَبِيهِ فِي وَصِيَّةٍ بِمَا أَرَادَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَ الدَّارِ فَيَأْمُرُهُمْ بِالانْصِرَافِ إِلَى مَنَازِلِهِمْ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيْرِ آخِرَهُمْ، فَمَا زَالَ يَدَّعِي بِهَا، وَيُحَدِّثُ النَّاسَ عَنْ عُثْمَانَ بِآخِرِ مَا مَاتَ عَلَيْهِ.

وَأَحْرَقَ المَارِقُونَ البَّابَ وَعُثْمَانُ فِي الصَّلاَةِ، وَقَدِ افْتَتَحَ ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾[1] وَكَانَ سَرِيعَ القِرَاءَةِ، فَمَا اكْتَرَثَ بِمَا سَمِعَ، وَمَا يُخْطِىءُ وَمَا يُتَعْتِعُ حَتَّى أَتَى عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ يَصِلُوا إِلَيْهِ. ثُمَّ عَادَ فَجَلَسَ إِلَى المُصْحَفِ، وَقَرَأَ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ

---

(١) سورة طه: الآيتان: ١ ـ ٢.

﴿ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾[1].

وَأَقْبَلَ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَالنَّاسُ مُحْجِمُونَ عَنِ الدَّارِ إِلاَّ أُولَئِكَ العُصْبَةُ فَدَسَرُوا فَاسْتَقْتَلُوا، فَقَامَ مَعَهُمْ، وَقَالَ: أَنَا أُسْوَتُكُمْ، وَقَالَ: هَذَا يَوْمٌ طَابَ الضَّرْبُ، وَنَادَى: ﴿۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾﴾[2]، وَبَادَرَ مَرْوَانُ يَوْمَئِذٍ وَنَادَى: رَجُلٌ رَجُلٌ، فَبَرَزَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي لَيْثٍ يُدْعَى النَّبَاعُ، فَاخْتَلَفَا، فَضَرَبَ مَرْوَانُ أَسْفَلَ رِجْلَيْهِ، وَضَرَبَهُ الآخَرُ عَلَى أَصْلِ العُنُقِ فَقَلَبَهُ، فَانْكَبَّ مَرْوانُ، وَاسْتَلْقَى، فَاجْتَرَّ هَذَا أَصْحَابُهُ، وَاجْتَرَّ الآخَرُ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ المِصْرِيُّونَ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْلاَ أَنْ تَكُونُوا حُجَّةً عَلَيْنَا فِي الأُمَّةِ لَقَدْ قَتَلْنَاكُمْ بَعْدَ تَحْذِيرٍ، فَقَالَ المُغِيرَةُ بنُ الأَخْنَسِ: مَنْ يُبَارِزُ؟ فَبَرَزَ لَهُ رَجُلٌ فَاجْتَلَدَ، وَهُوَ يَقُولُ:

أَضْرِبُهُمْ بِاليَابِسِ ... ضَرْبَ غُلَامٍ يَائِسِ
مِنَ الحَيَاةِ آيِسِ

(١) سورة آل عمران: ١٧٣.
(٢) سورة غافر: الآية ٤١.

فَأَجَابَهُ صَاحِبُهُ. . . . وَقَالَ النَّاسُ: قُتِلَ المُغِيرَةُ بنُ الأَخْنَسِ، فَقَالَ الَّذِي قَتَلَهُ: إِنَّا لِلَّهِ! فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عُدَيْسٍ: مَالَكَ؟ قَالَ: إِنِّي أُتِيتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ، فَقِيلَ لِي: بَشِّرْ قَاتِلَ المُغِيرَةِ بنِ الأَخْنَسِ بِالنَّارِ، فَابْتُلِيتُ بِهِ. وَقَتَلَ قَبَاثُ الكِنَانِيُّ نِيَارَ بنَ عَبْدِ اللَّهِ الأَسْلَمِيَّ، وَاقْتَحَمَ النَّاسُ الدَّارَ مِنَ الدُّورِ الَّتِي حَوْلَهَا حَتَّى مَلَؤُوهَا وَلاَ يَشْعُرُ الَّذِينَ بِالبَابِ، وَأَقْبَلَتِ القَبَائِلُ عَلَى أَبْنَائِهِمْ، فَذَهَبُوا بِهِمْ إِذْ غَلَبُوا عَلَى أَمِيرِهِمْ، وَنَدَبُوا رَجُلاً لِقَتْلِهِ، فَانْتُدِبَ لَهُ رَجُلٌ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ البَيْتَ، فَقَالَ: اخْلَعْهَا وَنَدَعْكَ، فَقَالَ: وَيْحَكَ! وَاللَّهِ مَا كَشَفْتُ امْرَأَةً فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلاَ إِسْلاَمٍ، وَلاَ تَغَنَّيْتُ، وَلاَ تَمَنَّيْتُ، وَلاَ وَضَعْتُ يَمِينِي عَلَى عَوْرَتِي مُنْذُ بَايَعْتُ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَلَسْتُ خَالِعاً قَمِيصاً كَسَانِيهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَا عَلَى مَكَانِي حَتَّى يُكْرِمَ اللَّهُ أَهْلَ السَّعَادَةِ، وَيُهِينَ أَهْلَ الشَّقَاءِ.

فَخَرَجَ، وَقَالُوا: مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: عَلِقْنَا وَاللَّهِ، وَاللَّهِ مَا يُنْجِينَا مِنَ النَّاسِ إِلاَّ قَتْلُهُ، وَمَا يَحِلُّ لَنَا قَتْلُهُ؛ فَأَدْخَلُوا عَلَيْهِ رَجُلاً مِنْ بَنِي لَيْثٍ، فَقَالَ: مِمَّنِ الرَّجُلُ؟

فَقَالَ: لَيْثِيٌّ، فَقَالَ: لَسْتَ بِصَاحِبِي، قَالَ: وَكَيْفَ؟ فَقَالَ: أَلَسْتَ الَّذِي دَعَا لَكَ النَّبِيُّ ﷺ، فِي نَفَرٍ أَنْ تُحْفَظُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَلَنْ تَضِيعَ، فَرَجَعَ وَفَارَقَ القَوْمَ. فَأَدْخَلُوا عَلَيْهِ رَجُلاً مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: يَا عُثْمَانُ إِنِّي قَاتِلُكَ، قَالَ: كَلَّا يَا فُلاَنُ، لاَ تُقْتُلْنِي، قَالَ: وَكَيْفَ؟ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، اسْتَغْفَرَ لَكَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، فَلَنْ تُقَارِفَ دَماً حَرَاماً، فَاسْتَغْفَرَ وَرَجِعَ، وَفَارَقَ أَصْحَابَهُ. وَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ سَلاَّمٍ حَتَّى قَامَ عَلَى بَابِ الدَّارِ يَنْهَاهُمْ عَنْ قَتْلِهِ، وَقَالَ: لاَ يَا قَوْمِ لاَ تَسُلُّوا سَيْفَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، فَوَاللَّهِ إِنْ سَلَلْتُمُوهُ لاَ تُغْمِدُوهُ، وَيْلَكُمْ إِنَّ سُلْطَانَكُمُ اليَوْمَ يَقُومُ بِالدِّرَّةِ، فَإِنْ قَتَلْتُمُوهُ لاَ يَقُومُ إِلاَّ بِالسَّيْفِ. وَيْلَكُمْ إِنَّ مَدِينَتَكُمْ مَحْفُوفَةٌ بِمَلاَئِكَةِ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَئِنْ قَتَلْتُمُوهُ لَتَتْرُكَنَّهَا، فَقَالُوا: يَا ابنَ اليَهُودِيَّةِ، وَمَا أَنْتَ وَهَذَا! فَرَجَعَ عَنْهُمْ.

وَكَانَ آخِرَ مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ مِمَّنْ رَجَعَ إِلَى القَوْمِ مُحَمَّدُ بنُ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: وَيْلَكَ! أَعَلَى اللَّهِ تَغْضَبُ! هَلَ لِي إِلَيْكَ جُرْمٌ لاَ أَذْكُرُهُ أَخَذْتُهُ مِنْكَ، فَنَكَلَ وَرَجَعَ.

فَلَمَّا خَرَجَ مُحَمَّدُ بنُ أَبِي بَكْرٍ، وَعَرَفُوا انْكِسَارَهُ ثَارَ قُتَيْرَةُ وَسُودَانُ ابْنَا حُمْرَانَ السَّكُونِيَّانِ، وَالغَافِقِيُّ، فَضَرَبَهُ الغَافِقِيُّ بِحَدِيدَةٍ مَعَهُ، وَضَرَبَ المِصْحَفَ بِرِجْلِهِ فَاسْتَدَارَ المِصْحَفُ، فَاسْتَقَرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَسَالَتْ عَلَيْهِ الدِّمَاءُ، وَجَاءَ سُودَانُ بنُ حُمْرَانَ لِيَضْرِبَهُ فَانْكَبَّتْ عَلَيْهِ نَائِلَةُ ابْنَةُ الفَرَافِصَةِ، وَاتَّقَتِ السَّيْفَ بِيَدِهَا، فَتَعَمَّدَهَا وَنَفَحَ أَصَابِعَهَا، فَأَطَنَّ أَصَابِعَ يَدِهَا، وَوَلَّتْ، فَغَمَزَ أَوْرَاكَهَا، وَقَالَ: إِنَّهَا لَكَبِيرَةُ العَجِيزَةِ، وَضَرَبَ عُثْمَانَ فَقَتَلَهُ، وَدَخَلَ أَغْلِمَةٌ لِعُثْمَانَ مَعَ القَوْمِ لِيَنْصُرُوهُ ـ وَقَدْ كَانَ عُثْمَانُ أَعْتَقَ مَنْ كَفَّ مِنْهُمْ ـ فَلَمَّا رَأَوْا سُودَانَ قَدْ ضَرَبَهُ، أَهْوَى لَهُ بَعْضُهُمْ فَضَرَبَ عُنُقَهُ فَقَتَلَهُ، وَوَثَبَ قُتَيْرَةُ عَلَى الغُلَامِ فَقَتَلَهُ، وَانْتَهَبُوا مَا فِي البَيْتِ، وَأَخْرَجُوا مَنْ فِيهِ، ثُمَّ أَغْلَقُوهُ عَلَى ثَلَاثَةِ قَتْلَى. فَلَمَّا خَرَجُوا إِلَى الدَّارِ وَثَبَ غُلَامٌ آخَرُ لِعُثْمَانَ عَلَى قُتَيْرَةَ فَقَتَلَهُ، وَدَارَ القَوْمُ فَأَخَذُوا مَا وَجَدُوا، حَتَّى تَنَاوَلُوا مَا عَلَى النِّسَاءِ، وَأَخَذَ رَجُلٌ مُلَاءَةَ نَائِلَةَ ـ وَالرَّجُلُ يُدْعَى كُلْثُومُ بنُ تُجَيْبٍ ـ فَتَنَحَّتْ نَائِلَةُ، فَقَالَ: وَيْحَ أُمِّكَ مِنْ عَجِيزَةٍ مَا أَتَمَّكِ. وَبَصُرَ بِهِ غُلَامٌ لِعُثْمَانَ فَقَتَلَهُ، وَقُتِلَ، وَتَنَادَى القَوْمُ: أَبْصَرَ رَجُلٌ

مَنْ صَاحِبُهُ، وَتَنَادَوْا فِي الدَّارِ: أَدْرِكُوا بَيْتَ المَالِ لاَ تُسْبَقُوا إِلَيْهِ، وَسَمِعَ أَصْحَابُ بَيْتِ المَالِ أَصْوَاتَهُمْ، وَلَيْسَ فِيهِ إِلاَّ غِرَارَتَانِ، فَقَالُوا: النَّجَاءَ، فَإِنَّ القَوْمَ إِنَّمَا يُحَاوِلُونَ الدُّنْيَا، فَهَرَبُوا، وَأَتَى المُنْحَرِفُونَ بَيْتَ المَالِ فَانْتَهَبُوهُ، وَمَاجَ النَّاسُ فِيهِ فَالتَّانِئُ[1] يَسْتَرْجِعُ وَيَبْكِي، وَالطَّارِئُ يَفْرَحُ، وَكَانَ الزُّبَيْرُ قَدْ خَرَجَ مِنَ المَدِينَةِ فَأَقَامَ عَلَى طَرِيقِ مَكَّةَ لِئَلاَّ يَشْهَدَ مَقْتَلَهُ، فَلَمَّا أَتَاهُ الخَبَرُ بِمَقْتَلِ عُثْمَانَ وَهُوَ بِحَيْثُ هُوَ، قَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، رَحِمَ اللَّهُ عُثْمَانَ. وَانْتَصَرَ لَهُ، وَقِيلَ: إِنَّ القَوْمَ نَادِمُونَ، فَقَالَ: دَبَّرُوا دَبَّرُوا، ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾[2]. وَأَتَى الخَبَرُ طَلْحَةَ، فَقَالَ: رَحِمَ اللَّهُ عُثْمَانَ، وَانْتَصَرَ لَهُ وَلِلاسْلاَمِ، وَقِيلَ لَهُ: إِنَّ القَوْمَ نَادِمُونَ، فَقَالَ: تَبّاً لَهُمْ، وَقَرَأَ: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾[3] وَأُتِيَ عَلِيٌّ فَقِيلَ: قُتِلَ عُثْمَانُ، فَقَالَ:

(١) التانئ: المقيم.

(٢) سورة سبأ: الآية ٥٤.

(٣) سورة يس: الآية ٥٠.

رَحِمَ اللَّهُ عُثْمَانَ، وَخَلَفَ عَلَيْنَا بِخَيْرٍ، وَقِيلَ: نَدِمَ القَوْمُ، فَـقَـرَأَ: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾[1].

وَطُلِبَ سَعْدٌ، فَإِذَا هُوَ فِي حَائِطِهِ، وَقَدْ قَالَ: لاَ أَشْهَدُ قَتْلَهُ، فَلَمَّا جَاءَهُ قَتْلُهُ قَالَ: فَرَرْنَا إِلَى المُدْنِيَةِ تُدْنِينَا، وَقَرَأَ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾[2][3].

لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ خَافَ النَّاسُ مِنْ دَفْنِهِ فَبَقِيَ دُونَ دَفْنٍ، ثُمَّ خَرَجَ بِهِ حَكِيمُ بنُ حِزَامٍ فِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً فِيهِمْ الزُّبَيْرُ، وَجُبَيْرُ بنُ مُطْعِمٍ بَيْنَ المَغْرِبِ وَالعِشَاءِ، وَدُفِنَ بِالبَقِيعِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ حَكِيمُ بنُ حِزَامٍ، وَقِيلَ جُبَيْرُ بنُ مُطْعِمٍ، وَتَبِعَتْهُمْ نَائِلَةُ مَعَ غُلاَمٍ لِهُ بِسِرَاجٍ اسْتَسْرَجَتْهُ بِالبَقِيعِ.

لَمَّا حُصِرَ عُثْمَانُ الحِصَارَ الأَخِيرَ جَاءَ المُؤَذِّنُ سَعْدُ القَرَظَ

---

(١) سورة الحشر: الآية ١٦.

(٢) سورة الكهف: الآيتان ١٠٣ ـ ١٠٤.

(٣) تاريخ الطبري.

إِلَى عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ، فَقَال: مَنْ يُصَلِّي بِالنَّاسِ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ: نَادِ خَالِدَ بنَ زَيْدٍ (أَبَا أَيّوبَ الأَنْصَارِيَّ) فَنَادَاهُ فَصَلَّى بِالنَّاسِ أَيَّاماً، وَصَلَّى سَهْلُ بنُ حُنَيْفٍ أَيَّاماً، وَكَانَ عَلِيٌّ يُصَلِّي الجُمُعَةَ، كَمَا صَلَّى العِيدَ وَعِدَّةَ أَيَّامٍ.

وَبَكَاهُ حَسَّانُ بنُ ثَابِتٍ، شَاعِرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ:

إِنْ تُمْسِ دَارُ ابنِ أَرْوَى مِنْهُ خَالِيَةً
بَابٌ صَرِيعٌ وَبَابٌ مُخْرَقٌ خَرِبُ
فَقَدْ يُصَادِفُ بَاغِي الخَيْرِ حَاجَتَهُ
فِيهَا وَيَأْوِي إِلَيْهَا الذِّكْرُ وَالحَسَبُ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَبْدُوا ذَاتَ أَنْفُسِكُمْ
لاَ يَسْتَوِي الصِّدْقُ عِنْدَ اللَّهِ وَالكَذِبُ
إِلاَّ تُنِيبُوا لِأَمْرِ اللَّهِ تَعْتَرِفُوا
بِغَارَةٍ عُصَبٍ مِنْ خَلْفِهَا عُصَبُ
فِيهِمْ حَبِيبٌ[1] شِهَابُ الحَرْبِ يَقْدُمُهُمْ
مُسْتَلْئِماً قَدْ بَدَا فِي وَجْهِهِ الغَضَبُ[2]

---

(١) حبيب: يقصد حبيب بن مسلمة الفهري، وكان قد جاء بجيش من الشام لنصرة عثمان.

(٢) ديوان حسان.

وَقَالَ أَيْضاً:

مَا نَقِمْتُمْ مِنْ ثِيَابِ خِلْفَةٍ وَعَبِيدٍ وَإِمَاءٍ وَذَهَبْ
قُلْتُمْ بَدِّلْ فَقَدْ بَدَّ لَكُمْ سُنَّةَ حَرَّى وَحَرْباً كاللَّهَبْ
فَفَرِيقٌ هَالِكٌ مِنْ عَجَفٍ وَفَرِيقٌ كَانَ أَوْدَى فَذَهَبْ
إِذْ قَتَلْتُمْ مَاجِداً ذَا مِرَّةٍ وَاضِحَ السُّنَّةِ مَعْرُوفَ النَّسَبْ

وَقَالَ أَيْضاً:

أَتَرَكْتُمْ غَزْوَ الدُّرُوبِ وَجِئْتُمُ
لِقِتَالِ قَوْمٍ عِنْدَ قَبْرِ مُحَمَّدِ
فَلَبِئْسَ هَدْيُ الصَّالِحِينَ هَدَيْتُمُ
وَلَبِئْس فِعْلُ الجَاهِلِ المُتَعَمِّدِ
إِنْ تُقْبِلُوا نَجْعَلْ قِرَى سَرَاوَتِكُمْ
حَوْلَ المَدِينَةِ كُلَّ لَدْنٍ مِذْوَدِ
أَوْ تُدْبِرُوا فَلَبِئْسَ مَا سَافَرْتُمُ
وَلِمِثْلِ أَمْرِ إِمَامِكُمْ لَمْ يُهْتَدِ
وَكَأَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ عَشِيَّةً
بُدْنٌ تُنَحَّرُ عِنْدَ بَابِ المَسْجِدِ
فَابْكِ أَبَا عَمْرٍو لِحُسْنِ بَلاَئِهِ
أَمْسَى مُقِيماً فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ

وَقَالَ أَيْضاً:

مَنْ سَرَّهُ الـمَوْتُ صِرْفَاً لاَ مِزَاجَ لَهُ
فَلْيَأْتِ مَأْسَدَةً فِي دَارِ عُثْمَانَا
مُسْتَشِعِري حَلَقِ المَاذِيِّ قَدْ شَفَعَتْ
فَوْقَ الـمَخَاطِمِ بَيْضٌ زَانَ أَبْدَانَا
بَلْ لَيْتَ شِعْرِي وَلَيْتَ الطَّيْرَ تُخْبِرُنِي
مَا كَانَ شَأْنُ عَلِيٍّ وَابْنِ عَفَّانَا
ضَحُّوا بِأَشْمَطَ عِنْوَانُ السُّجُودِ بِهِ
يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحاً وَقُرْآنَا
وَقَدْ رَضِيتُ بِأَهْلِ الشَّامِ نَافِرَةً
وَبِالأَمِيرِ وَبِالإِخْوَانِ إِخْوَانَا
لَتَسْمَعَنَّ وَشِيكاً فِي دِيَارِهِمُ
اللَّهُ أَكْبَرُ يَا ثَارَاتِ عُثْمَانَا
إِنِّي لَمِنْهُمْ وَإِنْ غَابُوا وَإِنْ شَهِدُوا
حَتَّى الـمَمَاتِ وَمَا سُمِّيتُ حَسَّانَا
صَبْراً فِدَىً لَكُمُ أُمِّي وَمَا وَلَدَتْ
قَدْ يَنْفَعُ الصَّبْرَ فِي المَكْرُوهِ أَحْيَانَا

شُدُّوا السُّيُوفَ بِثَنْيٍ فِي مَنَاطِقِكُمْ
حَتَّى يَحِينَ بِهَا فِي المَوْتِ مَنْ حَانَا
لَعَلَّكُمْ أَنْ تَرَوْا يَوْمَاً بِمَغْبَطَةٍ
خَلِيفَةَ اللَّهِ فِيكُمْ كَالَّذِي كَانَا

وَقَال أَيْضَاً:

يَا لِلرِّجَالِ لِدَمْعٍ هَاجَ بِالسَّنَنِ
إِنِّي عَجِبْتُ لِمَنْ يَبْكِي عَلَى الدِّمَنِ
إِنِّي رَأَيْتُ أَمِينَ اللَّهِ مُضْطَهَداً
عُثْمَانَ رَهْنَاً لَدَى الأَجْدَاثِ وَالكَفَنِ
يَا قَاتَلَ اللَّهُ قَوْمَاً كَانَ شَأْنُهُمُ
قَتْلَ الإِمَامِ الأَمِينِ المُسْلِمِ الفَطِنِ
مَا قَاتَلُوهُ عَلَى ذَنْبٍ أَلَمَّ بِهِ
إِلاَّ الَّذِي نَطَقُوا بُوقاً وَلَمْ يَكُنِ
إِذَا تَذَكَّرْتُهُ فَاضَتْ بِأَرْبَعَةٍ
عَيْنِي بِدَمْعٍ عَلَى الخَدَّيْنِ مُخْتَتِنِ
قَدْ قَتَلُوهُ وَأَصْحَابَ النَّبِيِّ مَعَاً
لَوْلاَ الَّذِي فَعَلُوا لَمْ نُبْلَ بِالفِتَنِ

قَـدْ قَـتَـلُـوهُ نَـقِـيَّـاً غَـيْـرَ ذِي أُبَـنِ[1]

صَـلَّـى الإِلَـهُ عَـلَـى وَجْـهٍ لَـهُ، حَـسَـنِ

قَدْ جَمَعَ الحِلْمَ وَالتَّقْوَى لِمَعْصَمَةٍ

مَـعَ الـخِـلاَفَـةِ أَمْـراً كَـانَ لَـمْ يَـشِـنِ

هَـذَا بِـه، كَـانَ رَأْيَـاً فِـي قَـرَابَـتِـهِ

لَـمْ يَـحْـظَ شَـيْـئَـاً مِنَ الدُّنْيَا وَلَـمْ يَـخُـنِ

لَمَّا حُصِرَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جَاءَ بَنُو عَمْرِو بنِ عَوْفٍ إِلى الزُّبَيْرِ بنِ العَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالُوا: نَحْنُ نَأْتِي إِلَيْكَ، ثُمَّ نَصِيرُ إِلَى مَا تَأْمُرُنَا بِهِ، فَبَعَثَ الزُّبَيْرُ أَبَا حَبِيبَةَ إِلَى عُثْمَانَ، وَقَالَ لَهُ: أَقْرِئْهُ السَّلاَمَ، وَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ أَخُوكَ: إِنَّ بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ جَاؤُونِي، وَوَعَدُونِي أَنْ يَأْتُونِي ثُمَّ يَصِيرُوا إِلَى مَا آمُرُهُمْ بِهِ فَإِنْ شِئْتَ أَنْ آتِيكَ فَأَكُونَ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الدَّارِ يُصِيبُنِي مَا يُصِيبُ أَحَدَهُمْ فَعَلْتُ، وَإِنْ شِئْتَ انْتَظَرْتُ مِيعَادَ بَنِي عَمْرٍو فَأَدْفَعُ بِهِمْ عَنْكَ فَعَلْتُ. قَالَ أَبُو حَبِيبَةَ: فَأَبْلَغْتُ عُثْمَانَ رِسَالَةَ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَصَمَ أَخِي،

(١) الأبن: العيوب.

قُلْ لَهُ: إِنَّكَ إِنْ تَأْتِ الدَّارَ تَكُنْ رَجُلاً مِنَ المُهَاجِرِينَ حُرْمَتُكَ حُرْمَةُ رَجُلٍ مِنْهُمْ، وَعَنَاؤُكَ عَنَاءُ رَجُلٍ مِنْهُمْ، وَلَكِنِ انْتَظِرْ مِيعَادَ بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَدْفَعَ بِكَ. وَلَكِنَّ المَارِقِينَ تَسَوَّرُوا دَارَ عُثْمَانَ مِنْ دَارِ جَارِهِ عُمَرَ بنِ حَزْمٍ، وَهُوَ أَحَدُ بَنِي النَّجَّارِ، فَأَثَّرَ ذَلِكَ فِي نَفْسِ حَسَّانَ بنِ ثَابِتٍ كَثِيرَاً لِأَنَّهُ أَحَدُ أَفْرَادِ بَنِي النَّجَّارِ، وَعَدَّ ذَلِكَ مَنْقَصَةً فِي قَوْمِهِ بَنِي النَّجَّارِ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ غَضْبَانَ أَسِفَاً:

أَوْفَتْ بَنُو عَمْرِو بنِ عَوْفٍ نَذْرَهَا
وَتَلَوَّثَتْ غَدْرَاً بَنُو النَّجَّارِ
وَتَخَاذَلَتْ يَوْمَ الحَفِيظَةِ إِنَّهُمْ
لَيْسُوا هُنَالِكُمُ مِنَ الأَخْيَارِ
وَنَسُوا وَصَاةَ مُحَمَّدٍ فِي صِهْرِهِ
وَتَبَدَّلُوا بِالعِزِّ دَارَ بَوَارِ
أَتَرَكْتُمُوهُ مُفْرَدَاً بِمَضِيعَةٍ
تَنْتَابُهُ الغَوْغَاءُ فِي الأَمْصَارِ
لَهْفَانَ يَدْعُو غَائِبَاً أَنْصَارَهُ
يَا وَيْحَكُمْ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ

هَـلاَّ وَفَـيْـتُـمْ عِـنْـدَهَـا بِـعُـهُـودِكُـمْ
وَفَـدَيْـتُـمُ بِـالـسَّـمْـعِ وَالأَبْـصَـارِ

جِـيـرَانُـهُ الأَدْنَـوْنَ حَـوْلَ بُـيُـوتِـهِ
غَـدَرُوا وَرَبِّ الـبَـيْـتِ ذِي الأَسْـتَـارِ

إِنْ لَـمْ تَـرَوْا لَـهُ مَـدَدَاً وَكَـتِـيـبَـةً
تُـهْـدِي أَوَائِـلَ جَـحْـفَـلٍ جَـرَّارِ

فَـعَـدِمْـتُ مَـا وَلَـدَ ابنُ عَـمْـرٍو مُـنْـذِرٌ
حَـتَّـى يُـنِـيـخَ جُـمُـوعَـهُـمْ بِـصِـرَارِ

وَالـلَّـهِ لاَ يُـوفُـونَ بَـعْـدَ إِمَـامِـهِـمْ
أَبَـدَاً وَلَـوْ أُمِـنُـوا بِـحِـلْـسِ حِـمَـارِ

أَبْـلِـغْ بَـنِـي بَـكْـرٍ إِذَا مَـا جِـئْـتَـهُـمْ
ذَمَّـاً فَـبِـئْـسَ مَـوَاضِـعَ الأَصْـهَـارِ

غَـدَرُوا بِـأَبْـيَـضَ كَـالـهِـلاَلِ مُـبَـرَّإٍ
خَـلَـصَـتْ مَـضَـارِبُـهُ بِـزَنْـدٍ وَارِ

مِنْ خَـيْـرِ خِـنْـدِفَ كُـلِّـهَـا بَـعْـدَ الَّـذِي
نَـصَـرَ الإِلَـهُ بِـهِ عَـلَـى الـكُـفَّـارِ

طَـاوَعْـتُـمُ فِـيـهِ الـعَـدُوَّ وَكُـنْـتُـمُ
لَـوْ شِـئْـتُـمُ فِـي مَـعْـزِلٍ وَقَـرَارِ

لاَ يَـحْـسَـبَـنَّ الـمُـرْجِـفُـونَ بِـأَنَّـهُـمْ
لَـنْ يُـطْـلَـبُـوا بِـدِمَـاءِ أَهْـلِ الـدَّارِ
حَـاشَـا بَـنِـي عَـمْـرِو بـنِ عَـوْفٍ إِنَّـهُـمْ
كُـتِـبَـتْ مَـضَـاجِـعُـهُـمْ مَـعَ الأَبْـرَارِ

وَقَالَ الحُبَابُ بنُ يَزِيدَ المُجَاشِعِيُّ، عَمُّ الفَرَزْدَقِ:

لَـعَـمْـرُ أَبِـيـكَ فَـلاَ تَـجْـزَعَـنْ
لَـقَـدْ ذَهَـبَ الـخَـيْـرُ إِلاَّ قَـلِـيـلاَ
لَـقَـدْ سَـفِـهَ الـنَّـاسُ فِـي دِيـنِـهِـمْ
وَخَـلَّـى ابـنُ عَـفَّـانَ شَـرّاً طَـوِيـلاَ[1]
أَعَـاذِلُ كُـلُّ امْـرِىءٍ هَـالِـكٌ
فَـسِـيـرِي إِلَـى الـلَّـهِ سَـيْـرَاً جَـمِـيـلاَ

وَرَثَى كَعْبُ بنُ مَالِكٍ عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ فَقَالَ:

يَـا لِـلـرِّجَـالِ لِـلُـبِّـكَ الـمَـخْـطُـوفِ
وَلِـدَمْـعِـكَ الـمُـتَـرَقْـرِقِ الـمَـتْـرُوفِ
وَيْـحٌ لِأَمْـرٍ قَـدْ أَتَـانِـي رَائِـعٍ
هَـدَّ الـجِـبَـالَ فَـانْـقَـضَّـتْ بِـرُجُـوفِ

(١) أي بعد مقتله سيكون شر كثير.

قَتْلُ الخَلِيفَةِ كَانَ أَمْراً مُفْظِعاً
قَامَتْ لِذَاكَ بَلِيَّةُ التَّخْوِيفِ
قَتْلُ الإِمَامِ لَهُ النُّجُومُ خَوَاضِعٌ
وَالشَّمْسُ بَازِغَةٌ لَهُ بكُسُوفِ
يَا لَهْفَ نَفْسِي إِذْ تَوَلَّوْا غَدْوَةً
بِالنَّعْشِ فَوْقَ عَوَاتِقٍ وَكُتُوفِ
وَلَّوْا وَدَلُّوا فِي الضَّرِيحِ أَخَاهُمُ
مَاذَا أَجَنَّ ضَرِيحُهُ المَسْقُوفِ
مِنْ نَائِلٍ أَوْ سُودَدٍ وَحَمَالَةٍ
سَبَقَتْ لَهُ فِي النَّاسِ أَوْ مَعْرُوفِ
كَمْ مِنْ يَتِيمٍ كَانَ يَجْبُرُ عَظْمَهُ
أَمْسَى بِمَنْزِلِهِ الضَّيَاعُ يَطُوف
مَاذَا يَقِيلُهُمْ وَيَرْأَبُ ظُلْمَهُمْ
حَتَّى سَمِعْتُ بِرَنَّةِ التَّلْهِيفِ
أَمْسَى مُقِيماً بِالبَقِيعِ وَأَصْبَحُوا
مُتَفَرِّقِينَ قَدْ أَجْمَعُوا بِخُفُوفِ
النَّارُ مَوْعِدُهُمْ بِقَتْلِ إِمَامِهِمْ
عُثْمَانَ ظُهْراً فِي البِلَادِ عَفِيفِ

جَمَعَ الحَمَالَةَ بَعْدَ حِلْمٍ رَاجِحٍ
وَالخَيْرُ فِيهِ مُبَيَّنٌ مَعْرُوف
يَا كَعْبُ لاَ تَنْفَكُّ تَبْكِي مَالِكَاً
مَا دُمْتَ حَيّاً فِي البِلاَدِ تَطُوف
فَابْكِي أَبَا عَمْرٍو عَتِيقَاً وَاصِلاً
وَلِوَاؤُهُمْ إِذْ كَانَ غَيْرَ سَخِيفِ
وَلْيَبْكِهِ عَنْدَ الحِفَاظِ لِمُعْظِمٍ
وَالخَيْلُ بَيْنَ مَقَانِبٍ وَصُفُوفِ
قَتَلُوكَ يَا عُثْمَانُ غَيْرَ مُدَنَّسٍ
قَتْلاً لَعَمْرُكَ وَاقِفَاً بِسَقِيفِ

وَقْفَةُ تَدَبُّرٍ:

قَدْ يَتَسَاءَلُ المَرْءُ كَيْفَ تَقَعُ مِثْلُ هَذِهِ الأَحْدَاثِ فِي مِثْلِ هَذَا الوَقْتِ المُبَكِّرِ مِنْ صَدْرِ الإِسْلَامِ، وَالصَّحَابَةُ الكِرَامُ يَمْلَؤُونَ المَدِينَةَ، وَالخَلِيفَةُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ، وَمِنَ السَّابِقِينَ لِلإِسْلَامِ، وَأَحَدُ المُبَشَّرِينَ بِالجَنَّةِ، وَالمُسْتَشَارُونَ مِنْ أَمْثَالِهِ، وَهُمْ أَصْحَابُ الكَلِمَةِ الأُولَى، وَيَأْتِي بَعْدَ هَذَا أُنَاسٌ مِنَ الرُّعَاعِ بَلْ مِنَ السَّفَلَةِ مِنْ مُخْتَلَفِ الأَمْصَارِ يَأْتُونَ إِلَى المَدِينَةِ بِتَخْطِيطٍ، وَيَدْخُلُونَهَا بِتَدْبِيرٍ، يَنْشُرُونَ

الفَوْضَى، وَيُحَاصِرُونَ دَارَ الخَلِيفَةِ، ثُمَّ يَقْتَحِمُونَهَا، وَيَتَسَوَّرُونَ إِلَيْهَا مِنْ دُورِ الجِوَارِ، وَيَقْتُلُونَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، وَهُوَ يَقْرَأُ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَيَنْهَبُونَ الدَّارَ، وَيَسْرِقُونَ بَيْتَ المَالِ وَيَسْفِكُونَ الدِّمَاءَ، وَيُفْسِدُونَ، بَلْ وَيَؤُمُّ أَحَدُهُمُ النَّاسَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَتَمُرُّ الحَادِثَةُ فِي المُجْتَمَعِ الإِسْلَامِيِّ مَعَ فَدَاحَتِهَا كَأَيَّةِ حَادِثَةٍ أُخْرَى، حَيْثُ لَمْ يَثُرِ الصَّحَابَةُ وَيَنْقَضُّونَ عَلَى الأَعْدَاءِ.

إِنَّ الأَعْدَاءَ الَّذِينَ وَجَّهُوا سِهَامَهُمْ عَلَى الصِّدِّيقِ لِأَنَّهُ سَيَّرَ جُيُوشَ الفَتْحِ نَحْوَ الشَّرْقِ فَأَخَذَتْ تَدُكُّ أَطْرَافَ دَوْلَةِ الظُّلْمِ، ثُمَّ وَجَّهُوا سِهَامَهُمْ عَلَى الفَارُوقِ الَّذِي أَزَالَتْ جُيُوشُهُ تِلْكَ الدَّوْلَةَ المَجُوسِيَّةَ مِنْ جُذُورِهَا، وَخَطَّطُوا لِلانْتِقَامِ مِنْهُ، أُولَئِكَ الأَعْدَاءُ هُمْ أَنْفُسُهُمُ الَّذِينَ نَقَمُوا عَلَى ذِي النُّورَيْنِ لِأَنَّهُ قَضَى عَلَى الَّذِينَ نَقَضُوا عُهُودَهُمْ مَعَ المُسْلِمِينَ فِي سَبِيلِ إِعَادَةِ عِبَادَةِ النَّارِ إِلَى سَابِقِ عَهْدِهَا، وَإِحْيَاءِ المَجُوسِيَّةِ إِلَى مَاضِي الأَيَّامِ، كَمَا أَنَّ ذَا النُّورَيْنِ قَدْ تَمَكَّنَتْ جُيُوشُهُ مِنْ إِحْرَازِ فُتُوحَاتٍ جَدِيدَةٍ فَتَوَسَّعَتْ دِيَارُ الإِسْلَامِ، وَزَادَتْ قَوَاعِدُهَا رُسُوخاً، وَهَذَا مَا أَهَاجَ الأَعْدَاءَ فَسَدَّدُوا رَمْيَهُمْ، وَجَعَلُوا هَدَفَهُمْ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ

عُثْمَانَ حَتَّى نَالُوا مِنْهُ، ثُمَّ جَعَلُوا مِنْ مَقْتَلِهِ سَبَباً لِلطَّعْنِ بِبَقِيَّةِ الصَّحَابَةِ بَلْ بِالمُجْتَمَعِ الإِسْلاَمِيِّ كُلِّهِ، ثُمَّ بِالإِسْلاَمِ، ذَلِكَ أَنَّهِمْ رَكَّزُوا عَلَى مَا قَامُوا بِهِ أَنْفُسُهُمْ مِن فِتْنَةٍ حَتَّى طَغَتْ بِأَحْدَاثِهَا عَلَى حَيَاةِ عُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كُلِّهَا، فَبَدَا ضَعِيفاً لِلعَامَّةِ، وَظَهَرَ ذَا عَصَبِيَّةٍ لِقَوْمِهِ بَنِي أُمَيَّةَ، وَهَذَا مَا يَتَنَاقَضُ مَعَ مَبَادِىءِ الإِسْلَامِ، فَإِذَا كَانَ أَوَائِلُ الصَّحَابَةِ أَصْحَابُ عَصَبِيَّاتٍ جَاهِلِيَّةٍ، فَمَاذَا بَقِي؟.

وَاسْتَنْتَجَ المَاكِرُونَ مِنْهُمْ أَنَّ الإِسْلاَمَ قَدْ جَاءَ لِلبَدْوِ وَبِذَا طُبِّقَ أَيَّامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالخَلِيفَتَيْنِ مِنْ بَعْدِهِ الصِّدِّيقِ وَالفَارُوقِ عَنْدَمَا كَانَ المُسْلِمُونَ لاَ يَزَالُونَ عَلَى أَرْضِ جَزِيرَتِهِمْ فَقَطْ، فَلَمَّا احْتَكَّ المُسْلِمُونَ بِجِيرَانِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ (الحَضَارَاتِ) ظَهَرَ عُوَارَ مِنْهَجِهِمْ. وَحَمَلَ هَذَا المُسْتَشْرِقُونَ، وَنَقَلَهُ تَلاَمِذَتُهُمْ مِنَ الأَعْدَاءِ المَحَلِّيِّينَ.

وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ نَقِفَ وَقَفَاتِ تَأَمُّلٍ عَلَى هَذَا الحَادِثِ.

١ - أَظْهَرَ اليَهُودِيُّ عَبْدُ اللَّهِ بنُ سَبَأٍ الإِسْلَامَ، وَاتَّخَذَ أُسْلُوبَ المَكْرِ والخِدَاعِ، وَهُوَ أُسْلُوبٌ لَمْ يَعْرِفْهُ العَرَبُ مِنْ قَبْلُ، وَلَمْ يَأْلَفْهُ المُسْلِمُونَ بَعْدُ، حَيْثَ تَعَلَّمَ الحَدِيثَ عَنِ الإِسْلَامِ، وَرَكَّزَ عَلَى المُتَشَابِهِ مِنْهُ، وَتَنَقَّلَ بَيْنَ

الأَعْرَابِ، وَاسْتَقَرَّ مَعَ العَامَّةِ، وَاتَّخَذَ مِنْ أَوَائِلِ الصَّحَابَةِ دَرِيئَةً يَقِي بِهَا نَفْسَهُ إِذْ يُكْثِرُ الحَدِيثَ عَنْ بَعْضِهِمْ وَيُعَظِّمُهُ، وَيَفْتَرِي عَلَى لِسَانِهِ أَقْوَالاً، وَيَدَّعِي لَهُ أَفْعَالاً، فَيُؤْخَذُ بِذَلِكَ الجَاهِلُ، وَيُصَدِّقُ حَدِيثُ العَهْدِ بِالإِسْلَامِ، كَمَا اتَّخَذَ مِنَ السَّفْلَةِ حِرَاباً يُوَجِّهُهَا إِلَى هَدَفِهِ، وَسِهَاماً يَرْمِي بِهَا مَنْ يُرِيدُ، فَكَانَ يُحَرِّكُهُمْ فَيَتَصَرَّفُونَ كَمَا يَرْغَبُ.

٢ ـ لَمْ يَكُنْ أَتْبَاعُ ابنُ السَّوْدَاءِ سِوَى سَفْلَةٍ، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا اتِّهَاماً لَهُمْ، بَلْ هُوَ صِفَةٌ مُلْتَصِقَةٌ بِهِمْ، وَقَدْ رَأَيْنَا حَدِيثَهُمْ عَنْ عَجِيزَةِ زَوْجِ الخَلِيفَةِ المَقْتُولِ، وَنَهْبِ الدَّارِ، وَأَخْذِ حَاجَاتِ النِّسَاءِ، وَسَرِقَةِ بَيْتِ المَالِ. وَعدَمِ وُجُودِ ذَرَّةٍ مِنْ مُرُوءَةٍ فِي تَصَرُّفِ أَيِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ. وَلَمْ تَكُنْ وَسَائِلُ جَرِّهِمْ لِمُعَادَاةِ الخَلِيفَةِ بِأَفْضَلَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ.

هَذَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الطَّرَفِ المُنْحَرِفِ عَنِ الجَادَّةِ، المَارِقِ مِنَ العَقِيدَةِ، أَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الصَّحَابَةِ الكِرَامِ الطَّرَفِ النَّقِيِّ الصَّافِي، فَيَجِبُ مَعْرِفَةُ:

أ ـ أَنَّ مَا يَقُومُ بِهِ الخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ سُنَّةٌ لَنَا، يَجِبُ التَّقَيُّدُ بِهَا، وَأَخْذُ العِظَةِ وَالعِبْرَةِ مِنْهَا، يَقُولُ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةَ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ)[1]. وَقَدْ تَكُونُ هُنَاكَ دُرُوسٌ قَاسِيَةٌ كَيْ تَكُونَ لَنَا تَرْبِيَةٌ وَعِظَةٌ. فَفِي مَعْرَكَةِ أُحُدٍ انْتَصَرَ المُسْلِمُونَ انْتِصَاراً رَائِعاً، ثُمَّ بَدَتْ مُخَالَفَةٌ مِنْ بَعْضِهِمْ فَدَفَعُوا عَلَيْهَا غَالِيَاً حَتَّى يَعْتَبِرُوا، فَقَدْ قُتِلَ أَسَدُ اللَّهِ، الحَمْزَةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ جَحْشٍ، ابنُ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقُتِلَ أَبُو سَلَمَةَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَبْدِ الأَسَدِ المَخْزومِيُّ، ابنُ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقُتِلَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ، وَقُتِلَ سَعْدُ بنُ الرَّبِيعِ، وَأَكْبَرُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ جُرِحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَكُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُهُ، وَوَقَعَ فِي حُفْرَةٍ مِنْ

---

(١) عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله، ﷺ، موعظةً ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب. فقلنا: يا رسول الله، إنّ هذه لموعظة مودّع. فماذا تعهد إلينا؟ قال: (قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها. لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضّوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة، وإن عبداً حبشياً، فإنما المؤمن كالجمل الأنف. حيثما قيد انقاد) رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد، والحاكم.

تِلْكَ الحُفَرِ الَّتِي عَمِلَهَا أَبُو عَامِرٍ الفَاسِقُ لِيَقَعَ فِيْهَا المُسْلُمونَ، وَكَانَ هَذَا ثَمَنَ المُخَالَفَةِ الَّتِي وَقَعَتْ مِنْ بَعْضِهِمْ، فَكَانَتْ دَرْساً قَاسِياً، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾[1]. وَكَانَ مَقْتَلُ الخَلِيفَةِ الرَّاشِدِيِّ الثَّالِثِ دَرْساً قَاسِياً لِلْمُسْلِمِينَ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ الخِلاَفَةَ ذَاتُ أَثَرٍ كَبِيرٍ فِي حَيَاةِ المُسْلِمِينَ، لاَ يَصِحُّ أَنْ يَتَدَخَّلَ الرُّعَاعُ فِي شُؤُونِهَا، فَإِذَا لَمْ يَرُقْ أَمْرٌ لِشِرْذِمَةٍ مِنَ السُّوقَةِ جَاءُوا يَطْلُبُونَ الخَلِيفَةَ بِاعْتِزَالِ إِمْرَتِهِ، أَطَاعَهُمْ، حَتَّى يَغْدُوَ الأَمْرُ بِيَدِ العَامَّةِ، إِنْ لَمْ يُعْجِبْهُمْ أَمْرٌ مِنْ وَالٍ طَلَبُوا عَزْلَهُ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِبِ

(١) سورة آل عمران: الآيتان ١٥١ ـ ١٥٢.

الخَلِيفَةُ إِلَيْهِمْ سَارُوا إِلَيْهِ يَعْزِلُونَهُ هُوَ، فَإِذَا حَدَثَ هَذَا الأَمْرِ، لاَ يُنَفَّذُ شَرْعٌ، وَلاَ يُطَبَّقُ حُكْمٌ، وَلاَ يَسْرِي نِظَامٌ.

وَقَدْ كَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَعْلَمُ مَا سَيَنَالَهُ، مِنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَهُ، إِذْ قَالَ لَهُ: (يَا عُثْمَانُ، إِنَّ اللَّهُ يُقَمِّصُكَ قَمِيصاً فَإِنْ أَرَادَكَ المُنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ، فَلاَ تَخْلَعْهُ، وَلاَ كَرَامَةَ لَهُمْ)[1] قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثاً. وَفِي رِوَايَةٍ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِلَى عُثْمَانَ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَكَانَ آخِرُ كَلاَم كَلَّمَهُ أَنْ ضَرَبَ مَنْكِبَهُ، وَقَال: (يَا عُثْمَانُ إِنَّ اللَّهَ عَسَى أَنْ يُلْبِسَكَ قَمِيصاً فَإِنْ أَرَادَكَ المُنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ فَلاَ تَخْلَعْهُ حَتَّى تَلْقَانِي) فَذَكَرَهُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ[2].

● وَفِي رِوَايَة أَنَّهَا قَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (يَا عُثْمَانِ إِنْ وَلأَكَ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الأَمْرَ يَوْماً فَأَرَادَكَ المُنَافِقُونَ عَلَى أَنْ تَخْلَعَ قَمِيصَكَ الَّذِي قَمَّصكَ اللَّهُ فَلاَ تَخْلَعْهُ، يَقُولُ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ).

---

(١) مسند الإمام أحمد.

(٢) مسند الإمام أحمد.

• وَفِـي رِوَايَـةٍ عَـنْ عَـبْـدِ الـلَّـهِ بـنِ عُـمَـرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ، قَـالَ: (يَـا عُـثْـمَـانُ: إِنْ كَسَـاكَ اللَّـهُ قَمِيصاً، وَأَرَادُوكَ عَلَى خَلْعِهِ فَلاَ تَخْلَعْهُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ خَلَعْتَهُ لاَ تَرَى الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ).

•وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الجُبَيْرِيِّ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ، وَعِنْدَهَا حَفصَةُ بِنْتُ عمَرَ، فَقَالَتْ لَهَا: أُنْشِدُكِ بِاللَّهِ أَلاَّ تُصَدِّقِنِي بِكَذِبٍ أَوْ تُكَذِّبِينِي بِصِدْقٍ: تَعْلَمِينَ أَنِّي كُنْتُ أَنَا وَأَنْتِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَكِ: أَتَرَيْنَهُ قُبِضَ؟ فَقُلْتِ: لاَ أَدْرِي، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: افْتَحُوا لهُ البَابَ، فَقُلْتُ لَكِ: أَبُوكِ أَوْ أَبِي؟ فَقُلْتِ: لاَ أَدْرِي، فَفَتَحْنَا فَإِذَا عُثْمَانُ، فَلَمَّا رَآهُ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: ادْنُهْ، فَأَكَبَّ عَلَيْهِ فَسَارَّهُ بِشَيْءٍ لاَ أَدْرِي أَنَا وَأَنْتِ مَا هُوَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: أَفَهِمْتَ مَا قُلْتُ لَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: ادْنُهْ، فَأَكَبَّ عَلَيْهِ أُخْرَى مِثْلَهَا، فَسَارَّهُ بِشَيْءٍ لاَ نَدْرِي مَا هُوَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: أَفَهِمْتَ مَا قُلْتُ لَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: ادْنُهْ، فَأَكَبَّ عَلَيْهِ إِكْبَاباً شَدِيداً، فَسَارَّهُ بِشَيْءٍ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: أَفَهِمْتَ مَا قُلْتُ لَكَ؟

قَالَ: نَعَمْ، سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ، وَوَعَاهُ قَلْبِي، فَقَالَ لَهُ: اخْرُجْ. قَالَتْ حفْصَةُ: اللَّهُمَّ نَعَمْ[1].

● وَعَنْهَا قَالَت: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (ادْعُوا إِلَيَّ بَعْضَ أَصْحَابِي).

قُلْتُ: أَبَا بَكْرٍ؟ قَالَ: (لاَ).

قُلْتُ: عُمَرَ؟ قَالَ: (لاَ).

قُلْتُ: ابنَ عَمِّكَ؟ قَالَ: (لاَ).

قُلْتُ: عُثْمَانَ؟. قَالَ: (نَعَمْ).

فَلَمَّا جَاءَهُ، قَالَ: (تَنَحَّ) فَجَعَلَ يُسَارُّهُ، وَلَوْنُ عُثْمَانَ يَتَغَيَّرُ.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الدَّارِ وَحُصِرَ فِيْهَا، قُلْنَا: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ أَلاَ تُقَاتِلُ؟ قَالَ: لاَ - إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، عَهِدَ إِلَيَّ عَهْداً، وَإِنِّي صَابِرٌ نَفْسِي عَلَيْهِ[2].

●عَنْ كَعْبِ بنِ عَجِرَةَ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،

---

(١) رواه أحمد. عن الرياض النضرة.

(٢) رواه أحمد عن الرياض النضرة.

فَتْنَةً، فَقَرَّبَهَا، وَعَظَّمَهَا، قَالَ: ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ فِي مُلْحَفَةٍ، فَقَالَ: (هَذَا يَوْمَئِذٍ عَلَى الحَقِّ)، فَانْطَلَقْتُ فَأَخَذْتُ بِضَبْعَيْهِ[1]، فَقُلْتُ: هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (هَذَا)، فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ[2].

●وَعَنْ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ البَهْزِيِّ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِي طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ المَدِينَةِ، قَالَ: (كَيْفَ تَصْنَعُونَ فِي فِتْنَةٍ تَثُورُ فِي أَقْطَارِ الأَرْضِ كَأَنَّهَا صَيَاصِي[3] بَقَرٍ) قَالُوا: فَنَصْنَعُ مَاذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (عَلَيْكُمْ بِهَذَا وَأَصْحَابِهِ. أَوْ اتَّبِعُوا هَذَا وَأَصْحَابَهُ) قَالَ: فَأَسْرَعْتُ حَتَّى عَطَفْتُ الرَّجُلَ، فَقُلْتُ: هَذَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: (هَذَا)، فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ[4].

●عَنْ أَبِي حَبِيبَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، وَعُثْمَانُ مَحْصُورٌ، اسْتَأْذَنَ فِي الكَلَامِ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: (إِنَّهَا تَكُونُ فِتْنَةٌ وَاخْتِلَافٌ أَوِ

---

(١) الضبع: العضد.

(٢) رواه الترمذي وأحمد.

(٣) صياصي بقر: قرون البقر.

(٤) رواه أحمد.

اخْتِلَافٌ وَفِتْنَةٌ) قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: (عَلَيْكُمْ بِالأَمِينِ وَأَصْحَابِهِ وَأَشَارَ إِلَى عُثْمَانَ).

●عَنْ زَيْدِ بنِ أَبِي أَوْفَى فِي حَدِيثِ مُؤَاخَاتِهِ ﷺ، بَيْنَ أَصْحَابِهِ: وَفِيهِ: ثُمَّ دَعَا عُثْمَانَ وَقَالَ: ادْنُ يَا أَبَا عَمْرٍو، ادْنُ يَا أَبَا عَمْرٍو، فَلَمْ يَزَلْ يَدْنُو مِنْهُ حَتَّى أَلْصَقَ رُكْبَتَهُ بِرُكْبَتِهِ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَ: (سُبْحَانَ اللَّهِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ نَظَرَ إِلَى عُثْمَانَ، وَكَانَتْ أَزْرَارُهُ مَحْلُولَةً، فَزَرَّهَا ﷺ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: اجْمَعْ عِطْفَيْ رِدَائِكَ عَلَى نَحْرِكَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ لَكَ لَشَأْنَاً فِي أَهْلِ السَّمَاءِ أَبَا عَمْرٍو، تَرِدُ عَلَى حَوْضِي وَأَوْدَاجُكَ تَشْخَبُ دَمَاً، فَأَقُولُ: مَنْ فَعَلَ بِكَ هَذَا؟ فَتَقُولُ: فُلَانٌ، وَفُلَانٌ، وَذَلِكَ كَلَامُ جِبْرِيلَ).

وَهَذَا كُلُّهُ يُعَلِّلُ مَوْقِفُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَوْقِفَ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَالخَلِيفَةُ عَلَى يَقِينٍ أَنَّ أَمْرَ اللَّهِ نَافِذٌ، وَأَنَّهُ مَقْتُولٌ لاَ مَحَالَةَ، وَأَنَّ الخَيْرَ فِيمَا يَقْضِي اللَّهُ. وَمَا دَامَ مَقْتُولاً، فَلَا حَاجَةَ لِلقِتَالِ، وَوُقُوعِ قَتْلَى مِنَ الصَّحَابَةِ وَأَبْنَائِهِمْ، وَهَذَا مَا جَعَلَهُ يُصِرُّ عَلَى

الْمُدَافِعِينَ عَنْهُ وَيُقْسِمُ عَلَيْهِمْ لِتَرْكِ السِّلاَحِ وَعَدِمِ القِتَالِ. وَفِي الوَقْتِ نَفْسِهِ يُظْهِرُ مُحَافَظَتَهُ عَلَى الخِلاَفَةِ وَعلَى إِمْرَةِ المُؤْمِنِينَ لاَ حُبّاً بِالمَنْصِبِ وَلاَ تَمَسُّكاً بِهِ، وَإِنَّمَا تَرْسِيخاً لِمَكَانَةِ الخِلاَفَةِ إِذْ لَيْسَتْ إِمْرَةُ المُؤْمِنِينَ أُلْعُوبَةً بِيَدِ الرُّعَاعِ يَعْزِلُونَ خَلِيفَةً، وَيُنَصِّبُونَ مَكَانَهُ حَسْبَ أَهْوَائِهِمْ وَوِفْقَ مَصَالِحِهِمْ. فَالخِلاَفَةُ قَمِيصُ يُلْبِسُهُ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ عَنْ طَرِيقِ المُشَاوَرَةِ بَيْنَ عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ.

وَكَذَلِكَ فَإِنَّ الصَّحَابَةَ كَانُوا عَلَى يَقِينٍ أَيْضاً أَنَّ أَمْرَ اللَّهِ نَافِذٌ، وَأَنَّ الخَلِيفَةَ مَقْتُولٌ لِذَا فَهُمْ لَمْ يَتَقَدَّمُوا النَّاسَ لِقِتَالِ تِلْكَ الفِئَةِ المُنْحَرِفَةِ كَمَا كَانَ يَتَوَقَّعُ النَّاسُ مِنَ العَامَّةِ، وَفِي الوَقْتِ نَفْسِهِ لَمْ يَرْغَبُوا أَنَّ يَتْرُكُوا السَّاحَةِ خَالِيَةً الأَمْرُ الَّذِي يُشَجِّعُ السُّوقَةَ لِلقِيَامِ بِالاعْتِدَاءَاتِ عَلَى أَهَمِّ مَرْكَزٍ فِي الدَّوْلَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ وَهُوَ الخِلاَفَةُ وَذَلِكَ كُلَّمَا وَجَدُوا لَهُمْ مَصْلَحَةً فِي ذَلِكَ، لِذَا أَرْسَلُوا أَبْنَاءَهُمْ لِلدِّفَاعِ عَنِ الخَلِيفَةِ إِشَارَةً إِلَى حِمَايَةِ هَذَا المَنْصِبِ وَوُجُودِ قُوَّةٍ تُدَافِعُ عَنْهُ وَعَمَّن يُمَثِّلُهُ، وَتُمَثِّلُ هَذِهِ القُوَّةُ قِمَّةَ سُكَّانِ المَدِينَةِ وَرِجَالِهَا، فَقَدْ أَرْسَلَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ ابنَهُ الحَسَنَ، وَأَرْسَلَ الزُّبَيْرُ ابنَهُ عَبْدَ اللَّهِ، وَبَعَثَ طَلْحَةُ ابنَهُ

مُحَمَّداً، إِضَافَةً إِلَى عَدَدٍ آخَرَ مِنَ الصَّحَابَةِ مِثْلُ سَعِيدِ بنِ العَاصِ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَهُنَاكَ مَرْوَانُ بنُ الحَكَمِ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ.

وَالصَّحَابَةُ الكِرَامُ يَعْلَمُونَ أَنَّ الفِئَةَ المُنْحَرِفَةَ القَادِمَةَ مِنَ الأَمْصَارِ وَالمُجْتَمِعَةَ فِي ذِي المَرْوَةِ، وَذِي خُشُبٍ، وَالأَعْوَصِ مَلْعُونَةٌ، وَقَدْ سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَقَدْ قَالَ لَهُمُ الخَلِيفَةُ: لَقَدْ عَلِمَ أَهْلُ المَدِينَةِ أَنَّ جَيْشَ ذِي المَرْوَةِ، وَذِي خُشُبٍ، وَالأَعْوَصِ مَلْعُونُونَ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَهِدَ عَلَى ذَلِكَ مُحَمَّدُ بنُ مُسْلَمَةَ، وَقَدْ قَالَ عَلِيٌّ الكَلَامَ نَفْسَهُ لِأَهْلِ مَصْرَ، وَقَالَهُ الزُّبَيْرُ لِأَهْلِ الكُوفَةِ، وَقَالَهُ طَلْحَةُ لِأَهْلِ البَصْرَةِ. وَبِذَا يَكُونُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَدْ أَخْبَرَ بِمَا سَيَكُونُ مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الفِتْنَةِ بِمَا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ.

وَلَمَّا اشْتَدَّ الحِصَارُ عَلَى الخَلِيفَةِ، وَبَدَتْ بِدَايَةُ النِّهَايَةِ صَعُبَ عَلَى الصَّحَابَةِ أَنْ يَشْهَدُوا مَصْرَعَ أَخِيهِمْ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، فَانْطَلَقَ الزُّبَيْرُ وَأَقَامَ فِي مَكَانٍ عَلَى طَرِيقِ مَكَّةَ، وَابْتَعَدَ عَلِيٌّ، وَانْزَوَى طَلْحَةُ، وَكُلِّفَ

عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَبَّاس بِأَقَامَةِ الحَجِّ لِلْمُسْلِمِينَ، فَخَرَجَ، وَكَذَلِكَ اتَّجَهَتْ أُمُّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ إِلَى الحَجِّ، وَعَدَدٌ آخَرُ مِنَ الصَّحَابَةِ.

هَذَا تَعْلِيلُ مَوْقِفِ الصَّحَابَةِ مِنَ الفِتْنَةِ لاَ ضَعْفاً مِنَ الخَلِيفَةِ وَجُبْناً، وَلاَ تَخَاذُلاً مِنَ الآخَرِينَ وَتَخَلِّيَاً عَنِ الخَلِيفَةِ كَمَا يَزْعُمُ الأَعْدَاءُ. فَأَمِيرُ المُؤْمِنِينَ إِذَنْ لاَ يُرِيدُ مِنَ الَّذِينَ جَاءُوا لِلدِّفَاعِ عَنْهُ أَنْ يُقَاتِلُوا، فَيُقْسِمُ عَلَيْهِمْ بِتَرْكِ مَوَاقِعِهِمْ وَعَدَمِ اسْتِعْمَالِ السِّلاَحِ، وَذَلِكَ لأَنَّهُ يَعْرِفُ مَصِيرَهُ وَقَدْ أَخْبَرَهُ بِهِ صَاحِبُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَطَلَبَ مِنْهُ اتِّخَاذَ هَذَا المَوْقِفِ، وَالثَّبَاتَ وَالصَّبْرَ، وَالمُحَافَظَةَ عَلَى القَمِيصِ الَّذِي كَسَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ بِإِمْرَةِ المُؤْمِنِينَ كَيْ لاَ تُصْبِحَ هَدَفَ البُغَاةِ وَالمُجْرِمِينَ مِنَ السُّوقَةِ، وَوَعَدَهُ اللِّقَاءَ فِي الجَنَّةِ، وَلِلْهَدَفِ نَفْسِهِ أَظْهَرَ أَوَائِلُ الصَّحَابَةِ الدِّفَاعَ عَنِ الخِلاَفَةِ والخَلِيفَةِ بِوَضْعِ أَبْنَائِهِمْ فِي دَارِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ مُدَافِعِينَ عَنْهُ، وَحُمَاةً لِلْخِلاَفَةِ، وَأَخِيْرَاً ابْتَعَدُوا عَنِ المَدِينَةِ كَيْ لاَ يَرَوْا المَشْهَدَ الحَزِينَ، مَصْرَعَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، وَهُمْ عَلَى يَقِينٍ بِنَفَاذِ أَمْرِ اللَّهِ، الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، عُثْمَانَ، وَبَعْضَهُمْ.

إنَّ الفِئَةَ الَّتِي خَرَجَتْ عَلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِئَةٌ مُنْحَرِفَةٌ فِعْلاً، خَارِجَةٌ عَلَى الدِّينِ، مُلِئَتْ حِقْداً، وَشُحِنَتْ غَيْظاً عَلَى الإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَمَا مَطَالِبُهَا الَّتِي كَانَتْ تَقُولُ بِهَا، وَادِّعَاءَاتُهَا الَّتِي تَحْتَجُّ بِهَا إِلاَّ أَقْوَالٌ بِاللِّسَانِ، وَتُخْفِي وَرَاءَهَا الحَقِيقَةَ الَّتِي تَعْمَلُ لَهَا. وَرُبَّمَا انْجَرَفَ مَعَهَا بَعْضُ المُغَفَّلِينَ، وَأَخَذَتْهُمُ الحَمَاسَةُ لادِّعَاءَاتِ مَنْ يَسِيرُونَ مَعَهُمْ، حَتَّى دَخَلُوا عَلَى الخَلِيفَةِ يُرِيدُونَ قَتْلَهُ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا ذَكَّرَهُمْ، وَهُمْ أَمَامَهُ يَرْجُونَ اغْتِيَالَهُ، عَادُوا إِلَى رُشْدِهِمْ، وَاسْتَغْفَرُوا اللَّهُ، وَتَرَكُوا الَّذِينَ كَانُوا قَدْ خَرَجُوا مَعَهُمْ.

أَمَّا رُؤُوسُ الفِتْنَةِ فَقَدْ قُتِلُوا أَوْ نَالُوا بَعْضَ عُقُوبَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

عَنْ نَافِعٍ أَنَّ جَهْجَاهَ الغِفَارِيَّ تَنَاوَلَ عَصَا عُثْمَانَ وَكَسَرَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ فَأَخَذَتْهُ الآكَلَةُ فِي رِجْلِهِ[1].

وعَنْ أَبِي قِلَابَةَ قَالَ: كُنْتُ فِي رِفْقَةٍ بِالشَّامِ إِذْ سَمِعْتُ

---

(١) الرياض النضرة.

صَوْتَ رَجُلٍ يَقُولُ: يَا وَيْلاَهُ النَّارُ. قَالَ: فَقُمْتُ إِلَيْهِ، وَإِذَا رَجُلٌ مَقْطُوعُ اليَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ مِنَ الحَقْوَيْنِ[1]، أَعْمَى العَيْنَيْنِ، مُنْكَبّاً لِوَجْهِهِ. فَسَأَلْتُهُ عَنْ حَالِهِ فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ مِمَّن دَخَل عَلَى عُثْمَانَ الدَّارَ، فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ صَرَخَتْ زَوْجَتُهُ فَلَطَمْتُهَا، فَقَالَتْ: مَالَكَ قَطَعَ اللَّهُ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ، وَأَعْمَى عَيْنَيْكَ، وَأَدْخَلَكَ النَّارَ، فَقَالَ: فَأَخَذَتْنِي رَعْدَةٌ عَظِيمَةٌ، وَخَرَجْتُ هَارِباً، فَأَصَابَنِي مَا تَرَى، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ دُعَائِهَا إِلاَّ النَّارُ، فَقُلْتُ لَهُ: بُعْداً لَكَ وَسُحْقاً[2].

وَصِيَّةُ عُثْمَانَ:

لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ فَتَّشُوا خَزَائِنَهُ، فَوَجَدُوا فِيهَا صُنْدُوقاً مُقْفَلاً، فَفَتَحُوهُ، فَوَجَدُوا فِيهِ وَرَقَةً مَكْتُوبٌ فِيهَا: «هَذِهِ وَصِيَّةُ عُثْمَانَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ يَشْهَدُ أَن لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي القُبُورِ.

---

(١) الحقوين: الخصرين.

(٢) الرياض النضرة.

رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَ رَيْبَ فِيهِ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ المِيعَادَ. عَلَيْهَا نَحْيَى، وَعَلَيْهَا نَمُوتُ، وَعَلَيْهَا نُبْعَثُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ -.

وَوَجَدُوا فِي ظَهْرِ الوَرَقَةِ مَكْتُوباً:

غِنَى النَّفْسِ يُغْنِي النَّفْسَ حَتَّى يُجِلَّهَا
وَإِنْ غَضَّهَا حَتَّى يَضُرَّ بِهَا الفَقْرُ
وَمَا عُسْرَةٌ فَاصْبِرْ لَهَا إِنْ لَقِيتَهَا
بِكَائِنَةٍ - إِلاَّ سَيَتْبَعُهَا يُسْرُ
وَمَنْ لَمْ يُقَاسِ الدَّهْرَ لَمْ يَعْرِفِ الأَسَى
وَفِي غِيَرِ[1] الأَيَّامِ مَا وَعَدَ الدَّهْرُ

تركَةُ عُثْمَانَ:

كَانَ لِعُثْمَانَ عِنْدَ خَازِنِهِ يَوْمَ قُتِلَ:

درهم: ٣٠,٥٠٠,٠٠٠ تعادل ٢,٥٤١,٦٦٦ دِيناراً.

دِينار: ١٠٠,٥٠٠ ديناراً.

٢,٦٤٢,١٦٦ ديناراً.

---

(١) الغير: التقلبات.

وَقَدْ نُهِبَتْ بَعْدَ قَتْلِهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَتَرَكَ أَلْفَ بَعِيرٍ بِالرَّبَذَةِ.

وَهَذِهِ الثَّرْوَةُ الضَّخْمَةُ، كَانَتْ تُعْطِي مِنَ التِّجَارَةِ أَمْوَالاً كَثِيرَةً، فَكانَ يَتَصَدَّقُ مِنْهَا، وَيُعْطِي أَقْرِبَاءَهُ صِلَةً لِلرَّحِم، وَمَنْ كَانَ هَذَا مَالُه لاَ يُمْكِنُ أَنْ تَمْتَدَّ يَدُهُ إِلَى مَا لَيْسَ لَهُ لِيُعَطِيَ أَقْرِبَاءَهُ، وَخَاصَّةً إِنْ كَانَ قَدْ عُرِفَ بِالعَطَاءِ وَبِالسَّخَاءِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ قَادِراً عَلَى مَدِّ يَدِهِ إِلَى مَالِ الأُمَّةِ. وَمَنْ كَانَ يَعْرِفُ حَيَاةَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَرَمَهُ، لاَ يُمْكِنُ أَنْ يُصَدِّقَ مَا حَاوَلَ الأَعْدَاءُ اتِّهَامَهُ بِهِ.

الفصل الرابع عشر

خُطَبُ ذِي النُّورَيْنِ وَرَسَائِلُهُ

كَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هَادِئاً، قَلِيلَ الكَلَامِ، كَثِيرَ التَّفْكِيرِ، حَتَّى أَصْبَحَ يَهَابُ الحَدِيثَ، وَإِذَا تَحَدَّثَ كَانَ كَلاَمُهُ مُرَتَّباً مُنْسَجِماً، وَإِنْ كَانَ قَصِيراً، قَالَ حَاطِبُ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَانَ إِذَا حَدَّثَ أَتَمَّ حَدِيثاً، وَلاَ أَحْسَنَ مِنْ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ، إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ رَجُلاً يَهَابُ الحَدِيثَ[1].

وَلَمْ يَكُنْ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنَ الخُطَبَاءِ، حَتَّى أَنَّهُ قَدِ ارْتُجَّ عَلَيْهِ فِي أَوَّلِ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا، وَبَعْدَ أَنِ ارْتُجَّ عَلَيْهِ قَالَ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللَّهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَوَّلَ مَرْكَبٍ صَعْبٌ، وَإِنَّ بَعْدَ اليَوْمِ أَيَّاماً، وَإِنْ أَعِش

(١) طبقات ابن سعد.

تَأْتِكُمُ الخُطْبَةُ عَلَى وَجْهِهَا، وَمَا كُنَّا خُطَبَاءَ، وَسَيُعَلِّمُنَا اللَّهُ.

لِهَذَا كَانَتْ خُطَبُ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَتْ رَسَائِلُهُ قَصِيرَةً وَلَكِنَّهَا تُؤَدِّي الغَرَضَ المَطْلُوبَ، وَتُبَيِّنُ الطَّلَبَ الَّذِي يُرِيدُهُ، وَتُوَضِّحُ الهَدَفَ المَقْصُودَ بِأُسْلُوبٍ رَصِينٍ، لاَ تَكْرَارَ فِيهِ وَلاَ مَلَلَ.

وَقَدْ يَتَوَسَّعُ بِالكِتَابَةِ إِنْ كَانَ فِي ضِيقٍ، وَيُرِيدُ البُرْهَانَ عَلَى صِحَّةِ الأَمْرِ الَّذِي يَنْوِي إِقْرَارَهُ، وَالفَرَضِيَّاتِ الَّتِي يَبْنِي عَلَيْهَا، وَخَاصَّةً إِنْ كَانَ يُقْرَأُ عَلَى العَامَّةِ كَالكِتَابِ الَّذِي بَعَثَهُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَبَّاسٍ، وَقَدْ كَلَّفَهُ بِإِقَامَةِ الحَجِّ لِلْمُسْلِمِينَ، وَطَلَبَ مِنْهُ قِرَاءَتَهُ عَلَى أَهْلِ المَوْسِمِ.

الخُطْبَةُ الأُولَى:

لَمَّا بَايَعَ أَهْلُ الشُّورَى عُثْمَان، خَرَجَ وَهُوَ أَشَدُّهُمْ كَآبَةً، فَأَتَى مِنْبَرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَخَطَبَ النَّاسَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ: إِنَّكُمْ فِي دَارِ قُلْعَةٍ[1]، وفِي بَقِيَّةِ أَعْمَارٍ، فَبَادِرُوا آجَالَكُمْ

(١) قلعة: ارتحال.

بِخَيْرِ مَا تَقْدِرُونَ عَلَيْهِ، فَلَقَدْ أُتِيتُمْ، صُبِّحْتُمْ أَوْ مُسِّيتُمْ، أَلاَ وَإِنَّ الدُّنْيَا طُوِيَتْ عَلَى الغُرُورِ، فَلَا تَغُرَنَّكم الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يُغَرِنَّكُمْ بَاللَّهِ الغَرُورُ، اعْتَبِرُوا بِمَنْ مَضَى، ثُمَّ جِدُّوا وَلاَ تَفْعَلُوا، فَإِنَّهُ لاَ يُغْفَلُ عِنكُمْ. أَيْنَ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا وَإِخْوَانُهَا الَّذِينَ أَثَارُوهَا وَعَمَرُوهَا، وَمُتِّعُوا بِهَا طَوِيلاً، أَلَمْ تَلْفِظْهُمْ، ارْمُوا بِالدُّنْيَا حَيْثُ رَمَى اللَّهُ بِهَا، وَاطْلُبُوا الآخِرَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ ضَرَبَ لَهَا مَثَلاً، وَلِلَّذِي هُوَ خَيْرٌ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾[1]. وَأَقْبَلَ النَّاسُ يُبَايِعُونَهُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

خَطَبَ عُثْمَانُ بَعْدَمَا بُويِعَ فَقَالَ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ حُمِّلْتُ وَقَدْ قَبِلْتُ، أَلاَ وَإِنِّي مُتَّبِعٌ

---

(١) سورة الكهف: الآيتان ٤٥ ـ ٤٦.

وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ، أَلاَ وَإِنَّ لَكُمْ عَلَيَّ بَعْدَ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، ثَلاَثاً: اتِّبَاعُ مَنْ كَانَ قَبْلِي فِيمَا اجْتَمَعْتُمْ عَلَيْهِ وَسَنَنْتُمْ، وَسَنُّ سُنَّةِ أَهْلِ الخَيْرِ فِيمَا لَمْ تُسُنُّوا عَلَى مَلأٍ، وَالكَفُّ عَنْكُمْ إِلاَّ فِيمَا اسْتَوْجَبْتُمْ. أَلاَ وَإِنَ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ، قَدْ شُهِّيَتْ إِلَى النَّاسِ، وَمَالَ إِلَيْهَا كَثِيرٌ مِنْهُمْ، فَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الدُّنْيَا وَلاَ تَثِقُوا بِهَا، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِثِقَةٍ، وَاعْلَمُوا أَنَّهَا غَيْرُ تَارِكَةٍ إِلاَّ مِنْ تَرَكَهَا.

خُطْبَةٌ:

قَالَ الوَاقِدِيُّ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بنُ إِسْمَاعِيلَ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ أَبِي رَبِيعَةَ المَخْزُومِيُّ عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ عُثْمَانَ لَمَّا بُويِعَ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ فَخَطَبَهُمْ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ مَرْكَبٍ صَعْبٌ، وَإِنَّ بَعْدَ اليَوْمِ أَيَّاماً، وَإِنْ أَعِشْ تَأْتِكُمُ الخُطَبُ عَلَى وَجْهِهَا، وَمَا كُنَّا خُطَبَاءَ، وَسَيُعَلِّمُنَا اللَّهُ.

خُطْبَةٌ:

وَقَالَ الحَسَنُ: خَطَبَ عُثْمَانُ فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ غُنْمٌ، وَإِنَّ

أَكْيَسَ النَّاسِ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَاكْتَسَبَ مِنْ نُورِ اللَّهِ نُوراً لِظُلْمَةِ القَبْرِ، وَلْيَخْشَ عَبْدٌ أَنْ يَحْشُرَهُ اللَّهُ أَعْمَى، وَقَدْ كَانَ بَصِيراً، وَقَدْ يُلْقِي الحَكِيمُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، وَالأَصَمُّ يُنَادَي مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مَنْ كَانَ اللَّهُ لَهُ لَمْ يَخَفْ شَيْئاً، وَمَنْ كَانَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَمَنْ يَرْجُو بَعْدَهُ؟.

خُطْبَةٌ:

قَالَ مُجَاهِدٌ: خَطَبَ عُثْمَانُ فَقَالَ: ابنَ آدَمَ اعْلَمْ أَنَّ مَلَكَ المَوْتِ الَّذِي وَكِّلَ بِكَ لَمْ يَزَلْ يَخْلُفُكَ وَيَتَخَطَّى إِلَى غَيْرِكَ مُنْذُ أَنْتَ فِي الدُّنْيَا، وَكَأَنَّهُ قَدْ تَخَطَّى غَيْرَكَ إِلَيْكَ، وَقَصَدَكَ فَخُذْ حِذْرَكَ، وَاسْتَعِدَّ لَهُ، وَلاَ تَغْفَلْ فَإِنَّهُ لاَ يَغْفَلُ عَنْكَ. وَاعْلَمْ ابنَ آدَمَ إِنْ غَفِلْتَ عِنْ نَفْسِكَ وَلَمْ تَسْتَعِدَّ لَهَا لَمْ يَسْتَعِدَّ لَهَا غَيْرُكَ، وَلاَ بُدَّ مِنْ لِقَاءِ اللَّهِ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ وَلاَ تَكِلْهَا إِلَى غَيْرِكَ، وَالسَّلاَمُ(١).

---

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير.

آخِرُ خُطْبَةٍ:

وَكَانَتْ آخِرُ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا عُثْمَانُ فِي جَمَاعَةٍ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ الدُّنْيَا لِتَطْلُبُوا بِهَا الآخِرَةَ، وَلَمْ يُعْطِكُمُوهَا لَتَرْكَنُوا إِلَيْهَا، إِنَّ الدُّنْيَا تَفْنَى وَالآخِرَةَ تَبْقَى، فَلاَ تُبْطِرَنَّكُمْ الفَانِيَةَ، وَلاَ تُشْغِلَنَّكُمْ عَنِ البَاقِيَةِ، فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى، فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ، وَإِنَّ المَصِيرُ إِلَى اللَّهِ، اتَّقُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّ تَقْوَاهُ جُنَّةٌ، مِنْ بَأْسِهِ، وَوَسِيلَةٌ عِنْدَهُ، وَاحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ الغِيَرَ، وَالْزَمُوا جَمَاعَتَكُمْ لاَ تَصِيرُوا أَحْزَاباً. ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[1].

خُطْبَةٌ:

لَمَّا بَدَأَتِ الأَحْدَاثُ وَخَرَجَ أُنَاسٌ مِنَ المَدِينَةِ إِلَى الأَمْصَارِ، وَأَخَذُوا يُكَلِّمُونَ أَبْنَاءَ المُهَاجِرِينَ عَمَّا يَجْرِي فِي المَدِينَةِ فَلَمَّا أُخْبِرَ عُثْمَانُ بِخَبَرِهِمْ، قَامَ فِي النَّاسِ خَطِيباً فَقَالَ: يَا أَهْلَ المَدِينَةِ، أَنْتُمْ أَصْلُ الإِسْلاَمِ، وَإِنَّمَا يَفْسُدُ النَّاسُ بِفَسَادِكُمْ، وَيَصْلُحُونَ بِصَلاَحِكُمْ، وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

لاَ يَبْلُغُنِي عَنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ حَدَثٌ أَحْدَثَهُ إِلاَّ سَيَّرْتُهُ، أَلاَ فَلاَ أَعْرِفَنَّ أَحَداً عَرَضَ دُونَ أَوَلئِكَ بِكَلاَمٍ وَلاَ طَلَبٍ، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانَتْ تُقَطَّعُ أَعْضَاؤُهُمْ دُونَ أَنْ يَتَكَلَّمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِمَا عَلَيْهِ وَلاَ لَهُ.

وَجعلَ عُثْمَانُ لاَ يُأْخُذُ أَحَداً مِنْهُمْ عَلَى شَرٍّ أَو شَهْرِ سِلاَحٍ: عَصَاً فَمَا فَوْقَهَا إِلاَّ سَيَّرَهُ؛ فَضَجَّ آبَاؤُهُمْ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى بَلَغَهُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا أَحْدَثَ التَّسْيِيرَ، إِلاَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، سَيَّرَ الحَكَمَ بنَ أَبِي العَاصِ.

فَقَالَ: إِنَّ الحَكَمَ كَانَ مكِّيّاً، فَسَيَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مِنْهَا إِلَى الطَّائِفِ، ثُمَّ رَدَّهُ إِلَى بَلَدِهِ، فَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ، سَيَّرَهُ بِذَنْبِهِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ، رَدَّهُ بِعَفْوِهِ، وَقَدْ سَيَّرَ الخَلِيفَةُ مِنْ بَعْدِهِ، وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنْ بَعْدِ الخَلِيفَةِ، وَأَيْمِ اللَّهِ لآخُذَنَّ العَفْوَ مِنْ أَخلاَقِكُمْ، وَلأَبْذُلَنَّهُ لَكُمْ مِنْ خُلُقِي، وَقَدْ دَنَتْ أُمُورٌ، وَلاَ أُحِبُّ أَنْ تَحِلَّ بِنَا وَبِكُمْ، وَأَنَا عَلَى وَجَلٍ وَحَذَرٍ، فَاحْذَرُوا وَاعْتَبِرُوا(١).

---

(١) تاريخ الطبري.

خُطْبَةٌ أُخْرَى:

جَاءَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى عُثْمَانَ بَعْدَ انْصِرَافِ المِصْرِيينَ فَقَالَ لِعُثْمَانَ: تَكَلَّمْ كَلاَمَاً يَسْمَعُهُ النَّاسُ مِنْكَ، وَيَشْهَدُونَ عَلَيْهِ، وَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِكَ مِنَ النُّزُوعِ وَالإِنَابَةِ، فَإِنَّ البِلاَدَ قَدْ تَمَخَّضَتْ عَلَيْكَ، فَلاَ آمَنُ رَكْبَاً آخَرِينَ يَقْدُمُونَ مِنَ الكُوفَةِ، فَتَقُولُ: يَا عَلِيُّ، ارْكَبْ إِلَيْهِمْ؛ وَلاَ أَقْدِرُ أَنْ أَرْكَبَ إِلَيْهِمْ، وَلاَ أَسْمَعُ عُذْرَاً، وَيُقْدِمُ رَكْبٌ آخَرُونَ مِنَ البَصْرَةِ، فَتَقُولُ: يَا عَلِيُّ ارْكَبْ إِلَيْهِمْ، فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ رَأَيْتَنِي قَدْ قَطَعْتُ رَحِمَكَ، وَاسْتَخْفَفْتُ بِحَقِّكَ.

فَخَرَجَ عُثْمَانَ فَخَطَبَ الخُطْبَةَ الَّتِي نَزَعَ فِيْهَا، وَأَعْطَى النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ التَّوْبَةَ، فَقَامَ فَحَمِدَ اللَّهِ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، فَوَاللَّهِ مَا عَابَ مَنْ عَابَ مِنْكُمْ شَيْئَاً أَجْهَلُهُ، وَمَا جِئْتُ شَيْئَاً إِلاَّ وَأَنَا أَعْرِفُهُ، وَلَكِنِّي مَنَّتْنِي نَفْسِي وَكَذَبَتْنِي، وَضَلَّ عَنِّي رُشْدِي، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: (مَنْ زَلَّ فَلْيَتُبْ، وَمَنْ أَخْطَأَ فَلْيَتُبْ، وَلاَ يَتَمَادَ فِي الهَلَكَةِ، إِنَّ مَنْ تَمَادَى فِي الجَوْرِ كَانَ أَبْعَدَ مِنَ الطَّرِيقِ) فَأَنَا أَوَّلُ مَنِ اتَّعَظَ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا فَعَلْتُ وَأَتُوبُ

إِلَيْهِ، فَمِثْلِي مَنْ نَزَعَ وَتَابَ، فَإِذَا نَزَلْتُ فَلْيَأْتِنِي أَشْرَافُكُمْ فَلْيُرُونِي رَأْيَهُمْ، فَوَاللَّهِ لَوْ رَدَّنِي الحَقُّ عَبْداً لأَسْتَنَّ بِسُنَّةِ العَبْدِ، وَلأَذِلَّنَّ ذُلَّ العَبْدِ، وَلأَكُونَنَّ كَالمَرْقُوقِ، إِنْ مُلِكَ صَبَرَ، وَإِنْ عُتِقَ شَكَرَ، وَمَا عَنِ اللَّهِ مَذْهَبٌ إِلاَّ إِلَيْهِ فَلاَ يُعْجِزَنَّ عَنْكُمْ خِيَارُكُمْ أَنْ يَدْنُوا إِلَيَّ، لَئِنْ أَبَتْ يَمِينِي لَتُتَابِعُنِّي شِمَالِي[1].

كِتَابٌ إِلَى الوُلاَةِ:

وَكَانَ أَوَّلُ كِتَابٍ كَتَبَهُ ذُو النُّورَيْنِ إِلَى عُمَّالِهِ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الأَئِمَّةَ أَنْ يَكُونُوا رُعَاةً، وَلَمْ يَتَقَدَّمْ إِلَيْهِمْ أَنْ يَكُونُوا جُبَاةً، وَإِنَّ صَدْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ خُلِقُوا رُعَاةً، لَمْ يُخْلَقُوا جُبَاةً، وَلَيُوشِكَنَّ أَئِمَّتُكُمْ أَنْ يَصِيرُوا جُبَاةً وَلاَ يَكُونُوا رُعَاةً، فَإِذَا عَادُوا كَذَلِكَ انْقَطَعَ الحَيَاءُ وَالأَمَانَةُ وَالوَفَاءُ، أَلاَ وَإِنَّ أَعْدَلَ السِّيرَةِ أَنْ تَنْظُرُوا فِي أُمُورِ المُسْلِمِينَ فِيمَا عَلَيْهِمْ فَتُعْطُوهُمْ مَالَهُمْ، وَتَأْخُذُوا بِمَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ تُثَنُّوا بِالذِّمَّةِ فَتُعْطُوهُمُ الَّذِي لَهُمْ، وَتَأْخُذُوا بِالَّذِي عَلَيْهِمْ، ثُمَّ العَدُوَّ الَّذِي تَنْتَابُونَ، فَاسْتَفْتِحُوا عَلَيْهِمْ بِالوَفَاءِ.

---

(١) المصدر نفسه.

كِتَابٌ إِلَى أُمَرَاءِ الأَجْنَادِ:

وَكَانَ أَوَّلُ كِتَابٍ كَتَبَهُ إِلَى أُمَرَاءِ الأَجْنَادِ فِي الثُّغُورِ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكُمْ حُمَاةُ المُسْلِمِينَ وَذَادَتُهُمْ، وَقَدْ وَضَعَ لَكُمْ عُمَرُ مَا لَمْ يَغِبْ عَنَّا، بَلْ كَانَ عَلَى مَلَإٍ مِنَّا، وَلاَ يَبْلُغَنِّي عَنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ تَغْيِيرٌ وَلاَ تَبْدِيلٌ فَيُغَيِّرُ اللَّهُ مَا بِكُمْ، وَيَسْتَبْدِلُ بِكُمْ غَيْرَكُمْ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَكُونُونَ، فَإِنِّي أَنْظُرُ فِيمَا أَلْزَمَنِي اللَّهُ النَّظَرَ فِيهِ، وَالقِيَامَ عَلَيْهِ.

كِتَابٌ إِلَى عُمَّالِ الخَرَاجِ:

وَكَانَ أَوَّلُ كِتَابٍ كَتَبَهُ إِلَى عُمَّالِ الخَرَاجِ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الخَلْقَ بِالحَقِّ، فَلاَ يَقْبَلُ إِلاَّ الحَقَّ، خُذُوا الحَقَّ، وَاعْطُوا الحَقَّ بِهِ، وَالأَمَانَةَ الأَمَانَةَ قُومُوا عَلَيْهَا، وَلاَ تَكُونُوا أَوَّلَ مَنْ يَسْلِبُهَا، فَتَكُونُوا شُرَكَاءَ مَنْ بَعْدَكُمْ إِلَى مَا اكْتَسَبْتُمْ، وَالوَفَاءَ الوَفَاءَ، لاَ تَظْلِمُوا اليَتِيمَ وَلاَ المُعَاهِدَ، فَإِنَّ اللَّهَ خَصْمٌ لِمَنْ ظَلَمَهُمْ.

كِتَابٌ إِلَى العَامَّةِ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا بَلَغْتُمْ مَا بَلَغْتُمْ بِالاقْتِدَاءِ والاتِّبَاعِ، فَلاَ تَلْفِتَنَّكُمُ الدُّنْيَا عَنْ أَمْرِكُمْ، فَإِنَّ أَمْرَ هَذِهِ

الأُمَّةِ صَائِرٌ إِلَى الابْتِدَاعِ بَعْدَ اجْتِمَاعٍ، ثَلاَثٌ فِيكُمْ: تَكَامُلُ النِّعَمِ، وَبُلُوغُ أَوْلاَدِكُمْ مِنَ السَّبَايَا، وَقِرَاءَةُ الأَعْرَابِ وَالأَعَاجِمِ القُرْآنَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (الكُفْرُ فِي العُجْمَةِ)، فَإِذَا اسْتَعْجَمَ عَلَيْهِمْ أَمْرٌ تَكَلَّفُوا وَابْتَدَعُوا.

كِتَابٌ إِلَى الأَمْصَارِ:

وَعِنْدَمَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ أَمْرُ الغَوْغَائِيِّينَ كَتَبَ ذُو النُّورَيْنِ إِلَى أَهْلِ الأَمْصَارِ يَسْتَمِدُّهُمْ، وَيُبَيِّنُ لَهُمُ الوَضْعَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ مُحَمَّداً بِالحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً، فَبَلَّغَ عَنِ اللَّهِ مَا أَمَرَهُ بِهِ، ثُمَّ مَضَى وَقَدْ قَضَى الَّذِي عَلَيْهِ، وَخَلَّفَ فِينَا كِتَابَهُ، فِيهِ حَلاَلُهُ وَحَرَامُهُ، وَبَيَانُ الأُمُورِ الَّتِي قَدَّرَ، فَأَمْضَاهَا عَلَى مَا أَحَبَّ العِبَادُ وَكَرِهُوا، فَكَانَ الخَلِيفَةُ أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَعُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ أُدْخِلْتُ فِي الشُّورَى عَنْ غَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ مَسْأَلَةٍ عَنْ مَلإٍ مِنَ الأُمَّةِ، ثُمَّ اجْتَمَعَ أَهْلُ الشُّورَى عَنْ مَلإٍ مِنْهُمْ وَمِنَ النَّاسِ عَلَيَّ، عَلَى غَيْرِ طَلَبٍ مِنِّي وَلاَ مَحَبَّةٍ، فَعَمِلْتُ فِيهِمْ مَا

يَعْرِفُونَ وَلاَ يُنْكِرُونَ، تَابِعاً غَيْرَ مُسْتَتَبِعٍ، مُتَّبِعاً غَيْرَ مُبْتَدِعٍ مُقْتَدِياً غَيْرَ مُتَكَلِّفٍ، فَلَمَّا انْتَهَتِ الأُمُورُ، وَانْتَكَثَ الشَّرُّ بِأَهْلِهِ، بَدَتْ ضَغَائِنُ وَأَهْوَاءٌ عَلَى غَيْرِ إِجْرَامٍ وَلاَ تِرَةٍ فِيْمَا مَضَى إِلاَّ إِمْضَاءُ الكِتَابِ، فَطَلَبُوا أَمْرَاً وَأَعْلَنُوا غَيْرَهُ بِغَيْرِ حُجَّةٍ وَلاَ عُذْرٍ، فَعَابُوا عَلَى أَشْيَاءٍ مِمَّا كَانُوا يَرْضَوْنَ، وَأَشْيَاءٍ عَنْ مَلإٍ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ لاَ يَصْلُحُ غَيْرُهَا فَصَبَرْتُ لَهُمْ نَفْسِي وَكَفَفْتُهَا عَنْهُمْ مُنْذُ سَنَتَيْنِ، وَأَنَا أَرَى وَأَسْمَعُ، فَازْدَادُوا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ جُرْأَةً، حَتَّى أَغَارُوا عَلَيْنَا فِي جِوَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَحَرَمِهِ، وَأَرْضِ الهِجْرَةِ، وَثَابَتْ إِلَيْهِمُ الأَعْرَابُ فَهُمْ كَالأَحْزَابِ أَيَّامَ الأَحْزَابِ أَوْ غَزَانَا بِأُحُدٍ إِلاَّ مَا يُظْهِرُونَ.

فَمَنْ قَدِرَ عَلَى اللَّحَاقِ بِنَا فَلْيَلْحقْ.

فَأَتَى الكِتَابُ أَهْلَ الأَمْصَارِ فَأَتَوْا عَلَى الصَّعْبِ وَالذَّلُولِ فَبَعَثَ مُعَاوِيَةُ حَبِيبَ بنَ مسْلَمَةَ الفِهْرِيَّ، وَبَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ سَعْدِ بنِ أَبِي سَرْحٍ مُعَاوِيَةَ بنَ حُدَيجٍ السُّكُونيَّ، وَخَرَجَ مِنْ أَهْلِ الكُوفَةِ القَعْقَاعُ بنُ عَمْرٍو التَّمِيميُّ.

كِتَابٌ إِلَى أَهْلِ المَوْسِمِ:

وَكَتَبَ ذُو النُّورَيْنِ كِتَاباً، وَبَعَثَهُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَبَّاسٍ إِلَى أَهْلِ المَوْسِمِ، وَقَدْ أَمَرَه أَنْ يُقِيمَ لِلنَّاسِ حَجَّهُمْ، وَهُوَ العَامُ الأَخِيرُ مِنْ أَيَّامِ ذِي النُّورَيْنِ وَخِلاَفَتِهِ. وَهُوَ مِنْ كِتَابَةِ عِكْرِمَةَ، وَفِيهِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عُثْمَانَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ إِلَى المُؤْمِنِينَ وَالمُسْلِمِينَ، سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ، فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكُمْ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أُذَكِّرُكُمْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ وَعَلَّمَكُمُ الإِسْلاَمَ وَهَدَاكُمْ مِنَ الضَّلاَلَةِ، وَانْقَذَكُمْ مِنَ الكُفْرِ، وَأَرَاكُمُ البَيِّنَاتِ، وَأَوْسَعَ عَلَيْكُمْ مِنَ الرِّزْقِ، وَنَصَرَكُمْ عَلَى العَدُوِّ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ، وَقَوْلُهُ الحَقُّ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[1]، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَٱذْكُرُوا

(١) سورة إبراهيم: الآية ٣٤.

نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم
بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ
أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟
مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾[١].
وَقَالَ وَقَوْلُهُ الحَقُّ: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ
ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ﴾[٢].

وَقَالَ وَقَوْلُهُ الحقُّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ
بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ
نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ
مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ
وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾
فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ ﴾[٣].

---

(١) سورة آل عمران: الآيات: ١٠٢ ـ ١٠٥.

(٢) سورة المائدة: الآية ٧.

(٣) سورة الحجرات: الآيات ٦ ـ ٨.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾[1].

وَقَالَ وَقَوْلُهُ الحَقُّ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾[2].

وَقَالَ وَقَوْلُهُ الحَقُّ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟

---

(١) سورة آل عمران: ٧٧.

(٢) سورة التغابن: الآية ١٦.

أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[1].

وَقَالَ وَقَوْلُهُ الحَقُّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾[2].

وَقَالَ وَقَوْلُهُ الحَقُّ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة النحل: الآيتان ٩١ ـ ٩٦.

(٢) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٣) سورة النور: الآية ٥٥.

وَقَالَ وَقَوْلُهُ الحَقُّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾[1].

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ رَضِيَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ وَالجَمَاعَةَ، وَحَذَّرَكُمُ المَعْصِيَةَ وَالفُرقَةَ وَالاخْتِلاَفَ، وَنَبَّأَكُمْ مَا قَدْ فَعَلَهُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ فِيهِ لِيَكُونَ لَهُ الحُجَّةُ عَلَيْكُمْ إِنْ عَصَيْتُمُوهُ فَاقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاحْذَرُوا عَذَابَهُ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَجِدُوا أُمَّةً هلكَتْ إلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ تَخْتَلِفَ، إلاَّ أَنْ يَكُونَ لَهَا رَأْسٌ يَجْمَعُهَا، وَمَتَى مَا تَفْعَلُوا ذَلِكَ لاَ تُقِيمُوا الصَّلاَةَ جَمِيعاً، وَسُلِّطَ عَلَيْكُمْ عَدُوُّكُمْ، وَيَسْتَحِلُّ بَعْضُكُمْ حَرَمَ بَعْضٍ، وَمَتَى يُفْعَلُ ذَلِكَ لاَ يُقَمْ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ دِينٌ، وَتَكُونُوا شِيَعاً، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾[2]. وَإِنِّي أُوصِيكُمْ

---

(١) سورة الفتح: الآية ١٠.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٥٩.

بِمَا أَوْصَاكُمْ بِهِ، وَأُحَذِّرُكُمْ عَذَابَهُ، فَإِنَّ شُعَيْباً، ﷺ، قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾[1].

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَقْوَاماً مِمَّنْ كَانَ يَقُولُ فِي هَذَا الحَدِيثِ، أَظْهَرُوا لِلنَّاسِ أَنَّمَا يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالحَقِّ، وَلاَ يُرِيدُونَ الدُّنْيَا وَلاَ مُنَازَعَةً فِيهَا، فَلَمَّا عُرِضَ عَلَيْهِمُ الحَقُّ إِذِ النَّاسُ فِي ذَلِكَ شَتَّى، مِنْهُمْ آخِذٌ لِلْحَقِّ، وَنَازِعٌ حِينَ يُعْطَاهُ، وَمِنْهُمْ تَارِكٌ لِلْحَقِّ وَنَازِلٌ عَنْهُ فِي الأَمْرِ، يُرِيدُ أَنْ يَبْتَزَّهُ بِغَيْرِ الحَقِّ، طَالَ عَلَيْهِمْ عُمْرِي، وَرَاثَ[2] عَلَيْهِمْ أَمَلُهُمُ الإِمْرَةَ، فَاسْتَعْجَلُوا القَدَرَ، وَقَدْ كَتَبُوا إِلَيْكُمْ أَنَّهُمْ قَدْ رَجَعُوا بِالَّذِي قَدْ أَعْطَيْتُهُمْ، وَلاَ أَعْلَمُ إِنِّي تَرَكْتُ مِنَ الَّذِي عَاهَدْتُهُمْ عَلَيْهِ شَيْئاً، كَانُوا زَعَمُوا أَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ الحُدُودَ، فَقُلْتُ: أَقِيمُوهَا عَلَى مَنْ عَلِمْتُمْ

---

(١) سورة هود: الآيات ٨٩ ـ ٩٠.

(٢) راث: أبطأ.

تَعَدَّاهَا فِي أَحَدٍ، أَقِيمُوهَا عَلَى مِنْ ظَلَمَكُمْ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ. قَالُوا: كِتَابُ اللَّهِ يُتْلَى، فَقُلْتُ: فَلْيَتْلُهُ مَنْ تَلاَهُ غَيْرَ غَالٍ فِيْهِ بِغَيْرِ مَا أَنزَلَ اللَّهِ فِي الكِتَابِ، وَقَالُوا: المُحْرُومُ يُرْزَقُ، وَالمَالُ يُوَفَّى لِيُسْتَنَّ فِيْهِ السُّنَّةَ الحَسَنَةَ، وَلاَ يُعْتَدَى فِي الخُمْسِ وَلاَ فِي الصَّدَقَةِ، وَيُؤَمَّرُ ذُو القُوَّةِ وَالأَمَانَةِ، وَتُرَدُّ مَظَالِمُ النَّاسِ إِلَى أَهْلِهَا، فَرَضِيتُ بِذَلِكَ وَاصْطَبَرْتُ لَهُ، وَجِئْتُ نِسْوَةَ النَّبِيِّ ﷺ، حَتَّى كَلَّمْتُهُنَّ، فَقُلْتُ: مَا تَأْمُرْنَنِي؟ فَقُلْنَ: تُؤَمِّرُ عَمْرَو بنَ العَاصِ، وَعَبْدَ اللَّهِ بنَ قَيْسٍ وَتَدَعْ مُعَاوِيَةَ، فَإِنَّمَا أَمَّرَهُ أَمِيرٌ قَبْلَكَ، فَإِنَّهُ مُصْلِحٌ لِأَرْضِهِ، فَكُلُّ ذَلِكَ فَعَلْتُ. وَإِنَّهُ اعْتُدِيَ عَلَيَّ بَعْدَ ذَلِكَ، وَعُدِيَ عَلَى الحَقِّ.

كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ وَأَصْحَابِيَ الَّذِينَ زَعَمُوا فِي الأَمْرِ، اسْتَعْجَلُوا القَدَرَ، وَمَنَعُوا مِنِّي الصَّلاَةَ، وَحَالُوا بَيْنِي وَبَيْنَ المَسْجِدِ، وَابْتَزُّوا مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ بِالمَدِينَةِ.

كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ كِتَابِي هَذَا، وَهُمْ يُخَيِّرُونَنِي إِحْدَى ثَلاَثٍ: إِمَّا يُقِيدُونَنِي بِكُلِّ رَجُلٍ أَصَبْتُهُ خَطَأً أَوْ صَوَاباً، غَيْرَ مَتْرُوكٍ مِنْهُ شَيْءٌ، وَإِمَّا اعْتَزِلُ الأَمْرَ فَيُؤَمِّرُونَ آخَرَ

غَيْرِي، وَإِمَّا يُرْسِلُونَ عَلَى مَنْ أَطَاعَهُمْ مِنَ الأَجْنَادِ وَأَهْلِ المَدِينَةِ فَيَتَبَرَّؤُونَ مِنَ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِي عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ. فَقُلْتُ لَهُمْ: إِمَّا إِقَادَتِي مِنْ نَفْسِي فَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِي خُلَفَاءُ تُخَطِىءُ وَتُصِيبُ فَلَمْ يُسْتَقَدْ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّمَا يُرِيدُونَ نَفْسِي، وَأَمَّا أَنْ أَتَبَرَّأَ مِنَ الإِمَارَةِ فَأَنْ يَكْلُبُونِي[1] أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَبَرَّأَ مِنْ عَمَلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَخِلاَفَتِهِ. وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: يُرْسِلُونَ إِلَى الأَجْنَادِ وَأَهْلِ المَدِينَةِ فَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْ طَاعَتِي، فَلَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ، وَلَمْ أَكُنِ اسْتَكْرَهْتُهُمْ مِنْ قَبْلُ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَلَكِنْ أَتَوْهَا طَائِعِينَ، يَبْتَغُونَ مَرْضَاةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِصْلاَحَ ذَاتِ البَيْنِ، وَمَنْ يَكُنْ مِنْكُمْ إِنَّمَا يَبْتَغِي الدُّنْيَا فَلَيْسَ بِنَائِلٍ مِنْهَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ، وَمَنْ يَكُنْ إِنَّمَا يُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ وَالدَّارَ الآخِرَةَ، وَصَلاَحَ الأُمَّةِ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَ، والسُّنَّةَ الحَسَنَةَ الَّتِي اسْتَنَّ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَالخَلِيفَتَانِ مِنْ بَعْدِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَإِنَّمَا يَجْزِي بِذَلِكُمُ اللَّهُ، وَلَيْسَ بِيَدِي جَزَاؤُكُمْ،

(١) يكلبوني: يضربوني بالكُلاّب.

وَلَوْ أَعْطَيْتُكُمْ الدُّنْيَا كَلَّهَا لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ ثَمَنٌ لِدِينِكُمْ، وَلَمْ يُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاحْتَسِبُوا مَا عِنْدَهُ، فَمَنْ يَرْضَى بِالنَّكْثِ مِنْكُمْ فَإِنِّي لاَ أَرْضَاهُ لَهُ، وَلاَ يَرْضَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ تَنْكُثُوا عَهْدَهُ، وَأَمَّا الَّذِي يُخَيِّرُنَنِي فَإِنَّمَا كُلُّهُ النَّزْعُ وَالتَّأْمِيرُ. فَمَلَكْتُ نَفْسِي وَمَنْ مَعِي، وَنَظَرْتُ حُكْمَ اللَّهِ وَتَغْيِيرَ النِّعْمَةِ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَكَرِهْتُ سُنَّةَ السُّوءِ وَشِقَاقَ الأُمَّةِ وَسَفْكَ الدِّمَاءِ، فَإِنِّي أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ وَالإِسْلاَمِ أَلاَّ تَأْخُذُوا إِلاَّ الحَقَّ وَتَعْطُوهُ مِنِّي وَتَرْكَ البَغْيِ عَلَى أَهْلِهِ، وَخُذُوا بَيْنَنَا بِالعَدْلِ كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنِّي أَنْشُدُكُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الَّذِي جَعَلَ عَلَيْكُمُ العَهْدَ وَالمُؤَازَرَةَ فِي أَمْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَالَ وَقَوْلُهُ الحَقُّ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾[1]. فَإِنَّ هَذِهِ مَعْذِرَةٌ إِلَى اللَّهِ وَلَعَلَّكُمْ تَذْكُرُونَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي لاَ أُبَرِّىءُ نَفْسِي: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾[2]. وَإِنْ

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٣٤.

(٢) سورة يوسف: الآية ٥٣.

عَاقَبْتُ أَقْوَاماً فَمَا أَبْتَغِي بِذَلِكَ إِلاَّ الخَيْرَ، وَإِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ كُلِّ عَمَلٍ عَمِلْتُهُ، وَأَسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ هُوَ، إِنَّ رَحْمَةَ رَبِّي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، إِنَّهُ لاَ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِلاَّ القَوْمُ الضَّالُّونَ، وَإِنَّهُ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ، وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ، وَيَعْلَمُ مَا يَفْعَلُونَ. وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَغْفِرَ لِي وَلَكُمْ، وَأَنْ يُؤَلِّفَ قُلُوبَ هَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى الخَيْرِ، وَيُكَرِّهَ إِلَيْهَا الفُسُوقَ. وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ وَالمُسْلِمُونَ.

قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: فَقَرَأْتُ هَذَا الكِتَابَ عَلَيْهِمْ قَبْلَ التَّرْوِيَةِ بِمَكَّةَ بِيَوْمٍ.

وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: دَعَانِي عُثْمَانُ، فَاسْتَعْمَلَنِي عَلَى الحَجِّ، فَخَرَجْتُ إِلَى مَكَّةَ، فَأَقَمْتُ لِلنَّاسِ الحَجَّ، وَقَرَأْتُ عَلَيْهِمْ كِتَابَ عُثْمَانَ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ قَدِمْتُ المَدِينَةَ وَقَدْ بُويِعَ لِعَلِيٍّ[1].

---

(١) تاريخ الطبري.

كِتَابٌ إِلَى الوَلِيدِ بنِ عُقْبَةَ:

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ مُعَاوِيَةَ بنَ أَبِي سُفْيَانَ كَتَبَ إِلَيَّ يُخْبِرُنِي أَنَّ الرُّومَ قَدْ أَجْلَبَتْ عَلَى المُسْلِمِينَ بِجُمُوعٍ عَظِيمَةٍ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ يَمُدَّهُمْ إِخْوَانُهُمْ مِنْ أَهْلِ الكُوفَةِ. فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا فَابْعَثْ رَجُلاً مِمَّنْ تَرْضَى نَجْدَتَهُ، وَبَأْسَهُ، وَشَجَاعَتَهُ، وَإِسْلاَمَهُ فِي ثَمَانِيَةِ آلاَفٍ، أَوْ تِسْعَةِ آلاَفٍ، أَوْ عَشْرَةِ آلاَفٍ إِلَيْهِمْ مِنَ المَكَانِ الَّذِي يَأْتِيكَ فِيهِ رَسُولِي، وَالسَّلاَمُ.

الفصل الخامس عشر

فِقْهُ ذِي النُّورَيْنِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

كَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ذَا تَجَارِبَ كَثِيرَةٍ، وَمَعْرِفَةٍ غَزِيرَةٍ، وَعَيْنٍ بَصِيرَةٍ تُدْرِكُ أَبْعَادَ الأُمُورِ، وَتَعْرِفُ صَالِحَهَا، وَمَا يُنَاسِبُ الأُمَّةَ وَهَذَا مَا جَعَلَهُ أَحَدَ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيينَ الَّذِينَ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ سُنَّةً لِمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ وَذَلِكَ مَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: (عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيينَ مِنْ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ). وَيُمْكِنُ مَلاَحَظَةُ هَذَا مِنْ مُعَالَجَتِهِ لِبَعْضِ الأَحْدَاثِ، وَمَا أَعْطَى فِيهَا مِنْ رَأْيٍ:

● أَبَاحَ لِلْمُسْلِمِينَ امْتِلاَكَ الأَرَاضِي الَّتِي بَقِيَتْ بِأَيْدِي أَصْحَابِهَا الذِّمِّيينَ الَّذِينَ دَخَلَ المُسْلِمُونَ بِلاَدَهُمْ صُلْحاً فَكَانُوا يُدْفَعُونَ عَلَيْهَا الخَرَاجَ. وَقَدْ رَأَى عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُ، عِنْدَمَا آلَ الأَمْرُ إِلَيْهِ أَنَ السَّمَاحَ لِلْمُسْلِمِينَ بِشِرَاءِ هَذِهِ الأَرَاضِي سُيُؤَدِّي إِلَى نَقْلِ هَذِهِ الأَرَاضِي مِنْ أَيْدِي أَهْلِ الكِتَابِ وَالمَجُوسِ الذِّمِّيينَ إِلَى المُسْلِمِينَ، وَهَذَا أَمْرٌ حَسَنٌ، وَذَلِكَ عَنْ رِضىً مِنْ أَصْحَابِهَا السَّابِقِينَ فِي البَيْعِ لِحَاجَةٍ أَوْ لِغَيْرِهَا، عَلَى أَنْ تَبْقَى الالْتِزَامَاتِ المُتَرَتِّبَةِ كَافَّةً عَلَى عَيْنِ الأَرْضِ كَالخَرَاجِ. وَقَدْ وَافَقَ الصَّحَابَةُ عَلَى هَذَا بَلْ إِنَّ بَعْضَهُمْ قَدِ اشْتَرَى أَرْضاً وَمِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ، رَضِي اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ مِنْ قَبْلُ يَرَى عَدَمَ الشِّرَاءِ. ثُمَّ رَأَى فِيهِ خَيْراً كَثِيراً.

● فَقَأَ أَعْوَرُ عَيْنَ سَلِيمٍ فَرُفِعَ أَمْرُهُ إِلَى عُثْمَانَ فَلَمْ يَقْتَصَّ مِنْهُ، وَقَضَى عَلَيْهِ بِالدِّيَةِ كَامِلَةً، وَقَالَ: إِذَا فَقَأَ الأَعْوَرُ عَيْنَ آخَرَ فَعَلَيْهِ مِثْلُ دِيَةِ عَيْنَيْهِ. لِأَنَّ القِصَاصَ مِنَ الأَعْوَرِ ذَهَابٌ لِقُوَّةِ الإِبْصَارِ عِنْدَهُ كُلِّيّاً، فَكَانَ ذَلِكَ كَقَلْعِ عَيْنَيْهِ كِلْتَيْهِمَا، وَلَكِنْ تَجِبُ عَلَيْهِ الدِّيَةُ كَامِلَةً، وَهِيَ مَائَةٌ، مِنَ الإِبِلِ يَدْفَعُهَا إِلَى المَجْنِي عَلَيْهِ، بَدَلاً مِنْ قَلْعِ عَيْنِهِ.

وَكَذَلِكَ إِذَا جَنَى سَلِيمُ العَيْنَيْنِ عَلَى عَيْنِ أَعْوَرَ فَإِنَّهُ لاَ

يُقْتَصُّ مِنْهُ أَيْضاً، وَلَكِنْ تَجِبُ عَلَيْهِ الدِّيَةُ كَامِلَةً، لِأَنَّ عَيْنَ الأَعْوَرِ قَائِمَةٌ مَقَامَ عَيْنَيْنِ.

●لَمْ يَكُنْ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقْبَلُ شَهَادَةَ الأَعْوَرِ وَحْدَهُ فِي إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ هِلاَلِ رَمَضَانَ، لِأَنَّ العَوَرَ مُنْقِصٌ لِقُوَّةِ الإِبْصَارِ.

●قَالَ عُثْمَان بنُ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَيُّمَا رَجُلٍ جَالَسَ أَعْمَى فَأَصَابَهُ الأَعْمَى بِشَيْءٍ فَهُوَ هَدْرٌ». وَالجِنَايَةُ الخَطَأُ الَّتِي تَقَعُ مِنَ الأَعْمَى عَلَى قَائِدِهِ أَوْ عَلَى مَنْ يُجَالِسُهُ هَدْرٌ، لِأَنَّ الأَعْمَى كَالآلَةِ فِي يَدِ قَائِدِه، وَلِأَنَّ مَنْ يُجَالِسُهُ يَتَوَقَّعُ الخَطَأَ النَّاتِجَ عَنْ فَقْدِ الإِبْصَارِ الَّذِي لاَ يَدَ لَهُ فِيهِ.

●يَقُولُ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لاَ يُبَاعُ السَّبْيُ إِلاَّ أَغْشَاشاً» الأَمُّ مَعَ أَوْلاَدِهَا. وَيَنْهَى أَنْ يُبَاعَ الآبَاءُ دُونَ الأَبْنَاءِ أَوِ الأَبْنَاءِ دُونَ الآبَاءِ، أَوْ أَنْ يُبَاعَ الآبَاءُ لِشَخْصٍ وَالأَبْنَاءُ لِشَخْصٍ غَيْرِهِ، إِذَا كَانَ الأَبْنَاءُ صِغَاراً لِحَاجَةِ الأَبْنَاءِ لِرِعَايَةِ الآبَاءِ، وَشُغْلِ بَالِ الآبَاءِ عَلَى الأَبْنَاءِ.

●كَانَ عُثْمَانُ يَنْهَى أَنْ يَفْرِضَ أَحَدٌ عَلَى عَبْدِهِ أَوْ

أَمَتِهِ جُعْلاً إِنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُمَا لاَ كَسْبَ لَهُمَا، ولاَ حِرَفَةَ، فَقَدْ قَالَ رضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لاَ تُكَلِّفُوا الغُلاَمَ غَيْرَ الصَّانِعِ الخَرَاجَ، فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَجِدْ خَرَاجَهُ سَرَقَ، وَلاَ تُكَلِّفُوا الأَمةَ غَيْرَ الصَّانِعَةِ الخَرَاجَ، فَإِنَّهَا إِنْ لَمْ تَجِدْ شَيْئاً التَمَسَتْهُ بِفَرْجِهَا»(١).

●قَرَأَ عُثْمَانُ سُورَةَ (صٓ) عَلَى المِنْبَرِ فَنَزَلَ فَسَجَدَ. وَيَجُوزُ لَهُ تَرْكُ السُّجُودِ، وَقَدْ تَرَكَ عُثْمَانُ السُّجُودَ أَحْيَاناً، فَهَذَا يَجُوزُ، وَذَاكَ يَصِحُّ. وَيَفْعَلُ هَذَا وَذَاكَ لِلتَّعْلِيمِ.

●رَوَى صَالِحُ بنُ المَهْدِيِّ أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ، قَالَ: حَجَجْتُ مَعَ عُثْمَانَ، فَقَدِمْنَا مَكَّةَ فَفَرَشْتُ لَهُ فِي بَيْتٍ، فَرَقَدَ، فَجاءَتْ حَمَامَةٌ فَوَقَفَتْ عَلَى كُوَّةٍ عَلَى فِرَاشِهِ، فَجَعَلَتْ تَبْحَثُ بِرِجْلَيْهَا، فَخَشِيتُ أَنْ تَنْثُرَ على فِرَاشِهِ فَيَسْتَيْقِظُ، فَأَطَرْتُهَا فَوَقَعَتْ فِي كُوَّةٍ أُخْرَى، فَخَرَجَتْ حَيَّةٌ فَقَتَلَتْهَا. فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ عُثْمَانُ أَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: أَدِّ عَنْهَا شَاةً، فَقَالَ: إِنَّمَا أَطَرْتُهَا مِنْ أَجْلِكَ، قَالَ: وَعَنِّي شَاةً(٢).

●عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن حَاطِبٍ أَنَّهُ اعْتَمَرَ مَعَ

---

(١) مصنف عبد الرزاق.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة، سنن البيهقي، المغني.

عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ فِي رَكْبٍ، فَلَمَّا كَانُوا بِالرَّوْحَاءِ قُدِّمَ لَهُمْ لَحْمَ طَيْرٍ ـ يَعَاقِيبَ ـ فَقَالَ عُثْمَانُ: كُلُوا وَكَرِهَ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ، فَقَالَ عَمْرُو بنُ العَاصِ: أَنَأْكُلُ مِمَّا لَسْتَ مِنْهُ آكِلاً؟ قَالَ عُثْمَانُ: لَسْتُ فِي ذَلِكُمْ مِثْلَكُمْ، إِنَّمَا صِيدتْ لِي، وَأُمِيتَتْ بِاسْمِي، أَوْ قَالَ: مِنْ أَجْلِي[1].

●رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَامِرِ بنِ رَبِيعَةَ قَالَ: رَأَيْتُ عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ بِالعَرْجِ، وَهُوَ مُحْرِمٌ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ، قَدْ غَطَّى وَجْهَهُ بِقَطِيفَةِ أَرْجُوَانَ، ثُمَّ أُتِيَ بِلَحْمِ صَيْدٍ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: كُلُوا، فَقَالُوا: أَلاَ تَأْكُلُ أَنْتَ؟ قَالَ: إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ، إِنَّمَا صِيدَ مِنْ أَجْلِي[2].

●أُهْدِيَ لِعُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ حَجَلٌ وَهُوَ فِي بَعْضِ حَجَّاتِهِ، وَهُوَ مُحْرِمٌ، فَأَمَرَ بِهَا فَطُبِخَتْ ثَرِيداً، فَأُتِيَ بِهَا فِي الجِفَانِ، فَأَكَلَ القَوْمُ كُلُّهُمْ وَهُمْ مُحْرِمُونَ إِلاَّ عَلِيّاً، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَإِنَّهُ كَرِهَ ذَلِكَ[3].

---

(١) مصنف عبد الرزاق.
(٢) الموطأ، وسنن البيهقي.
(٣) مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الأمّ.

وَقَدْ عَدَّ عَلِيٌّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ الصَّيْدَ كَانَ مِنْ أَجْلِهِمْ، وَقَالَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَاللَّهِ مَا صِدْنَا، وَلاَ أَمَرْنَا، وَلاَ أَشَرْنَا. ذَلِكَ أَنَّ المُحْرِمَ لاَ يَجُوزُ لَهُ الصَّيْدُ مُطْلَقَاً، وَلاَ أَنْ يَأْكُلَ مِمَّا صِيدَ مِنْ أَجْلِهِ. وَهُنَا يَظْهَرُ أَنَّ الصَّيَادَ لَيْسَ بِمُحْرِمٍ أَوَّلاً، وَبَعْدَ أَنْ صَادَهُ بَدَا لَهُ أَنْ يَهْدِيَهُ لِعُثْمَانَ وَمَنْ مَعَهُ.

●تُوفِّيَ لِعُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ وَلَدٌ، وَهُوَ مُحْرِمٌ، فَلَمْ يُخَمِّرْ رَأْسَهُ، وَلَمْ يُقَرِّبْ مِنْهُ طِيبَاً. رَوَى ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ وَاقِفٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، بِعَرَفَةَ، إِذْ وَقَعَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَأَوْقَصَتْهُ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: (اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ، وَلاَ تُحَنِّطُوهُ، وَلاَ تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُلَبِّيَاً)[1].

●وَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ الوَلِيدِ مُعْتَمِرَاً مَعَ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ فَمَاتَ بِالسُّقْيَا، وَهُوَ مُحْرِمٌ، فَلَمْ يُغَيِّبْ عُثْمَانُ رَأْسَهُ، وَلَمْ يُمْسِسْهُ طِيبَاً.

---

(١) متفق عليه.

●قَضَى عُثْمَانُ أَنَّ مَنْ وَجَدَ فِي الثَّوْبِ عُوَاراً أَنْ يَرُدَّهُ بِالعَيْبِ، وَعَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ الأَمَةَ إِذَا بِيعَتْ ثُمَّ ظَهَرَ أَنَّ لَهَا زَوْجاً، فَإِنَّ لِلْمُشْتَرِيَ أَنْ يَرُدَّهَا بِخِيَارِ العَيْبِ، لِأَنَّ زَوَاجَهَا يَمْنَعُهُ مِنْ وَطْئِهَا، وَهُوَ نَقْصٌ فِي الانْتِفَاعِ بِهَا. فَقَدْ قَضَى عُثْمَانُ فِي الأَمَةَ تُبَاعُ وَلَهَا زَوْجٌ أَنَّهُ عَيْبٌ تُرَدُّ بِهِ.

●قَالَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ سَمِعَ تِلاَوَةَ سَجْدَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَلَمْ يَسْجُدْ: «إِنَّمَا السُّجُودُ عَلَى مَنِ اسْتَمَعَ»، ثُمَّ مَضَى وَلَمْ يَسْجُدْ، وَقَوْلُهُ: «عَلَى مَنِ اسْتَمَعَ» يَعْنِي عَلَى مَنْ قَصَدَ السَّمَاعَ.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّمَا السَّجْدَةُ عَلَى مَنْ جَلَسَ لَهَا»[1]. وَرُوِيَ عَنْ عُثْمَانَ: أَنَّ الحَائِضَ إِذَا اسْتَمَعَتِ السَّجْدَةَ تُومِىءُ بِهَا إِيمَاءً[2] وَلاَ تَتْرُكُهَا، وَلاَ تَسْجُدُ لَهَا سُجُودَ الصَّلاَةِ.

●سَأَلَ دِينَارُ الأَسْلَمِيُّ عُثْمَانَ عَنْ: وَطْءِ الأَمَةِ

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة.

وَأُخْتَهَا بِمُلْكِ اليَمِينِ؟ فَقَالَ عُثْمَانُ: «أَحَلَّتْهُما آيَةٌ، وَحَرَّمَتْهُمَا آيَةٌ، وَلَمْ أَكُنْ لِأَفعَلَ ذَلِكَ». وَالآيَةُ الَّتِي أَحَلَّتْهُمَا هِيَ: قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ «المُؤْمِنُونَ»: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾[1] وَأَمَّا الآيَةُ الَّتِي حَرَّمَتْهُمَا فَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٢٣﴾[2].

● أُتِيَ عُثْمَانُ بِغُلَامٍ سَرَقَ، فَقَالَ: انْظُرُوا إِلَى مُؤْتَزَرِهِ، فَنَظَرُوا فَلَمْ يَجِدُوهُ أَنْبَتَ، فَلَمْ يَقْطَعْهُ[3].

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ٦.

(٢) سورة النساء: الآية ٢٣.

(٣) مصنف عبد الرزاق.

●كَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لاَ يَقْطَعُ يَدَ الآبِقِ إِنْ هُوَ سَرَقَ.

●رَدَّ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَوَاجَّ وَمُعْتَمِرَاتٍ خَرَجْنَ فِي عِدَّتِهِنَّ. إِذْ لاَ يَجُوزَ السَّفَرُ لِلْمَرْأَةِ المُعْتَدَّةِ عِدَّةَ وَفَاةٍ[1].

●كَانَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ صَلَّى رُكْعَتَيْنِ[2].

●يَرَى عُثْمَانُ أَنَّ الصَّيْدَ إِذَا قُتِلَ دُونَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ دَمٌ فَلاَ يُبَاحُ أَكْلُهُ.

●كَانَ عُثْمَانُ يَتَشَدَّدُ فِي أَمْرِ مَبِيتِ المَرْأَةِ المُعْتَدَّةِ خَارِجَ بَيْتِهَا، فَقَدْ حَدَثَ أَنَّ امْرَأَةً تُوفِّيَ عَنْهَا زَوْجُهَا زَارَتْ أَهْلَهَا فِي عِدَّتِهَا، فَضَرَبَهَا الطَّلْقُ، فَأَتَوْا عُثْمَانَ فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: احْمِلُوهَا إِلَى بَيْتِهَا وَهِيَ تَطْلَقُ[3].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة، ومصنف عبد الرزاق.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة.
(٣) مصنف عبد الرزاق ومصنف ابن أبي شيبة.

● كَانَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ يَرَى الوُضُوءَ عِبَادَةً، وَلِذَلِكَ كَانَ يَكْرَهُ الكَلاَمَ أَثْنَاءَ الوُضُوءِ، وَلَوْ كَانَ هَذَا الكَلاَمُ رَدّاً لِلسَّلاَمِ، فَقَدْ كَانَ إِذَا سَلَّم عَلَيْهِ أَحَدٌ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ لاَ يَرُدُّ عَلَيْهِ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ وَضُوئِهِ، وَيَقولُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ.

● كَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَكْرَهُ أَنْ يَعْمَلَ المَرْءُ حَجَّاماً، وَيَكْرَهُ الكَسْبَ مِنَ الحِجَامَةِ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ إِدْخَالِ النَّجَاسَةِ إِلَى الفَمِ سَوَاءٌ أَكَانَ ذَلِكَ دَماً أَمْ قَيْحاً. وَحَيْثُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (كَسْبُ الحَجَامِ خَبِيثٌ)[1].

● كَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَرَى الاحْتِكَارَ مُحَرَّماً سَوَاءٌ أَكَانَ يَتَعَلَّقُ بِقُوتِ النَّاسِ أَمْ بِغَيْرِهِ مِنْ أَيَّةِ سِلْعَةٍ كَانَتْ، وَكَانَ يَمْنَعُ ذَلِكَ فِي خِلاَفَتِهِ، وَذَلِكَ لِعُمُومِ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَدُونَ تَحْدِيدِ ذَلِكَ بِالقُوتِ كَمَا يَرَى بَعْضُهُمْ. يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (بِئْسَ العَبْدُ المُحْتَكِرُ، أَنْ أَرْخَصَ اللَّهُ الأَسْعَارِ حَزِنَ، وَإِنْ أَغْلاَهَا فَرِحَ)[2].

---

(١) أخرجه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.

(٢) جامع الأصول ٤٣٨.

وَكَذَلِكَ كَانَ رَأْيُ الفَارُوقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. كَمَا تُوجَدُ أَحَادِيثُ تُحَدِّدُ الاحْتِكَارَ المَنْهِيَ عَنْهُ بِقُوتِ النَّاسِ، يَقُولُ ﷺ: (مَنِ احْتَكَرَ طَعَامَاً فَهُوَ خَاطِىءٌ)[1].

●كَانَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ يَرَى أَنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ إِنْ كَانَ غَنِيّاً فَلاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَأْخُذَ شَيْئَاً مِنْ بَيْتِ مَالِ المُسْلِمِينَ، وَكَانَ هُوَ لاَ يُأَخُذُ شَيْئَاً مِنْ بَيْتِ المَالِ[2].

●كَانَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَحَدَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ بَرَعُوا فِي عِلْمِ الفَرَائِضِ (الإِرْثِ) وَهُمْ: عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، وَزَيْدُ بنُ ثَابِتٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ، بِالإِضَافَةِ إِلَى عُثْمَانَ.

وَمَعَ عِلْمِ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَهُوَ دَائِمُ الاسْتِشَارِةِ لِلصَحَابَةِ، فَمَا يُرْفَعُ لَهُ مَوْضُوعٌ أَوْ يَأْتِيهِ سُؤَالٌ إِلاَّ وَيَدْعُو عَلِيَ بنَ أَبِي طَالِبٍ، وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ، وَيُعْرِضُ عَلَيْهِمُ الأَمْرَ. وَهَذَا دَلِيلُ فَضْلِهِ إِلَى جَانِبِ عِلْمِهِ.

---

(١) أخرجه مسلم، وأبو داوزد، والترمذي.

(٢) موسوعة فقه عثمان بن عفان.

●أَخْرَجَ مُحَمَّدُ بنُ سِيرِينَ قَالَ: كَانَ أَعْلَمَهُمْ بِالمَنَاسِكِ عُثْمَانُ، وَبَعْدَهُ ابنُ عُمَرَ.

●رُوِيَ لَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مِائَةٌ وَسِتَّةٌ وَأَرْبَعُونَ حَدِيثاً.

الفصل السادس عشر

أوَّليَّاتُ الأمِينِ عُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

تَوَسَّعَتِ الدَّوْلَةُ الإِسْلاَمِيَّةُ كَثِيراً أَيَّامَ الفَارُوقِ، وَشَمِلَتْ عِدَّةَ شُعُوبٍ، وَاقْتَضَى الأَمْرُ إِلَى إِدْخَالِ تَنْظِيمَاتٍ جَدِيدَةٍ لَمْ تَكُنْ مِنْ قَبْلُ، وَاسْتِحْدَاثِ تَرْتِيبَاتٍ لَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً، كَمَا اقْتَضَى الأَمْرُ إِلَى رَقَابَةٍ أَشَدَّ مِنْ قَبْلُ، وَحَذَرٍ أَكْثَرَ، وَانْتِبَاهٍ أَدَقَّ، وَهَذَا مَا جَعَلَ أَوَّلِيَّاتِ الفَارُوقِ كَثِيرَةً فِي الإِدَارَةِ وَالنِّظَامِ.

وَجَاءَ الأَمِينُ عُثْمَانُ فَسَارَ عَلَى نَهجِ سَلَفِهِ، وَاقْتَدَى بِمَنْ سَبَقَهُ، وَلَكِنْ كَانَ لاَ بُدَّ مِنْ تَنْظِيمَاتٍ جَدِيدَةٍ أُخْرى اقْتَضَتْهَا الظُّرُوفُ، وَاسْتَلْزَمَتْهَا الأَرْزَاقُ الَّتِي جَاءَتْ غَدَقَاً أَكْثَرَ مِنْ ذِي قَبْلُ، حَيْثُ أَخَذَتْ تَصِلُ إِلَى المَدِينَةِ نَتَائِجُ الفُتُوحَاتِ السَّابِقَةِ الَّتِي تَمَّتْ أَيَّامَ الفَارُوقِ، كَمَا أَخَذَتِ التِّجَارَةُ تَرُوجُ لاتِّسَاعِ رُقْعَةِ دِيَارِ الإِسْلاَمِ، وَتَنَوُّعِ

حَاصِلَاتِهَا مَعَ تَنَوُّعِ أَقَالِيمِهَا، فَكَانَ مِنْ أَوَّلِيَّاتِ الأَمِينِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

١ - زِيَادَةُ النِّداءِ الثَّالِثِ يَوْمَ الجُمُعَةِ عَلَى الزُّوْرَاءِ:
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا دَخَلَ وَقْتُ صَلاَةِ الجُمُعَةِ يَصْعَدُ المِنْبَرَ، وَيَقِفُ المُؤَذِّنُ عَلَى بَابِ المَسْجِدِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَرْفَعُ الأَذَانَ، وَبَقِيَ الأَمْرُ كَذَلِكَ فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ فِي عَهْدِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، فَلَمَّا كَانَ عَهْدُ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ كَثُرَ النَّاسُ، وَتَوَسَّعَتِ المَدِينَةُ المُنَوَّرَةُ، وَلَمْ يَعُدْ ذَلِكَ الأَذَانُ عَلَى بَابِ المَسْجِدِ يَبْلُغُ أَطْرَافَ المَدِينَةِ، فَزَادَ عُثْمَانُ أَذَاناً آخَرَ يَسْبِقُ هَذَا الأَذَانَ، وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ثَلاَثِينَ لِلْهِجْرَةِ، وَكَانَ يَرْفَعُهُ المُؤَذِّنُ عَلَى دَارِ عُثْمَانَ بِالزَّوْرَاءِ، يُبَلِّغُ بِهِ أَهْلَ الأَسْوَاقِ، وَبِذَلِكَ أَصْبَحَ لِصَلاَةِ الجُمُعَةِ أَذَانَانِ وَإِقَامَةٌ.

وَلَكِنَّ عَطَاءَ بنَ أَبِي رَبَاحٍ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ الَّذِي زَادَهُ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ لَمْ يَكُنْ أَذَاناً وَإِنَّما كَانَ دُعَاءً لِلصَّلاَةِ، فَقَدْ رَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي مُصَنَّفِهِ عَنْ عَطَاءِ بنِ أَبِي رَبَاحٍ أَنَّهُ قَالَ: كَلاَّ، إِنَّمَا كَانَ يَدْعُو

النَّاسَ دُعَاءً، وَلاَ يُؤَذِّنُ غَيْرَ أَذَانٍ وَاحِدٍ(١).

عَنِ السَّائِبِ بنِ يَزِيدَ قَالَ: إِنَّ الأَذَانَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، كَانَ أَوَّلُهُ حِينَ يَجْلِسُ الإِمَامُ يَوْمَ الجُمُعَةِ عَلَى المِنْبَرِ، فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَلَمَّا كَانَ فِي خِلاَفَةِ عُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَثُرُوا، أَمَرَ عُثْمَانُ يَوْمَ الجُمُعَةِ بِالأَذَانِ الثَّالِثِ، فَأُذِّن بِهِ عَلَى الزَّوْرَاءِ، فَثَبَتَ الأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ(٢).

٢ ـ **تَفْوِيضُ النَّاسِ إِخْرَاجُ زَكَاتِهِمْ:** تُعْتَبَرُ الدَّوْلَةُ المَسْؤُولَةَ الأُولَى عَنْ جِبَايَةِ الزَّكَاةِ، وَيُصَدِّقُ صَاحِبُ المَالِ فِيْهَا إِنْ كَانَتْ أَمْوَالُهُ مِنَ الأَمْوَالِ العَيْنِيَّةِ المُتَدَاوَلَةِ ـ النُّقُودُ ـ. أَمَّا إِنْ كَانَتْ مِنَ الأَمْوَالِ الظَّاهِرَةِ كَالأَنْعَامِ وَالزُّرُوعِ فَإِنَّ الدَّوْلَةَ تُحْصِيهَا عَلَيْهِ، أَوْ تُقَدِّرُهَا.

فَالدَّوْلَةُ هِيَ الَّتِي تَأْخُذُ أَمْوَالَ الزَّكَاةِ، وَهِيَ الَّتِي تُعْطِيهَا لأَصْحَابِهَا حَتَّى لاَ تَكُونَ هُنَاكَ مِنَّةٌ مِنْ صَاحِبِ

---

(١) مصنف عبد الرزاق عن موسوعة فقه عثمان بن عفان ـ محمد رواس قلعجي.

(٢) أخرجه البخاري.

مَالٍ عَلَى مُسْتَحِقٍّ زَكَاةٍ، وَفِي الوَقْتِ نَفْسِهِ كَيْ لاَ يَشْعُرَ مُسْتَحِقُّ زَكَاةٍ بِفَضْلِ صَاحِبِ مَالٍ عَلَيْهِ، فَالمَالُ مَالُ اللَّهِ اسْتَخْلَفَ عَلَيْهِ عَبْداً مِنْ عِبَادِهِ، وَجَعَلَ فِي هَذَا المَالِ جُزْءاً مُحَدَّداً لِغَيْرِهِ، يَأْخُذُهُ سَنَوِيّاً، إِذَنْ لَيْسَتْ هُنَاكَ مِنَّةٌ أَوْ فَضْلٌ لِمُسْتَخْلَفٍ عَلَى مَالٍ، وَلاَ شُعُورٌ مِنْ مُستَحِقٍّ بِفَضْلٍ عَلَيْهِ، وَعَلَى كُلٍّ فَالدَّوْلَةُ تَتَوَلَّى هَذَا الأَمْرَ كَيْ لاَ يَحْدُثَ مَا يُمْكِنُ أَنْ يُتَوَقَّعُ مَهْمَا كَانَ ذَلِكَ نَادِراً. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَأْخُذُونَ الزَّكَاةَ، وَيُعْطُونَهَا إِلَى المُسْتَحِقِّينَ، وَفِي أَيَّامِ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَثُرَتِ الأَمْوَالُ، وَرَأَى فِي إِحْصَائِهَا، وَتَكْلِيفِ مَنْ يَقُومُ بِهِ ضَرَراً يَعُودُ عَلَى المُسْتَحِقِّينَ، إِذْ سَيَذْهَبُ نَصِيبٌ مِنْهَا إِلَى العَامِلِينَ عَلَيْهَا، عَلَى حِينَ أَنَّ النَّاسَ - يُؤَدُّونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ، وَيُسارِعُونَ فِي ذَلِكَ، وَلاَ دَاعِيَ لِمَنْ يُتَابِعُهُمْ وَيُحْصِي عَلَيْهِمْ. وَكَذَلِكَ قَدْ يُوجَدُ مُسْتَحِقُّونَ مِنَ الَّذِينَ تَحْسَبُهُمْ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ لاَ يَعْرِفُهُمْ إِلاَّ مَنْ كَانَتْ لَهُ صِلَةٌ وَثِيقَةٌ بِهِمْ، وَهُنَا لاَ يَصِلُ إِلَيْهِمُ اسْتِحْقَاقُهُمْ، وَرُبَّمَا يَتَأَلَّمُونَ فِيمَا إِذَا أَخْبَرَ أَحَدٌ عَنْهُمْ. أَمَّا مَعَارِفُهُمْ فَقَدْ

يَجِدُونَ حِيلَةً فِي أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِمْ حَقُّهُمْ. لَمَّا وَجَدَ عُثْمَانُ هَـذَا، وَوَجَـدَ حِـرْصَ النَّـاسِ عَلَـى تَـأْدِيَـةِ الزَّكَـاةِ رَأَى أَنْ يُفَـوِّضَ أَصْحَـابِ الأَمْـوَالِ بِـدَفْـعِ زَكَـاةِ أَمْـوَالِـهِـمْ، وَصَـارُوا وُكَلاَءَ عَنِ الإِمَامِ فِي ذَلِكَ. وَعَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ قُدَامَةَ بنِ مَظْعُون عَنْ أَبِيهَا، قَالَ: كُنْتُ إِذَا جِئْتُ عُثْمَانَ أَقْبِضُ مِنْهُ عَطَائِي سَأَلَنِي: هَلْ عِنْدَكِ مِنْ مَالٍ وَجَبَتْ فِيهِ الزَّكَاةُ؟ فَإِنْ قُلْتُ: نَعَمْ، أَخَذَ مِنْ عَطَائِي زَكَاةَ مَالِي، وَإِنْ قُلْتُ لاَ، دَفَعَ إِلَيَّ عَطَائِي.

وَلَـمَّـا كَـانَـتْ أَمْـوَالُ الزَّكَـاةِ لِلْـمُـحْـتَـاجِـينَ مِـنَ الْفُـقَـرَاءِ وَالْمَسَاكِينَ وَأَبْنَاءِ السَّبِيلِ و.... لِذَا فَإِنَّ الخَلِيفَةَ يُمْكِنُهُ أَنْ يُبِيـحَ لِلْـمُـحْـتَـاجِ الانْـتِـفَـاعَ بِأَمْـوَالِ الزَّكَـاةِ، وَقَـدْ أَبَـاحَ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رُكُوبَ إِبِلِ الزَّكَاةِ لِمَنِ احْتَاجَ إِلَى الرُّكُـوبِ وَلَـمْ يَـجِـدِ الـوَسِـيـلَـةَ، فَعَـنْ عَـبْـدِ الـرَّحْـمَـنِ بـنِ عَمْرِو بنِ سَهْلٍ، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ عُثْمانَ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، وَإِنَّ إِبِلَ الصَّدَقَاتِ تُسْتَاقُ مَعَهُ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا الرِّجَالُ.

٣ ـ جَعَلَ رِزْقاً مَعْلُوماً لِلْمُؤَذِّنِينَ: الأَذَانُ طَاعَةٌ، وَرُبَّما يَجِدُ المَرْءُ حَرَجاً فِي أَنْ يَأْخُذَ أَجْراً عَلَى الطَّاعَةِ،

وَقَدْ وَجدَ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، المَالَ كَثِيرَاً، وَرَأى أَنَّ المُؤَذِّنِينَ يَرْتَبِطُونَ أَكْثَرَ وَقْتِهِمْ بالمَسْجِدِ، لِذَا فَقَدْ جعَلَ لَهُمْ رِزْقَاً مُحَدَّدَاً، وَكَانَ لَهُ أَرْبَعَةُ مُؤَذِّنِينَ، فَأَعْطَاهُمْ مِنْ بَيْتِ المَالِ.

٤ ـ جَمَعَ النَّاسَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ فِي قِرَاءَةِ كِتَابِ اللَّهِ.

٥ ـ اتَّخذَ صَاحِبَ شُرَطَةٍ.

٦ ـ أَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ بِأَهْلِهِ: أَخْرَجَ أَبُو يَعْلَى عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: أَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ مِنَ المُسْلِمِينَ إِلَى الحَبَشَةِ بِأَهْلِهِ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (صَحِبَهُمَا اللَّهُ، إِنَّ عُثْمَانَ لأَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ إِلَى اللَّهِ بِأَهْلِهِ بَعْدَ لُوطٍ)[١].

---

(١) تاريخ الخلفاء ـ السيوطي.

الفصل السابع عشر

مَكَانَةُ ذِي النُّورَيْنِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ذُو مَكَانَةٍ كَبِيرَةٍ فِي نُفُوسِ المُسْلِمِينَ فَهُوَ:

- ثَالِثُ رِجَالِ الإِسْلَامِ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَالفَارُوقِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعاً.

- ثَالِثُ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ الوَاجِبِ اتِّبَاعُهُمْ فِي أَعْمَالِهِمْ وَتَطْبِيقِ أَقْوَالِهِمْ وَتَنْفِيذِهَا، حَسْبَمَا أَمَرَنَا بِذَلِكَ رَسُولُنَا الكَرِيمُ ﷺ. فَعَنِ العِرْبَاضِ بنِ سَارِيَةَ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ذَاتَ يَوْمٍ، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ. فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَعَظْتَنَا مَوْعِظَةَ مُوَدِّعٍ، فَاعْهَدْ إِلَيْنَا بِعَهْدٍ. فَقَالَ: (عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْداً

حَبَشِيّاً. وَسَتَرَوْنَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلاَفاً شَدِيداً، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالأُمُورَ المُحْدَثَاتِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ»[١].

● أَحَدُ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ لِلإِسْلاَمِ، وَالَّذِينَ مَاتَ عَنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ.

● رَابِعُ مَنْ دَخَلَ فِي الإِسْلاَمِ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ وَزَيْدٍ، وَعَلِيٍّ.

● أَحَدُ الَّذِينَ بَذَلُوا المَالَ وَالنَّفْسَ فِي سَبِيلَ اللَّهِ، وَرُبَّمَا لَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ فِي بَذْلِ المَالِ، وَالمَالُ كَالنَّفْسِ.

● أَحَدُ المُبَشَّرِينَ بِالجَنَّةِ.

● صَبَرَ وَضَحَّى بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَقْبَلَ أَنْ يَخْلَعَ نَفْسَهُ مِنَ الخِلاَفَةِ (القَمِيصِ الَّذِي أَلْبَسَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ) تَرْبِيَةً لَنَا، حَتَّى لاَ يَتَسَاهَلَ أَحَدٌ فِي أَمْرِ الخِلاَفَةِ فَيَنْخَلِعَ مِنْهَا، وَلاَ يَتَطَاوَلَ إِلَيْهَا أَحَدٌ.

● عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ،

---

(١) أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد، والحاكم.

قَالَ: (يَا عُثْمَانُ، إِنَّهُ لَعَلَّ اللَّهَ يُقَمِّصُكَ قَمِيصاً، فَإِنْ أَرَادَكَ الْمُنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعْهُ حَتَّى تَلْقَانِي)[1].

● عَنْ عُثْمَانَ أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ الدَّارِ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، عَهِدَ إِلَيَّ عَهْداً فَأَنَا صَابِرٌ عَلَيْهِ[2].

● عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ بنِ أَبَانَ الجُعَفِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي خَالِي حُسَيْنُ الجُعَفِيُّ: تَدْرِي لِمَ سُمِّي عُثْمَانُ ذَا النُّورَيْنِ؟ قُلْتَ: لاَ. قَالَ: لَمْ يُجْمَعْ بَيْنَ بِنْتَيْ نَبِيٍّ مُنْذُ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ غَيْرَ عُثْمَانَ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ ذَا النُّورَيْنِ[3].

● وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ عَنِ الحَسَنِ قَالَ: إِنَّمَا سُمِّيَ عُثْمَانُ ذَا النُّورَيْنِ، لِأَنَّهُ لاَ نَعْلَمُ أَحَداً أَغْلَقَ بَابَهُ عَلَى ابْنَتِي نَبِيٍّ غَيْرُهُ.

● أَخْرَجَ ابنُ عَدِيٍّ عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا زَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ، ابْنَتَهُ أُمَّ كُلْثُومٍ، قَالَ لَهَا: إِنَّ

---

(١) أخرجه الترمذي والحاكم.

(٢) أخرجه الترمذي.

(٣) تاريخ الخلفاء ـ السيوطي.

بَعْلَكَ أَشْبَهُ النَّاسِ بِجَدِّكِ إِبْرَاهِيمَ وَأَبِيكِ مُحَمَّدٍ[1].

● وَأَخْرَجَ ابنُ عَدِيٍّ وَابنُ عَسَاكِرَ عَنِ ابنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّا نُشَبِّهُ عُثْمَانَ بِأَبِينَا إِبْرَاهِيمَ)[2].

● عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ لَمَّا بُويِعَ عُثْمَانُ: أَمَّرْنَا خَيْرَ مَنْ بَقِيَ وَلَمْ نَأْلُ[3].

● قَالَ عَلِيٌّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ عُثْمَانُ أَوْصَلَنَا لِلرَّحِمِ، وَأَتْقَانَا لِلرَّبِّ.

● وَقَالَ عَلِيٌّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، وَطَلْحَةُ، وَعُثْمَانُ، وَالزُّبَيْرُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾[4].

● وَسَأَلَ عَلِيًّا سَائِلٌ عَنْ عُثْمَانَ بَعْدَ قَتْلِهِ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ عُثْمَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، ثُمَّ آمَنُوا

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) طبقات ابن سعد.

(٤) سورة الحجر: الآية ٤٧.

وَاتَّقَوْا، ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا، وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ.

● وَعَنْ أُمِّ عَمْرِو بِنْتِ حَسَّانَ بنِ يَزِيدَ بنِ أَبِي الغَضِّ ـ قَالَ أَحْمَدُ بنُ حَنبَل: وَكَانَتْ عَجُوزَ صِدْقٍ ـ قَالَتْ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: دَخَلْتُ المَسْجِدَ الأَكْبَرَ ـ مَسْجِدَ الكُوفَةِ ـ وَعَلِيٌّ قَائِمٌ عَلَى المِنْبَرِ يَخْطُبُ النَّاسَ، وَهُوَ يُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ!! يَا أَيُّهَا النَّاسُ!! إِنَّكُمْ تُكْثِرُونَ فِي عُثْمَانَ، وَإِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾[1].

● وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: رَأَيْتُ غُلَامَاً مَا أَدْرِي غُلَامٌ هُوَ أَمْ جَارِيَةٌ، مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْهُ، جَالِسَاً إِلَى جَنْبِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ، فَقُلْتُ لَهُ: عَافَاكَ اللَّهُ!! مَنْ هَذَا الفَتَى إِلَى جَانِبِكَ؟ قَالَ: هَذَا عُثْمَانُ بنُ عَلِيٍّ، سَمَّيْتُهُ بِعُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ، وَقَدْ سَمَّيْتُ بِعُمَرَ وَبِالعَبَّاسِ، عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَسَمَّيْتُ بِخَيْرِ البَرِيَّةِ، مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَمَّا حَسَنٌ، وَحُسَيْنٌ، وَمُحسِنٌ فَإِنَّمَا سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،

---

(١) سورة الحجر: الآية ٤٧.

وَعتَقَ عَنْهُمْ أَوْ حلَقَ رُؤُوسَهُمْ وَتَصَدَّقَ بزِنَتِهَا ذَهَباً، وَأَمَرَ بِهِمْ فَسُمُّوا[1].

● وَعَنْ مُحَمَّدِ بنِ الحَنَفِيَّةِ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ: لَوْ سَيَّرَنِي عُثْمَانُ إِلَى كَذَا لَسَمِعْتُ وَأَطَعْتُ. وَقَدْ نَزَلَ عَددٌ مِنْ آيَاتِ كِتَابِ اللَّهِ بِشَأْنِهِ، لِكَرَمِهِ وَعِبَادَتِهِ، وَمِنْهَا: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾[2] نَزَلَتْ فِي شَأْنِهِ وَشَأْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾[3]. نَزَلَتْ فِي عُثْمَانَ بنِ عَفَّان وَمَوْلَى لَهُ كَانَ يَكْرَهُ الإِسْلاَمَ وَيَأْبَاهُ وَيَنْهَاهُ عَنِ الصَّدَقَةِ وَالمَعْرُوفِ.

---

(١) الرياض النضرة.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٢.
(٣) سورة النحل: الآية ٧٦.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا
مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ
أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ
وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ
﴿١٠٣﴾﴾[1].

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ
وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ
إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾[2].

(١) سورة الأنبياء: الآيات ١٠١ ـ ١٠٣.

(٢) سورة الزمر: الآية ٩.

البَابُ الثّاني

أُسْرَةُ الأَمينِ ذِي النُّورَيْنِ

تُوفِّيَ عَفَّانُ بنُ أَبِي العَاصِ بنِ أُمَيَّةَ وَخَلَّفَ وَرَاءَهُ زَوْجَهُ أَرْوَى بِنْتُ كُرَيْزٍ العَبْشَمِيَّةَ، وَتُعَدُّ مِنْ بَنَاتِ عُمُومَتِهِ، وَتَرَكَ لَهَا وَلَدَيْنِ هُمَا: عُثْمَانُ، وَشَقِيقَتُهُ آمِنَةُ. كَمَا خَلَّفَ تِجَارَةً وَاسِعَةً.

وَالِدَةُ عُثْمَانَ:

وَهِيَ أَرْوَى بِنْتُ كُرَيْزٍ وَأُمُّهَا البَيْضَاءُ بِنْتُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، عَمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَدْ تَزَوَّجَتْ أَرْوَى عُقْبَةَ بنَ أَبِي مُعَيْطٍ الأُمَوِيَّ أَحَدَ أَبْنَاءِ عُمُومَةِ زَوْجِهَا الرَّاحِلِ، وَقَدْ أَنْجَبَتْ لَهُ الوَلِيدَ، وَعُمَارَةَ، وَخَالِداً، وَأُمَّ كُلْثُومٍ، وَأُمَّ حَكِيمٍ، وَهِنْداً، فَهُمْ إِخْوَةُ عُثْمَانَ لِأُمِّهِ. وَقُتِلَ زَوْجُهَا عُقْبَةُ بنُ أَبِي مُعَيْطٍ يَوْمَ بَدْرٍ صَبْراً، وَهُوَ كَافِرٌ، وَبَقِيَتْ أَرْوَى فِي مَكَّةَ عَلَى شِرْكِهَا رَغْمَ إِسْلَامِ ابْنَتِهَا أُمِّ كَلْثُومٍ إِثْرَ صُلْحِ الحُدَيْبِيَّةِ، ثُمَّ أَسْلَمَتْ أَرْوَى مَعَ بَقِيَّةِ أَوْلَادِهَا يَوْمَ الفَتْحِ، وَهَاجَرَتْ إِلَى المَدِينَةِ، وَبَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ تَزَلْ بِالمَدِينَةِ حَتَّى أَدْرَكَتْ خِلَافَةَ

ابْنِهَا عُثْمَانَ، وَمَاتَتْ فِي عَهْدِ إِمْرَتِهِ، وَدَفَنَهَا بِالبَقِيعِ، وَوَقَفَ عَلَى قَبْرِهَا يَدْعُو لَهَا. وَرَجَعَ إِلَى المَسْجِدِ، وَكَانَ النَّاسُ قَدْ صَلُّوا صَلاَتَهُمْ، فَصَلَّى فَرْضَهُ وَحْدَهُ، وَصَلَّى إِلَى جَنْبِهِ عَبْدُ اللَّهِ بنُ حَنْظَلَةَ، فَسَمِعَهُ يَقُولُ، وَهُوَ فِي سُجُودِهِ: اللَّهُمَّ ارْحَمْ أُمِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمِّي.

شَقِيقَةُ عُثْمَانَ:

آمِنَةُ بِنْتُ عَفَّانَ فَقَدْ عَمِلَتْ مَاشِطَةً فِي الجَاهِلِيَّةِ، ثُمَّ تَزَوَّجَتْ الحَكَمَ بنَ كَيْسَانَ مَوْلَى هِشَامِ بنِ المُغِيرَةِ المَخْزُومِيِّ، وَأَسَرَتْ سِرِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ جَحْشٍ الحَكَمَ بنَ كَيْسَانَ، وَفِي المَدِينَةِ أَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلاَمُهُ، وَأَقَامَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى قُتِلَ يَوْمَ بِئْرِ مَعُونَةَ شَهِيداً، فِي بِدَايَةِ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِلْهِجْرَةِ. وَبَقِيَتْ آمِنَةُ بِنْتُ عَفَّانَ فِي مَكَّةَ عَلَى شِرْكِهَا حَتَّى يَوْمِ الفَتْحِ، فَقَدْ أَسْلَمَتْ مَعَ أُمِّهَا وَبَقِيَّةِ إِخْوَتِهَا، وَبَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، مَعَ هِنْدِ بِنْتِ عُتْبَةَ امْرَأَةِ أَبِي سُفْيَانَ عَلَى أَنْ لاَ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً، وَلاَ يَسْرُقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ.

وَأَمَّا عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَدِ التَفَتَ إِلَى

تِجَارَتِهِ، وَاهْتَمَّ بِهَا، وَانْصَرَفَ إِلَيْهَا لِيُشْغِلَ نَفْسَهُ مِنْ نَاحِيَةٍ، وَحَتَّى لاَ يَكُونَ عَالَةً عَلَى قَوْمِهِ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ مِنْ نَاحِيَةٍ ثَانِيَةٍ، ثُمَّ لِيُقَدِّمَ لِأَقْرِبَائِهِ صِلَةً لِلرَّحِمِ، حَسْبَ طَبْعِهِ فِي الكَرَمِ وَلِيَكُونَ رَجُلاً ذَا مَكَانَةٍ بَيْنَهُمْ، فَهُوَ يُعْطِي وَلاَ يَأْخُذُ رَغْمَ يُتْمِهِ وَهَذَا دَلِيلُ إِمْكَانَاتِهِ وَرُجُولَتِهِ، وَذَلِكَ مِنْ نَاحِيَةٍ ثَالِثَةٍ، وَبِذَا أَصْبَحَ يُعَدُّ مِنْ رِجَالاَتِ بَنِي أُمَيَّةَ الَّذِينَ لَهُمْ مَكَانَةٌ فِي قُرَيْشٍ كُلِّهَا.

كَانَ المُجْتَمَعُ المَكِّيُّ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ عُثْمَانُ يُقَدِّرُ الرِّجَالَ حَسْبَ أَمْوَالِهِمْ، وَيُهَابُ فِيهِ الرِّجَالُ حَسْبَ أَوْلاَدِهِمْ وَإِخْوَتِهِمْ، ثُمَّ عَشِيرَتِهِمْ وَقَوْمِهِمْ. وَكَانَ عُثْمَانُ صَاحِبَ مَالٍ، وَيَجِدُ الاحْتِرَامَ، وَخَاصَّةً مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ يُعْطِي بَعْضَ أَفْرَادِهِمْ، وَلَكِنْ لاَ يُهَابُ جَانِبُهُ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَخٌ لَهُ، وَلاَ وَلَدُ إِذْ لاَ يَزَالَ شَابّاً كَمَا كَانَ نَظِيفَ اللِّسَانِ لاَ يُخْشَى كَلاَمُهُ، وَهَذَا مَا جَعَلَ ارْتِبَاطَهُ بِقَوْمِهِ بَنِي أُمَيَّةَ قَوِيّاً، إِذْ يَسْتَنِدُ عَلَيْهِمْ عَشِيرَةً، وَيُعْطِيهِمْ رَحِماً، وَهُمْ يُقَدِّرُونَهُ فَرْداً مِنْهُمْ، وَكَرِيماً عَلَيْهِمْ، وَمُحِبّاً لَهُمْ، وَعَطُوفاً عَلَيْهِمْ.

وَظَهَرَ الإِسْلَامُ، وَكَانَ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنَ السَّابِقِينَ، وَمِنَ الَّذِينَ قَدَّمُوا الكَثِيرَ فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ. وَتَأَخَّرَ عَدَدٌ مِنْ رِجَالاَتُ قَوْمِهِ وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَوَقَفُوا فِي وَجْهِ الدَّعْوَةِ، وَلَكِنْ بَقِيَ لِعُثْمَانَ مَكَانَةٌ عِنْدَهُمْ إلاَّ مَا كَانَ مِنْ عَمِّهِ الحَكَمِ بنِ أَبِي العَاصِ بنِ أُمَيَّةَ إِذْ أَوْثَقَ عُثْمَانَ رِبَاطاً لإِسْلاَمِهِ وَهَدَّدَهُ، وَلَكِنْ لِمُدَّةٍ وَجِيزَةٍ حَيْثُ تَرَكَهُ عَنْدَمَا رَأَى صَلاَبَتَهُ فِي دِينِهِ. وَنُدْرِكُ مَحَبَّةَ قَوْمِهِ لَهُ أَنَّهُ عِنْدَمَا خَرَجَ سَفِيراً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِلَى قُرَيْشٍ يَوْمَ الحُدَيْبِيَّةِ حَيْثُ حَمَلَهُ أَبَانُ بنُ سَعِيدِ بنِ العَاصِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَجَارَهُ فَقَابَلَ عُظَمَاءَ قُرَيْشٍ، وَأَبْلَغَهُمْ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِلَيْهِمْ. وَكَانَ الصَّحَابَةُ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ لِذَا رَشَّحَهُ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لِيَقُومَ بِهَذِهِ المُهِمَّةِ، فَهُوَ خَيْرُ مَنْ يَصْلُحُ لَهَا لِمَكَانَتِهِ فِي قَوْمِهِ وَمَكَانَتَهُمْ فِي قُرَيْشٍ.

إِذَنْ كَانَتْ صِلَةُ عُثْمَانَ مَعَ قَوْمِهِ بَنِي أُمَيَّةَ وَثِيقَةً بِصِفَتِهِ وَحِيداً لَيْسَ لَهُ أَخٌ لَهُ، وَلاَ أَبٌ، وَلاَ وَلَدٌ، وَلِعَطْفِهِ عَلَيْهِمْ، وَلِصِلَتِهِ لِرَحِمِهِ، وَتَقْدِيرِهِمْ لَهُ ذَلِكَ وَلِخُلُقِهِ العَظِيمِ.

إِخْوَةُ عُثْمَانَ مِنْ أُمِّهِ:

لِعُثْمَانَ ثَلَاثَةُ إِخْوَةٍ مِنْ أُمِّهِ: وَهُمْ: الوَلِيدُ، وَعُمَارَةُ، وَخَالِدُ.

١ ـ **الوَلِيدُ بنُ عُقْبَةَ بنِ أَبِي مُعَيطٍ**: قُتِلَ أَبُوهُ يَوْمَ بَدْرٍ صَبْرَاً، وَهُوَ كَافِرٌ، وَخَرَجَ الوَلِيدُ مَعَ أَخِيهِ عُمَارَةَ بَعْدَ الحُدَيْبِيَّةِ لِرَدِّ أُخْتِهِمَا أُمِّ كُلْثُومِ الَّتِي أَسْلَمَتْ وَهَاجَرَتْ، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، رَدَّهَا.

أَسْلَمَ يَوْمَ الفَتْحِ، وَبَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي المُصْطَلِقِ. وَبَعَثَهُ عُمَرُ الفَارُوقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي خِلَافَتِهِ عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي تَغْلِبَ.

كَانَ شَاعِرَاً كَرِيمَاً، وَلَّاهُ عُثْمَانُ عَلَى الكُوفَةِ، وَجَاهَدَ فِي الشَّامِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَشْرَبُ الخَمْرَ، وَأُقِيمَ عَلَيْهِ الحَدُّ أَيَّامَ أَخِيهِ عُثْمَانَ.

اعْتَزَلَ الفِتْنَةَ بَعْدَ مَقْتَلِ أَخِيهِ، وَأَقَامَ بِالجَزِيرَةِ الفُرَاتِيَّةِ، وَتُوفِّيَ حَوَالَي سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّينَ، وَدُفِنَ قُرْبَ الرَّقَةِ، وَكَانَ لَهُ صُحْبَةٌ قَلِيلَةٌ.

٢ ـ **عُمَارَةُ بنُ عُقْبَةَ**: تَأَخَّرَ فِي إِسْلَامِهِ، وَخَرَجَ مَعَ

أَخِيهِ الوَلِيدِ لِرَدِّ أَخْتِهِمَا أُمِّ كَلْثُومِ بِنْتِ عُقْبَةَ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَتْ وَهَاجَرَتْ.

٣ ـ خَالِدُ بنُ عُقْبَةَ:

وَكَذَلِكَ كَانَ لِعُثْمَانَ ثَلَاثٌ مِنَ الأَخَوَاتِ البَنَاتِ مِنْ أُمِّهِ، وَهُنَّ:

أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ بنِ أَبِي مُعَيطٍ:

أَسْلَمَتْ بِمَكَّةَ، وَهَاجَرَتْ وَبَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَأُمُّهَا وَإِخْوَتُهَا عَلَى شِرْكِهِمْ، وَهِيَ أَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ مِنَ النِّسَاءِ بَعْدَ أَنْ عَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِلَى المَدِينَةِ بَعْدَ صُلْحِ الحُدَيْبِيَّةِ، ولَمْ نَعْلَمْ قُرَشِيَّةً خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهَا مُسْلِمَةً مُهَاجِرَةً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلاَّ أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عُقْبَةَ. خَرَجَتْ مِنْ مَكَّةَ وَحْدَهَا وَصَاحَبَتْ رَجُلاً مِنْ خُزَاعَةَ حَتَّى قَدِمَتِ المَدِينَةَ فِي الهُدْنَةِ، هُدْنَةِ الحُدَيْبِيَّةِ، فَخَرَجَ فِي أَثَرِهَا أَخَوَاهَا الوَلِيدُ وَعُمَارَةُ ابْنَا عُقْبَةَ فَقَدِمَا المَدِينَةَ مِنَ الغَدِ يَوْمَ قَدِمَتْ، فَقَالاَ: يَا مُحَمَّدُ فِ لَنَا بِشَرْطِنَا وَمَا عَاهَدْتَنَا عَلَيْهِ. وَقَالَتْ أُمُّ كُلْثُوم: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا امْرَأَةٌ، وَحَالُ النِّسَاءِ إِلَى الضُّعَفَاءِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، فَتَرُدُّنِي إِلَى الكُفَّارِ

يَفْتِنُونِي فِي دِينِي، وَلاَ صَبْرَ لِي؟ فَقَبَضَ اللَّهُ العَهْدَ فِي النِّسَاءَ فِي صُلْحِ الحُدَيْبِيَّةِ وَأَنْزَلَ فِيهِنَّ الامْتِحَانَ، وَحَكَمَ فِي ذَلِكَ بِحُكْمٍ رَضُوهُ كُلُّهُمْ. وَفِي أُمِّ كُلْثُومٍ نَزَلَ: ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾[1] فَامْتَحَنَهَا رَسُولُ اللَّهِ، وَامْتَحَنَ النِّسَاءَ بَعْدَهَا يَقُولُ: (وَاللَّهِ مَا أَخْرَجَكُنَّ إِلاَّ حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالإِسْلاَمِ، وَمَا خَرَجْتُنَّ لِزَوْجٍ وَلاَ مَالٍ). فَإِذَا قُلْنَ ذَلِكَ تُرِكْنَ، وَحُبِسْنَ، فَلَمْ يُرْدَدْنَ إِلَى أَهْلِيهِنَّ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، لِلوَلِيدِ وَعُمَارَةَ ابْنَيْ عُقْبَةَ: قَدْ قَبَضَ اللَّهُ العَهْدَ فِي النِّسَاءِ بِمَا قَدْ عَلِمْتُمَاهُ، فَانْصَرِفَا. وَلَمْ يَكُنْ لِأُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتِ عُقْبَةَ بِمَكَّةَ زَوْجٌ. فَلَمَّا قَدِمَتِ المَدِينَةَ تَزَوَّجَهَا زَيْدُ بنُ حَارِثَةَ بنِ شَرَاحِيلَ الكَلْبِيُّ فَوَلَدَتْ لَهُ. وَقُتِلَ عَنْهَا يَوْمَ مُؤْتَةَ، فَتَزَوَّجَهَا الزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ بنِ خُوَيْلِدٍ فَوَلَدَتْ لَهُ زَيْنَبَ.

أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بنُ هَارُونَ عَنْ عَمْرِو بنِ مَيْمُونَ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ بنِ أَبِي مُعَيْطٍ تَحْتَ

---

(١) سورة الممتحنة: الآية ١٠.

الزُّبَيْرِ بنِ العَوَّامَ، وَكَانَتْ فِيهِ شِدَّةٌ عَلَى النِّسَاءِ، وَكَانَتْ لَهُ كَارِهَةً فَكَانَتْ تَسْأَلُهُ الطَّلاَقَ فَيَأبى عَلَيْهَا حَتَّى ضَرَبَهَا الطَّلْقُ، وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ، فَأَلَحَّتْ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَتَوَضَّأُ لِلصَّلاَةِ، فَطَلَّقَهَا تَطْلِيقَةً، ثُمَّ خَرَجَتْ، فَوَضَعَتْ، فَأَدْرَكَهُ إِنْسَانٌ مِنْ أَهْلِهِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّها قَدْ وَضَعَتْ، فَقَالَ: خَدَعَتْنِي خَدَعَهَا اللَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: سَبَقَ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ، فَاخْطُبْهَا، قَالَ: لاَ تَرْجِعُ إِلَيَّ أَبَدَاً. وَكَانَتْ قَدْ وَضَعَتْ زَيْنَبَ بِنْتَ الزُّبَيْرِ.

ثُمَّ تَزَوَّجَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ، فَوَلَدَتْ لَهُ إِبْرَاهِيمَ وَحُمَيْدَاً. وَمَاتَ عَنْهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلاَثِينَ لِلْهِجْرَةِ. فَتَزَوَّجَهَا عَمْرُو بنُ العَاصِ، فَمَاتَتْ عِنْدَهُ.

كَانَ المُشْرِكُونَ قَدْ شَرَطُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَوْمَ الحُدَيْبِيَّةِ: أَنَّهُ مَنْ جَاءَ مِنْ قِبَلِنَا، وَإِنَ كَانَ عَلَى دِينِكَ رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا، وَمَنْ جَاءَنَا مِنْ قِبَلِكَ لَمْ نَرُدَّهُ[1] إِلَيْكَ. فَكَانَ

---

(١) في الأصل (رددناه) وهو غلط.

يَرُدُّ إِلَيْهِمْ مَنْ جَاءَ مِنْ قِبَلِهِمْ يَدْخُلُ فِي دِينِهِ.

فَلَمَّا جَاءَتْ أُمُّ كُلْثُوم بِنْتُ عُقْبَةَ بنِ أَبِي مُعَيْطٍ مُهَاجِرَةً جَاءَ أَخَوَاهَا يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاهَا، وَيَرُدَّاهَا إِلَيْهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠) وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (١١)﴾(١). قَالَ: هِيَ الْمَرْأَةُ تُسْلِمُ فَيَرُدُّ الْمُسْلِمُونَ صَدَاقَهَا إِلَى الْكُفَّارِ، وَمَا طَلَّقَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ نِسَاءِ الْكُفَّارِ عِنْدَهُمْ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَرُدُّوا صَدَاقَهُنَّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، فَإِنْ أَمْسَكُوا صَدَاقاً مِنْ صَدَاقِ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ فَارَقُوا مِنْ نِسَاءِ الْكُفَّارِ أَمْسَكَ الْمُسْلِمُونَ صَدَاقَ

(١) سورة الممتحنة: الآيتان ١٠ ـ ١١.

المُسْلِمَاتِ اللاَّتِي جِئْنَ مِنْ قِبَلِهِمْ[1].

٢ ـ أُمُّ حَكِيمٍ بِنْتُ عُقْبَةَ.

٣ ـ هِنْدُ بِنْتُ عُقْبَةَ.

(١) طبقات ابن سعد.

الفصل الأول

زَوْجَاتُ الأَمِينِ ذِي النُّورَيْنِ

تَزَوَّجَ الأَمِينُ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثَمَانِي زَوْجَاتٍ، كُلُّهُنَّ بَعْدَ الإِسْلاَمِ وَهُنَّ:

١ ـ رُقَيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ: وَأُمُّهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وَرُقَيَّةُ هِيَ الوَلَدُ الثَّالِثُ مِنْ أَوْلاَدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ القَاسِمِ وَزَيْنَبَ.

أَسْلَمَتْ مَعَ أُمِّهَا وَأَخَوَاتِهَا، وَكَانَتْ قَدْ خُطِبَتْ لِعُتْبَةَ بنِ أَبِي لَهَبٍ، وَقَدْ وَقَفَ أَبُو لَهَبٍ مَوْقِفَ العَدَاءِ السَّافِرِ مِنَ الدَّعْوَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ مِنَ البِدَايَةِ، وَقَالَ لابْنِهِ عُتْبَةَ: رَأْسِي مِنْ رَأْسِكَ حَرَامٌ إِنْ لَمْ تُطَلِّقْ رُقَيَّةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، فَفَارَقَهَا وَلَمْ يَكُنْ دَخَلَ بِهَا. وَيَهْدِفُ أَبُو لَهَبٍ ـ قَبَّحَهُ اللَّهُ ـ قَطْعَ صِلَةِ القَرَابَةِ كُلِّيّاً مَعَ ابْنِ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ،

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِرْهَاقَهُ مَادِيًّا بِتَرْكِهِ كَثِيرَ العِيَالِ - حَسْبَ تَصَوُّرِهِ -.

وَهَاجَرَ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَعَ زَوْجِهِ رُقَيَّةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، إِلَى الحَبَشَةِ، وَرَجِعَا مِنَ الحَبَشَةِ إِلَى مَكَّةَ.

وَأَنْجَبَتْ رُقَيَّةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَبْدَ اللَّهِ بنَ عُثْمَانَ.

وَهَاجَرَتْ رُقَيَّةُ، مَعَ زَوْجِهَا إِلَى المَدِينَةِ، وَمَرِضَتْ فِي بِدَايَةِ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلْهِجْرَةِ، وَتُوفِّيَتْ، وَالمُسْلِمُونَ يُقَاتِلُونَ المُشْرِكِينَ فِي بَدْرٍ. وَعُمْرُهَا سَبْعٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً وَبَعْدَ سَنَتَيْنِ تُوفِّيَ ابْنُهَا عَبْدُ اللَّهِ بنُ عُثْمَانَ.

٢ - أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ: وَأُمُّهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَلْ أُمُّ كُلِّ أَبْنَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَدَا إِبْرَاهِيمَ.

وَأُمُّ كُلْثُومٍ هِيَ البَضْعَةُ الخَامِسَةُ النَّبَوِيَّةُ بَعْدَ القَاسِمِ، وَزَيْنَبَ، وَرُقَيَّةَ، وَفَاطِمَةَ. وَكَانَ عُتَيْبَةُ بنُ أَبِي لَهَبٍ قَدْ خَطَبَهَا، وَفَارَقَهَا كَمَا فَارَقَ أَخُوهُ أُخْتَهَا، بِنَاءً عَلَى طَلَبِ

أَبِيهِمَا وَإِضْرَارِهِ، وَلَمْ يَكُونَا قَدْ دَخَلَا بِهِمَا.

تَزَوَّجَ عُثْمَانُ أُمَّ كُلْثُومٍ فِي رَبِيعِ الأَوَّلِ سَنَةَ ثَلَاثٍ للهجرةِ، وَلَمْ تَلِدْ لَهُ.

وَتُوفِّيَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ تِسْعٍ، وَبِذَا تَكُونُ قَدْ عَاشَتِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَتَزَوَّجَتْ، وَهِيَ فِي السَّادِسَةِ وَالعِشْرِينَ، وَبَقِيَتْ عِنْدَ عُثْمَانَ سِتَّ سَنَوَاتٍ وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ.

كَانَتْ خَدِيجَةُ تُعِقّ عَنْ كُلِّ غُلَامٍ بِشَاتَيْنِ، وَعَنِ الجَارِيَةِ بِشَاةٍ، وَكَانَ بَيْنَ كُلِّ وَلَدَيْنِ لَهَا سَنَةٌ، وَكَانَتْ تَسْتَرْضِعُ لَهُمْ، وَتُعِدُّ ذَلِكَ قَبْلَ وِلَادِهَا[1].

٣ ـ **فَاخِتَةُ بِنْتُ غَزْوَانَ**: وَهِيَ أُخْتُ الأَمِيرِ عُتْبَةَ بنِ غَزْوَانَ، وَأَنْجَبَتْ لِعُثْمَانَ عَبْدَ اللَّهُ الأَصْغَرَ.

٤ ـ **أُمُّ عَمْرِو بِنْتُ جُنْدَبَ الأَزْدِيَّةُ**: وَقَدْ أَنْجَبَتْ لِعُثْمَانَ: عَمْرَاً، وَخَالِدَاً، وَأَبَانَ، وَعُمَرَ، وَمَرْيَمَ.

---

(١) طبقات ابن سعد.

٥ ـ فَاطِمَةُ بِنْتُ الوَلِيدِ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ المُغِيرَةِ المَخْزُومِيَّةُ: وأَنجَبَتْ لِعُثْمَانَ: الوَلِيدَ، وَسَعِيداً، وَأُمَّ سَعِيدٍ.

٦ ـ أُمُّ البَنِينَ بِنْتُ عُيَيْنَةَ بنِ حِصْنٍ الفَزَارِيَّةُ: وَأَنجَبَتْ لِعُثْمَانَ عَبْدَ المَلِكِ.

٧ ـ رَمْلَةُ بِنْتُ شَيْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ الأُمَوِيَّةُ: وَأَنجَبَتْ لِعُثْمَانَ عَائِشَةَ، وَأُمَّ أَبَانٍ، وَأُمَّ عَمْرٍو. وَقَدْ أَسْلَمَتْ رَمْلَةُ، وَبَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

وَكَانَ أَبُو الزِّنَادِ مَوْلَىً لِرَمْلَةَ بِنْتِ شَيْبَةَ، وَاسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بنُ ذَكْوَانَ.

٨ ـ نَائِلَةُ بِنْتُ الفَرَافِصَةِ الكَلْبِيَّةُ: تَزَوَّجَ عُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، نَائِلَةَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ، وَقَدْ أَسْلَمَتْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا، وَكَانَتْ عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهَا وَرَوَتْ عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَتْ: أَمَّتْنَا عَائِشَةُ فِي صَلَاةٍ فَقَامَتْ وَسَطَنَا. وَدَافَعَتْ عَنْ عُثْمَانَ يَوْمَ مَقْتَلِهِ، وَحَاوَلَتْ أَنْ تَقِيَهُ بِيَدِهَا فَتَصُدَّ سَيْفَ سُودَانَ بنِ حُمْرَانَ فَأَطَنَّ السَّيْفُ أَصَابِعَ يَدِهَا.

رِسَالَةٌ لِنَائِلَةَ:

يُنسَبُ إِلَيْهَا كِتَابٌ أَرْسَلَتْهُ مَعَ النُّعْمَانِ بنِ بَشِيرٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ، أَمِيرِ الشَّامِ، وَبَعَثَتْ مَعَ النُّعْمَانِ قَمِيصَ عُثْمَانَ مُخَضَّباً بِالدِّمَاءِ. وَمِمَّا جَاءَ فِي الكِتَابِ: مِنْ نَائِلَةَ بِنْتِ الفَرَافِصَةِ إِلَى مُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ:

«أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ، وَعَلَّمَكُمُ الإِسْلَامَ، وَهَدَاكُمْ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَأَنْقَذَكُمْ مِنَ الكُفْرِ، وَنَصَرَكُمْ عَلَى العَدُوِّ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، وَأُنْشِدُكُمُ اللَّهَ، وَأُذَكِّرُكُمْ حَقَّهُ، وَحَقَّ خَلِيفَتِهِ أَنْ تَنْصُرُوهُ بِعَزْمِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾[1].

فَإِنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ بُغِيَ عَلَيْهِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِعُثْمَانَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ حَقُّ الوَلَايَةِ. لَحَقَّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَرْجُو إِمَامَتَهُ

(١) سورة الحجرات: الآية ٩.

أَنْ يَنْصُرَهُ، فَكَيْفَ وَقَدْ عَلِمْتُمْ قِدَمَهُ فِي الإِسْلاَمِ، وَحُسْنَ بَلاَئِهِ، وَأَنَّهُ أَجَابَ اللَّهَ، وَصَدَّقَ كِتَابَهُ، وَاتَّبَعَ رَسُولَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِهِ، إِذَ انْتَخَبَهُ فَأَعْطَاهُ شَرَفَ الدُّنْيَا وَشَرَفَ الآخِرَةِ، وَإِنِّي أَقُصُّ عَلَيْكُمْ خَبَرَهُ. إِنِّي شَاهِدَةٌ أَمْرَهُ كُلَّهُ.

دَخَلَ عَلَيْهِ القَوْمُ فَضَرَبُوهُ عَلَى رَأْسِهِ ثَلاَثَ ضَرَبَاتٍ، وَطَعَنُوهُ فِي صَدْرِهِ ثَلاَثَ طَعَنَاتٍ، وَضَرَبُوهُ عَلَى مُقَدَّمِ العَيْنِ فَوْقَ الأَنْفِ ضَرْبَةً أَسْرَعَتْ فِي العَظْمِ، فَسَقَطْتُ عَلَيْهِ، وَقَدْ أَثْخَنُوهُ، وَبِهِ حَيَاةٌ، وَهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَقْطَعُوا رَأْسَهُ، فَيَذْهَبُوا بِهِ، فَأَتَتْنِي ابْنَةُ شَيْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ فَأَلْقَتْ بِنَفْسِهَا مَعِي، فَوُطِئْنَا وَطْئاً شَدِيداً، عُرِّينَا مِنْ حُلِيِّنَا، وَحُرْمَةُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ أَعْظَمُ. فَقَتَلُوا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ فِي بَيْتِهِ مَقْهُوراً عَلَى فِرَاشِهِ. وَقَدْ أَرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ بِثَوْبِهِ، عَلَيْهِ دَمُهُ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ إِنْ كَانَ أَثِمَ مَنْ قَتَلَهُ فَمَا سَلِمَ مِنْ خَذَلَهُ، فَانْظُرُوا أَيْنَ أَنْتُمْ مِنَ اللَّهِ، وَأَنَا أَشْتَكِي كُلَّ مَا مَسَّنَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَسْتَصْرِخُ بِصَالِحِي عِبَادِهِ. فَرَحِمَ اللَّهُ عُثْمَانَ، وَلَعَنَ قَتَلَتَهُ، وَصَرَعَهُمْ فِي الدُّنْيَا مَصَارِعَ الخِزْيِ وَالمَذَلَّةِ، وَشَفَى مِنْهُمُ الصُّدُورَ.

خُطْبَةُ لِنَائِلَةَ:

وَرَثَتْ زَوْجَهَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَتْ بَعْدَ أَنْ حَمِدَتِ اللَّهِ وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ:

عُثْمَانُ ذُو النُّورَيْنِ قُتِلَ مَظْلُوماً بَيْنَكُمْ بَعْدَ الاعْتِذَارِ، وَأَنْ أَعْطَاكُمُ العُتْبَى.

مَعَاشِرَ المُؤْمِنِينَ وَأَهْلَ المِلَّةِ لاَ تَسْتَنْكِرُوا مَقَامِي، وَلاَ تَسْتَكْثِرُوا كَلاَمِي فَإِنِّي حَرَّى عَبْرَى، رُزِئْتُ جَلِيلاً، وَتَذَوَّقْتُ ثُكْلَى مِنْ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ ثَالِثِ الأَرْكَانِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِي الفَضْلِ عِنْدَ تَرَاجُعِ النَّاسِ، فِي الشُّورَى يَوْمَ الإِرْشَادِ، فَكَانَ الطَّيِّبَ المُرْتَضَى المُخْتَارَ حَتَّى لَمْ يَتَقَدَّمْهُ مُتَقَدِّمٌ، وَلَمْ يَشُكَّ فِي فَضْلِهِ مُتَأَثِّمٌ. أَلْقَوْا إِلَيْهِ الأَزِمَّةَ وَخَلُّوهُ وَالأُمَّةَ حِينَ عَرَفُوا لَهُ حَقَّهُ، وَحَمِدُوا مَذْهَبَهُ وَصِدْقَهُ، فَكَانَ وَاحِدَهُمْ غَيْرَ مُدَافَعٍ، وَخِيرَتَهُمْ غَيْرَ مُنَازَعٍ، لاَ يُنْكَرُ لَهُ حُسْنَ الغَنَاءِ، وَلاَ عَنْهُ سَمَاحَ النَّعْمَاءِ، إِذْ وَصَلَ أَجْنِحَةَ المُسْلِمِينَ حِينَ نَهَضُوا إِلَى رُؤُوسِ أَئِمَّةِ الكُفْرِ حَيْثُ رَكَضُوا، فَقَلَّدُوهُ الأُمُورَ إِذْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ لَهُ نَظِيرٌ، فَسَلَكَ بِهِمْ سَبِيلَ الهُدَى، وَبِالنَّبِيِّ وَصَاحِبَيْهِ اقْتَدَى، مُخَسِّئاً لِلشَّيْطَانِ إِلَى مَدَاحِرِهِ، مُقَصِّياً لِلْعُدْوَانِ إِلَى

مَزَاجِرِهِ، تَنْقَشِعُ مِنْهُ الطَّوَاغِيتُ، وَتَزَايَلُ عَنْهُ المَصَالِيتُ، حَتَّى امْتَدَّ لَهُ الدِّينُ، وَاتَّصَلَ لَهُ السَّبِيلُ المُسْتَقِيمُ، وَلَحِقَ الكُفْرُ بِالأَطْرَافِ، قَلِيلَ الآلاَفِ وَالأَخْلاَفِ. فَتَرَكَهُ حِينَ لاَ خَيْرَ فِي الإِسْلاَمِ فِي افْتِتَاحِ البِلاَدِ، وَلاَ رَأْيَ لِأَهْلِهِ فِي تَجْهِيزِ البُعُوثِ، فَأَقَامَ يَمُدُّكُمْ بِالرَّأْيِ، وَيَمْنَعُكُمْ بِالأَدْنَى. يَصْفَحُ عَنْ مُسِيئِكُمْ فِي إِسَاءَتِهِ، وَيَقْبَلُ مِنْ مُحْسِنِكُمْ بِإِحْسَانِهِ، وَيُكَافِئُكُمْ بِمَالِهِ. ضَعِيفُ الانْتِصَارِ مِنْكُمْ، قَوِيُّ المَعُونَةِ لَكُمْ، فَاسْتَلَنْتُمْ عَرِيكَتَهُ حِينَ مَنَحَكُمْ مَحَبَّتَهُ، وَأَجْرَرَكُمْ أَرْسَانَكُمْ آمِناً جُرْأَتَكُمْ وَعُدْوَانَكُمْ، وَأَرَاكُمُوهُ الحَقَّ إِخْوَاناً، وَأَرَاكُمُوهُ البَاطِلَ شَيْطَاناً فِي عَقِبِ سِيرَةِ مَنْ رَأَيْتُمُوهُ فَظّاً، وَعَدَدْتُمُوهُ غَلِيظاً، فَهَدَّكُمْ مِنْهُ بِالقَمْعِ، وَطَاعَتُكُمْ إِيَّاهُ عَلَى الجَذْعِ، يُعَامِلُكُمُ الحِسْبَةَ، وَيَتَخَوَّفُكُمْ بِالضُّرِّ. وَكَانَ اللَّهُ أَعْلَمَ بِآدَابِكُمْ وَمَصَالِحِكُمْ، فَلِلَّهِ هُوَ، كَانَ قَدْ نَظَرَ فِي ضَمَائِرِكُمْ، وَعَرَفَ إِعْلاَنَكُمْ وَسَرَائِرَكُمْ، فَحِينَ فَقَدْتُمْ سَطْوَتَهُ، وَأَمِنْتُمْ بَطْشَهُ رَأَيْتُمْ أَنَّ الطُّرُقَ قَدِ انْشَعَبَتْ لَكُمْ، وَالسُّبُلَ قَدِ اتَّصَلَتْ بِكُمْ، ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ يُصْلِحُ عَمَلَ المُفْسِدِينَ، فَعَدَوْتُمْ عَدْوَةَ الأَعْدَاءِ، وَشَدَدْتُمْ شِدَّةَ السُّفَهَاءِ عَلَى التَّقِيِّ النَّقِيِّ، الخَفِيفِ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ

وَجَلَّ لِسَاناً، الثَّقِيلِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَاناً، فَسَفَكْتُمْ دَمَهُ، وَانتَهَكْتُمْ حُرمَهُ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ مِنْهُ الحُرَمَ الأَرْبَعَ: حُرْمَةَ الإِسْلَامِ، وَحُرْمَةَ الخِلَافَةِ، وَحُرْمَةَ الشَّهْرِ الحَرَامِ، وَحُرْمَةَ البَلَدِ الحَرَامِ. فَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ سَعَوْا فِي أَمْرِهِ، وَدَبُّوا فِي قَتْلِهِ، وَمَنَعُونَا مِنْ دَفْنِهِ، اللَّهُمَّ إِنَّهُ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً، وَأَنَّهُمْ شَرٌّ مَكَاناً، وَأَضْعَفُ جُنْدَاً، لَتَتَعَبَّدَنَّكُمُ الشَّهَوَاتُ، وَلَتَتَفَرَّقَنَّ بِكُمُ الطُّرْقَاتُ، وَلَتَذْكُرُنَّ بَعْدَهَا عُثْمَانَ وَلاَ عُثْمَانُ، وَكَيْفَ لاَ يَسْخَطُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ. وَأَيْنَ كُنْتُمْ لِعُثْمَانَ ذِي النُّورَيْنِ مُنَفِّسِ الكَرْبِ، زَوْجِ ابْنَتَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَصَاحِبِ المِرْبَدِ وَرُومَةَ، هَيْهَاتَ وَاللَّهِ مَا مِثْلُهُ بِمَوْجُودٍ، وَلاَ مِثْلُ فِعْلِهِ بِمَعْدُودٍ. يَا هَؤُلاَءِ إِنَّكُمْ فِي فِتْنَةٍ عَمْيَاءَ صَمَّاءَ، طِبَاقَ السَّمَاءِ، مُمْتَدَّةِ الجِرَانِ(١)، شَوْهَاءِ العِيَانِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ. قَدْ تَوَزَّعَ كُلُّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَيَئِسَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ خَيْرُ أَهْلِهِ. فَلَهَوَاتُ الشَّرِّ فَاغِرَةٌ، وَأَنْيَابُ السُّوءِ كَاشِرَةٌ، وَعُيُونُ البَاطِلِ خُزْرٌ، وَأَهْلُهُ شَزْرٌ، وَلَئِنْ نَكِرْتُمْ أَمْرَ عُثْمَانَ، وَبَشِعْتُمُ الدَّعَةَ لَتُنْكِرُنَّ غَيْرَ

(١) الجران: عنق البعير من أسفل.

ذَلِكَ مِنْ غَيْرِهِ، حِينَ لاَ يَنْفَعُكُمْ عِتَابٌ، وَلاَ يُسْمَعُ مِنْكُمْ اسْتِعْتَابٌ.

وَأَنجَبَتْ نَائِلَةُ لِعُثْمَانَ مَرْيَمَ الصُّغْرَى، وَيُقَالُ أَنَّهَا وَلَدَتْ لَهُ «عَنْبَسَةَ». وَقُتِلَ عُثْمَانُ عَنْ أَرْبَعِ نِسْوَةٍ هُنَّ:

١ ـ فَاخِتَةُ بِنْتُ غَزْوَانَ.

٢ ـ رَمْلَةُ بِنْتُ شَيْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ.

٣ ـ أُمُّ البَنِينَ بِنْتُ عُيَيْنَةَ بنِ حِصْنٍ.

٤ ـ نَائِلَةُ بِنْتُ الفَرَافِصَةِ.

وَيُقَالُ: إِنَّ عُثْمَانَ قَدْ طَلَّقَ أُمَّ البَنِينَ بِنْتَ عُيَيْنَةَ بنِ حِصْنٍ، وَهُوَ مَحْصُورٌ.

هَذَا بِالإِضَافَةِ إِلَى أُمَّهَاتِ الأَوْلاَدِ، وَقَدْ أَنْجَبَتْ لَهُ إِحْدَاهُنَ أُمَّ البَنِينَ بِنْتَ عُثْمَانَ. وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَثِيرَ العِتْقِ.

الفصل الثاني

أَبْنَاءُ الأَمِينِ ذِي النُّورَيْنِ

كَانَ لِلأَمِينِ عُثْمَانَ ذِي النُّورَيْنِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تِسْعَةُ أَبْنَاءٍ مِنَ الذُّكُورِ، مِنْ خَمْسِ زَوْجَاتٍ، وَهُمْ:

١ ـ عَبْدُ اللَّهِ: وَأُمُّهُ رُقَيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وُلِدَ قَبْلَ الهِجْرَةِ بِعَامَيْنِ، وَأَخَذَتْهُ أُمُّهُ مَعَهَا عِنْدَمَا هَاجَرَتْ مَعَ زَوْجِهَا عُثْمَانَ إِلَى المَدِينَةِ. وَتُوفِّيَتِ الأُمُّ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلْهِجْرَةِ، وَالمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِي بَدْرٍ، وَكَانَ عُثْمَانُ، قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ بَدْرٍ بِأَمْرٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لِلْبَقَاءِ بِجَانِبِ زَوْجَتِهِ.

وَفِي أَوَائِلِ أَيَّامِ الحَيَاةِ فِي المَدِينَةِ نَقَرَهُ دِيكٌ فِي وَجْهِهِ قُرْبَ عَيْنِهِ، وَأَخَذَ مَكَانُ نَقْرِ الدِّيكِ يَتَّسِعُ حَتَّى طَمَرَ وَجْهَهُ حَتَّى مَاتَ فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِلْهِجْرَةِ، وَكَانَ عُمْرُهُ سِتَّ سَنَوَاتٍ.

٢ ـ عَبْدُ اللَّهِ الأَصْغَرِ: وَأُمُّهُ فَاخِتَةُ بِنْتُ غَزْوَانَ.

٣ ـ عَمْرُو: وَأُمُّهُ أُمُّ عَمْرٍو بِنْتُ جُنْدَبٍ، وَقَدْ رَوَى عَنْ أَبِيهِ، وَعَنْ أُسَامَةَ بنِ زَيْدٍ، وَرَوَى عَنْهُ عَلِيُّ بنُ الحُسَيْنِ، وَسَعِيدُ بنُ المُسَيِّبِ، وَأَبُو الزِّنَادِ.

وَهُوَ قَلِيلُ الحَدِيثِ.

تَزَوَّجَ رَمْلَةَ بِنْتَ مُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ.

تُوفِّيَ سَنَةَ ثَمَانِينَ لِلْهِجْرَةِ.

٤ ـ خَالِدُ: وَأُمُّهُ أُمُّ عَمْرٍو بِنْتُ جِنْدَبٍ.

٥ ـ أَبَانُ: وَأُمُّهُ أُمُّ عَمْرٍو بِنْتُ جُنْدَبٍ، كَانَ إِمَامَاً فِي الفِقْهِ، يُكْنَى أَبَا سَعْدٍ.

تَوَلَّى إِمْرَةَ المَدِينَةِ سَبْعَ سِنِينَ فِي عَهْدِ عَبْدِ المَلِكِ بنِ مَرْوَانَ.

سَمِعَ أَبَاهُ وَزَيْدَ بنَ ثَابِتٍ.

لَهُ أَحَادِيثُ قَلِيلَةٌ.

وَفَدَ عَلَى عَبْدِ المَلِكِ بنِ مَرْوَانَ.

قَالَ ابنُ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ يَقُولُ: مَنْ قَالَ فِي أَوَّلِ يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ: «بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ» لَمْ يَضُرُّه ذَلِكَ اليَوْمِ شَيْءٌ، أَوْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ. فَلَمَّا أَصَابَ أَبَانَ الفَالِجُ، قَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ نَسِيتُ هَذَا الدُّعَاءَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ لِيَمْضِيَ فِيَّ أَمْرُ اللَّهِ[1].

قَالَ ابنُ سَعْدٍ: ثِقَةٌ، لَهُ أَحَادِيثُ عَنْ أَبِيهِ، وَكَانَ فِيهِ صَمَمٌ، وَوَضَحٌ كَثِيرٌ، أَصَابَهُ الفَالِجُ فِي أَوَاخِرِ حَيَاتِهِ.

قَالَ ابنُ أَبِي الزِّنَادِ: مَاتَ أَبَانُ قَبْلَ عَبْدِ المَلِكِ بنِ مَرْوَانَ.

قَالَ يَحْيَى القَطَّانِ: فُقَهَاءُ المَدِينَةِ عَشْرَةٌ: أَبَانُ بنُ عُثْمَانَ، وَسَعِيدُ بنُ المُسَيِّبِ، وَذَكَرَ سَائِرَهُمْ.

قَالَ مَالِكٌ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بنُ أَبِي بَكْرِ بنِ حَزْمٍ أَنَّ وَالِدَهُ أَبَا بَكْرِ بنَ حَزْمٍ كَانَ يَتَعَلَّمُ القَضَاءَ مِنْ أَبَانٍ.

---

(١) رواه الترمذي، وأحمد، والحاكم، وابن حبّان.

قَالَ عَمْرُو بنُ شُعَيْبٍ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَعْلَمَ بِحَدِيثٍ وَلاَ فِقْهٍ مِنْ أَبَانِ بنِ عُثْمَانَ.

وَقَالَ خَلِيفَةُ: إِنَّ أَبَانَاً تُوفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَمِائَةٍ[1].

٦ ـ **عُمَرُ**: وَأُمُّهُ أُمُّ عَمْرٍو بِنْتُ جُنْدَبٍ.

٧ ـ **الوَلِيدُ**: وَأُمُّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الوَلِيدِ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ المُغِيرَةِ المَخْزُومِيَّةُ.

٨ ـ **سَعِيدٌ**: وَأُمُّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الوَلِيدِ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ المُغِيرَةِ المَخْزُومِيَّةُ.

تَوَلَّى أَمْرَ خُرَاسَانَ عَامَ سِتَّةٍ وَخَمْسِينَ أَيَّامَ مُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ. وَغَزَا سَمَرْقَنْدَ، وَمَعَهُ المُهَلَّبُ بنُ أَبِيَ صُفْرَةَ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ الصُّغْدُ فَقَاتَلُوهُ، فَأَلْجَأَهُمْ إِلَى مَدِينَتِهِمْ، فَصَالَحُوهُ، وَأَعْطُوهُ رَهَائِنَ. وَاسْتُشْهِدَ قُثَمُ بنُ العَبَّاسِ، وَكَانَ غَازِيَاً مَعَ سَعِيدٍ. عَزَلَ مُعَاوِيَةُ سَعِيداً عَنْ خُرَاسَانَ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ، وَأَعَادَ إِلَيْهَا عُبَيْدَ اللَّهِ بنَ زِيَادٍ. ويقول مالك بن الرّيب في قصيدته المعروفة الّتي مطلعها؛

---

(١) سير أعلام النبلاء.

أَلاَ لَـيْـتَ شِـعْـرِي هَـلْ أَبِـيـتَـنَّ لَـيْـلَـةً
بِجَنْبِ الغَضَا أُزْجِي القِلَاصَ النَّوَاجِيَا

وَيَقُولُ فِيْهَا:

أَلَـمْ تَـرنِـي بِـعْـتُ الـضَّـلاَلَـةَ بِـالـهُـدَى
وَأَصْبَحْتُ فِي جَيْشِ ابنِ عَفَّانَ غَازِيَا

حَيْثُ شَارَكَ مَالِكُ بنُ الرَّيْبِ فِي هَذَا الغَزْوِ.

٩ ـ عَبْدُ المَلِكِ: وَأُمُّه أُمُّ البَنِينَ بِنْتُ عُيَيْنَةَ بنِ حِصْنٍ، وَمَاتَ صَغِيراً.

وَيُقَالُ: وَلَدَتْ نَائِلَهُ بِنْتُ الفَرَافِصَةِ وَلَداً لِعُثْمَانَ سُمِّيَ «عَنْبَسَةَ».

الفصل الثالث

بَنَاتُ الأَمِينِ ذِي النُّورَيْنِ

كَانَ لِلأَمِينِ عُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سَبْعُ بَنَاتٍ مِنْ خَمسِ نِسَاءٍ، وَهُنَّ:

١ ـ مَرْيَمُ: وَأُمُّهَا أُمُّ عَمرِو بِنْتُ جُنْدَبٍ.

٢ ـ أُمُّ سَعِيدٍ: وَأُمُّهَا فَاطِمَةُ بِنْتُ الوَلِيدِ بنِ عَبْدِ شَمْسِ المَخْزُومِيَّةُ.

٣ ـ عَائِشَةُ: وَأُمُّهَا رَمْلَةُ بِنْتُ شَيْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ. وَكَانَتْ عَائِشَةُ فَصِيحَةً وَذَاتَ بيانٍ، رَثَتْ أَبَاهَا فَقَالَتْ بَعْدَ أَنْ حَمِدَتِ اللَّهَ وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ: يَا ثَارَاتِ عُثْمَانَ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ. أُفْنِيَتْ نَفْسُهُ، وَطُلَّ دَمُهُ فِي حَرَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَمُنِعَ مِنْ دَفْنِهِ، اللَّهُمَّ وَلَوْ يَشَاءُ لاَمْتَنَعَ وَوَجَدَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَاكِماً، وَمِنَ المُسْلِمِينَ نَاصِراً، وَمِنَ المُهَاجِرِينَ شَاهِداً حَتَّى يَفِيءَ إِلَى الحَقِّ مَنْ سَدِرَ

عَنْهُ، أَوْ تُطِيحَ هَامَاتٌ وَتُفْنَى غَلاَصِمُ، وَتُخَاضُ دِمَاءٌ، ولَكِنِ اسْتَوْحَشَ مِمَّا أَنِسْتُمْ بِهِ، وَاسْتَوْخَمَ مَا اسْتَمْرَأْتُمُوهُ. يَا مَنْ اسْتَحَلَّ حَرَمَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَاسْتَبَاحَ حِمَاهُ. لَقَدْ كَرِهَ عُثْمَانُ مَا أَقْدَمْتُمْ عَلَيْهِ، وَلَقَدْ نَقِمْتُمْ عَلَيْهِ أَقَلَّ مِمَّا أَتَيْتُمْ إِلَيْهِ. فَرَاجَعَ فَلَمْ تُرَاجِعُوهُ، وَاسْتَقَالَ فَلَمْ تَقْبَلُوهُ. رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ يَا أَبَتَاهُ، احْتَسَبْتَ نَفْسَكَ، وَصَبَرْتَ لِأَمْرِ رَبِّكَ حَتَّى لَحِقْتَ بِهِ. وَهَؤُلاَءِ الآنَ قَدْ ظَهَرَ مِنْهُمْ تَرَاوُضُ البَاطِلِ، وَإِذْكَاءُ الشَّنَآنِ، وَكَوَامِنُ الأَحْقَادِ، وَإِدْرَاكُ الإِحَنِ وَالأَوْتَارِ. وَبِذَلِكَ وَشِيكاً كَانَ كَيْدُهُمْ وَتَبَغِّيهِمْ، وَسَعَى بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ. فَمَا أَقَامُوا عَاثِراً، وَلاَ اسْتَعْتَبُوا مُذْنِباً حَتَّى اتَّخَذُوا ذَلِكَ سَبَباً إِلَى سَفْكِ الدِّمَاءِ، وَإِبَاحَةِ الحِمَى، وَجَعَلُوا سَبِيلاً إِلَى البَأْسَاءِ وَالعَنَتِ. فَهَلْ أُعْلِنَتْ كَلِمَتُكُمْ، وَظَهَرَتْ حَسَكَتُكُمْ إِذِ ابْنُ الخَطَّابِ قَائِمٌ عَلَى رُؤُوسِكُمْ، مَاثِلٌ فِي عَرَصَاتِكُمْ يُرْعِدُ وَيُبْرِقُ بِإِرْعَابِكُمْ، يَقْمَعُكُمْ غَيْرَ حَذِرٍ مِنْ تَرَاجُعِكُمُ الأَمَانِيَّ بَيْنَكُمْ، وَهَلاَّ نَقَمْتُمْ عَلَيْهِ عَوْداً وَبَدْءاً إِذْ مَلَكَ وَيُمَلَّكُ عَلَيْكُمْ مَنْ لَيْسَ مِنْكُمْ بِالخُلُقِ اللَّيِّنِ وَالجِسْمِ الفَصِيلِ، يَسعَى عَلَيْكُمْ، وَيَنْصَبُ لَكُمْ، لاَ تُنْكِرُونَ ذَلِكَ مِنْهُ خَوْفاً مِنْ سَطْوَتِهِ، وَحَذَراً مِنْ شِدَّتِهِ،

وَأَنْ يَهْتِفَ مَقْسُوراً أَوْ يَصْرَخَ بِكُمْ مَعْذُوراً. إِنْ قَالَ صَدَّقْتُمْ قَالَتَهُ، وَإِنْ سَأَلَ بَذَلْتُمْ سَأْلَتَهُ، يَحْكُمُ فِي رِقَابِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ كَأَنَّكُمْ عَجَائِزُ صُلَّعُ وَإِمَاءٌ قُصَّعٌ، فَبَدَأَ مُفْلِتاً لابْنِ أَبِي قُحَافَةَ بَإِرْثِ نَبِيِّكُمْ، عَلَى بُعْدِ رَحِمِهِ، وَضِيقِ يَدِهِ، وَقِلَّةِ عَدَدِهِ. فَوَقَى اللَّهُ شَرَّهَا زَعَمَ، لِلَّه دَرُّهُ، مَا أَعْرِفُهُ مَا صَنَعَ، أَوَ لَمْ يَخْصِمِ الأَنْصَارَ بِقَيْسٍ ثُمَّ حَكَمَ بِالطَّاعَةِ لِمَوْلَى أَبِي حُذَافَةَ، يَتَمَايَلُ بِكُمْ يَمِيناً وَشِمَالاً، قَدْ خَطَبَ عُقُولَكُمْ، وَاسْتَمْهَرَ وَجَلَكُمْ مُمْتَحِناً لَكُمْ، وَمُغْتَرِفاً أَخْطَارَكُمْ، وَهَلْ تَسْمُو هِمَمُكُمْ إِلَى مُنَازَعَةٍ. وَلَوْلاَ تِيكَ لَكَانَ قَسْمُهُ خَسِيساً وَسَمْيُهُ تَعِيساً، لَكِنْ بَدَأَ بِالرَّأْيِ، وَثَنَّى بِالقَضَاءِ، وَثَلَّثَ بِالشُّورَى، ثُمَّ غَدَا سَامِراً، مُسْلِطاً دِرَّتَهُ عَلَى عَاتِقِهِ فَتَطَأْطَأْتُمْ لَهُ تَطَأْطُؤَ الحِقَّةِ[1]، وَوَلَّيْتُمُوهُ أَدْبَارَكُمْ حَتَّى عَلاَ أَكْتَافَكُمْ. فَلَمْ يَزَلْ يَنْعَقُ بِكُمْ فِي كُلِّ مَرْتَعٍ، وَيُشَدِّدُ مِنْكُمْ عَلَى كُلِّ مَخْنَقٍ، وَيَتَوَرَّطُ بِالحَوْبَاءِ، عَرَفْتُمْ أَوْ نَكِرْتُمْ لاَ تَأْلَمُنَ وَلاَ تَسْتَنْطِقُونَ. حَتَّى إِذَا عَادَ الأَمْرُ فِيكُمْ، وَلَكُمْ وَإِلَيْكُمْ فِي مُونِقَةٍ مِنَ العَيْشِ، عِزُقُهَا

---

(١) الحقة: ولد الناقة إذ بلغ ثلاث سنوات، وأصبح مهيأ للحمل.

وَشَيجٌ، وَفَرْعُهَا عَمِيمٌ، وَظِلُّهَا ظَلِيلٌ، تَتَنَاوَلُونَ مِنْ كَثَبٍ ثِمَارَهَا أَنَّى شِئْتُمْ رَغَداً، وَجُلِبَتْ عَلَيْكُمْ عِشَاءُ الأَرْضِ دُرَراً، وَاسْتَمْرَأْتُمْ أُكُلَهَا مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ مِنْ خَصْبِ غَدَقٍ وَأَمْقٍ[1] شَرَقٍ تَنَامُونَ فِي الخَفْضِ وَتَسْتَلِينُونَ الدَّعَةَ. وَمِقْتُمْ زَبْرَجَةَ الدُّنْيَا وَحَرَجَتَهَا، وَاسْتَحْلَيْتُمْ غَضَارَتَهَا وَنُضْرَتَهَا. وَظَنَنْتُمْ أَنَّ ذَلِكَ سَيَأْتِيكُمْ مِنْ كَثَبٍ عَفْواً، وَيَتَحَلَّبُ عَلَيْكُمْ رَسَلاً، فَانْتَفَيْتُمْ سُيُوفَكُمْ وَكَسَرْتُمْ جُفُونَكُمْ. وَقَدْ أَبَى اللَّهُ أَنْ تُشَامَ سُيُوفٌ جُرِّدَتْ بَغْياً وَظُلْماً، وَنَسِيتُمْ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾[2]. فَلاَ يُهْنِئُكُمُ الظَّفَرُ، وَلاَ يَسْتَوْطِنُ بِكُمُ الظُّلْمُ إِلاَّ عَلَى رِجْلِينَ وَلاَ تَرِنُ القَوْسُ إِلاَّ عَلَى سِيتِينَ، فَأَثْبِتُوا عَلَى الغَرْزِ أَرْجُلَكُمْ فَقَدْ ضَلَلْتُمْ هُدَاكُمْ فِي المُتِيهَةِ الخَرْقَاءِ كَمَا أَضَلَّ أَدْحِيَةِ الحِلُّ. وَسَيُعْلَمُ كَيْفَ إِذَا كَانَ النَّاسُ عُبَّادَ يَدٍ، وَقَدْ نَازَعَتْكُمُ الرِّجَالُ، وَاعْتَرَضَتْ عَلَيْكُمُ الأُمُورُ، وَسَاوَرَتْكُمُ الحُرُوبُ بِاللُّيُوثِ، وَقَارَعَتْكُمُ الأَيَّامُ

---

(١) (أمق العين:) موق العين وهو الطرف.

(٢) سورة المعارج: الآيتان ١٩ ـ ٢٠.

بِالجُيُوشِ، وَحَمِيَ عَلَيْكُمُ الوَطِيسُ فَيَوْماً تَدْعُونَ مَنْ لاَ يُجِيبُ، وَيَوْماً تُجِيبُونَ مَنْ لاَ يَدْعُو. وَقَدْ بَسَطَ بَاسِطُكُمْ كِلْتَا يَدَيهِ، يَرَى أَنَّهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيَدٌ مَقْبُوضَةٌ وَأُخْرَى مَقْصُورَةٌ، والرُّؤُوسُ تَنْزُو الطَّلِيَ وَالكَوَاهِلَ، كَمَا يَنْقُفُ التَّنُومُ. فَمَا أَبْعَدَ نَصْرُ اللَّهِ مِنَ الظَّالِمِينَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مَعَ المُسْتَغْفِرِينَ(١).

٤ ـ أُمُّ أَبَانٍ: وَأُمُّهَا رَمْلَةُ بِنْتُ شَيْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ.

٥ ـ أُمُّ عَمْرٍو: وَأُمُّهَا رَمْلَةُ بِنْتُ شَيْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ.

٦ ـ مَرْيَمُ الصُّغْرَى: وَأُمُّهَا نَائِلَةُ بِنْتُ الفَرَافِصَةِ.

٧ ـ أُمُّ البَنِينَ: وَأُمُّهَا أُمُّ وَلَدٍ، وَقَدْ تَزَوَّجَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ يَزِيدَ بنِ مُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ أُمَّ البَنِينَ بِنْتَ عُثْمَانَ.

---

(١) ذي النورين عثمان بن عفان ـ الخليفة الثالث. محمد رضا.

الخاتمة

لم يختلف قتل الفاروق عمر بن الخطّاب، رضي الله عنه، عن قتل الأمين عثمان بن عفّان، رضي الله عنه، فكلا الجريمتين دبّرتهما أيدٍ قذرةٍ، وخطّطت لهما رجال لئيمة حاقدة. لئيمة بطبعها، حاقدة على المنهج، حاقدة على الرجال، ثم شُحنت غيظاً على الوضع الذي آل إليه الإسلام من قوّةٍ في القتال، واتساعٍ في الديار، مع قدرةٍ على ضرب الذين ينقضون الصلح أو يحرّكون لإثارة الأحقاد.

لكن مقتل الفاروق عمر، رضي الله عنه، تمّ بأيدٍ قليلةٍ مكشوفةٍ غريبةٍ معروفةٍ فانحصرت بها، فعُرفت الأهداف، وقُدّرت الأبعاد، ونال المجرمون الجزاء، وتابع الركب المسير، وعينه ترقب أهل الأحقاد كي لا يتسلّلوا إلى المجتمع، ويشحنوا النفوس بالعصبيات الجاهلية، وتاريخ القوم، وعبادة النار، والتسلّط على

الشعوب، تحت عنوان الفخر والاعتزاز بالماضي.

غير أن مقتل الأمين عثمان، رضي الله عنه، قد تمّ بوضع شرذمةٍ من رعاع الأعراب رأس حربةٍ للعمليّة فظهرت المقدّمة المنفّذة، واختفت العبوة الشاحنة، وكانت هناك أيد تعمل في الخفاء لتغطية من تريد ستره، فبدت العملية داخليةً إذ الطليعة ظاهرة سافرة على حين أن المؤخّرة الموجّهة مجهولة خافية. وتعني الحركة الداخلية أنّ هناك فساداً في المسؤول أو في المنهج أو في كليهما.

لم يكن بالإمكان يومذاك الطعن بالمنهج بل يستحيل ذلك لكماله، فهو من عند الله ولإيمان الناس بذلك إيماناً كلياً، لذا فقد وُجّه النقد للمسؤول، وسُلّط الهجوم عليه. ولكنّ النقطة الخفية وهي ما يريده المخطط الخبيث أن المسؤول إنّما هو الذي يمثّل المنهج، وفساد المسؤول هو فساد المنهج وخاصّةً أن عمله سنة للمسلمين بصفته من الخلفاء الراشدين المهديين الذين يُقتدى بهم. وتسلّل الأعداء من خلال هذة الثغرة التي لا

يُدخل منها إلاّ بالالتفاف لذا بقيت مخفيةً على العامة، فدخلها الحاقدون، وأخذوا بالطعن بالمنهج من خلال الطعن بالمسؤول، فافتروا أكاذيب على الخليفة المسؤول، وبثّوا شائعاتٍ، ودوّنوا كتباً بأساليب مُثيرةٍ قبلها الجهلة، وصدّقها العامّة، لذا استمرّ أثر مقتل الأمين ذي النورين، وبقي الدخول للهجوم من هده الثغرة، فيجب الانتباه إلى ذلك وسدّ هذه الثغرة.

إن سدّ الطريق على الأعداء، وإغلاق كل بابٍ في وجههم، وكشف الطرق الملتوية حتى لا تبقى هناك ثغرات يمكن التسلّل منها إنما هو بإعطاء الصورة الصحيحة عن الخليفة المسؤول الأمين عثمان بن عفّان الذي كثرت الافتراءات حوله مع أنه أحد الخلفاء الراشدين المهديين من غير دفاعٍ عن غلطٍ وقع ودون ستر فضلٍ أخفي. كما يجب تنبيه العامة إلى الحق، وإلى الأهداف البعيدة للأعداء من وراء هذه الشائعات والافتراءات على عثمان بن عفان، رضي الله عنه.

فنرجو من الله أن أكون قد وُفّقت في بعض ما أصبو

إليه. فإن أكون قد أحسنتُ فذاك من فضل الله عليَّ، وإن لم أُوفَّقْ فذاك من نفسي، وحسبي أني اجتهدتُ. وحسبي الله ونعم الوكيلُ.

الرياض: غرّة ربيع الأول ١٤١٧هـ

١٦ تموز ١٩٩٦ م.

محمود شاكر

المحتوى

الباب الثاني

أسرة الأمين ذي النورين